بل لهم عُقُولٌ أَخَصّ مِـن عُقُـول البشَـر؛ لأَنَّ عُقُـول البشـر قـد تسـتَوْلِي عليها الشَّهْوَة فيُضِيع الإنسَان عقلَه.
((**جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُـلًا**)) جَمْـع رَسُـول، يقـول : " إلـى الأنبيـاء " والأصَـحّ: إلـى الأنبيـاء وغيرِهـم، يقـولُ اللـه تعـالي: ((**حَتَّـى إِذَا جَـاءَ أَحَدَكُمُ الْمَـوْتُ تَـوَفَّتْهُ رُسُـلُنَا وَهُـمْ لا يُفَرِّطُـونَ**))[الأنعـام:61] رُسُل الله عز وجل إلى هـذا الـمُحْتَضَر لِيَقْبِضُـوا رُوحَـه فهـم رُسُـل إلـى الأنبياء وإلى غيرِهم، فتخصيصُ الآية بالأنبياء يُعتَبرُ قُصُورًا في التفسير.
((**أُولِي أَجْنِحَةٍ**)) ((**أُولِي**)) بمعنى (أصحاب) يعني أنَّ الملائكة لهم أجْنِحَة وهو جمْعُ جَنَاح، هذا الجَنَاح يطِيرُون به بِسُـرعَة فائِقَـة أسـرَع مِـن الجِنّ؛ بدليل أنَّ العفْرِيتَ مِـن الجـن قـال لِسُـلَيْمَان لمـا قـال: ((**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْـلِمِينَ * قَـالَ عِفْرِيـتٌ مِـنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**))[النمل:39] وكان له عَادَة يقُوم في وقْتٍ مُعَيَّن فقال: ((**قَبْـلَ أَنْ تَقُـومَ مِـنْ مَقَامِـكَ**)) يعني في الوَقْت المعَيَّن، وإلَّا لكان الأمْـرُ مُبْهَمًـا، ((**قَالَ الَّـذِي عِنْـدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُـكَ**))[النمـل: 40] يعني مِثْل النظر مثل أبعَد شيء إنـه قـال هكـذا قَبـل أن يرتَـدَّ إليـه طرْفُه فإنَّه يأتِيه به، وفِعْلًا أتَـاه ولهـذا قـال : ((**فَلَمَّا رَآهُ مُسْـتَقِرًّا**)) [النمل:40] قال العلماء: " إنَّ الذي عِنْدَه عِلْمٌ مِـنَ الكِتَـاب كـان يعْـرِفُ اسْمَ اللهِ الأعْظَم وأنَّه دَعَا باسْم اللهِ الأعْظَم فحَمَلَتْهُ الملائِكَة وألْقَتْه بيْنَ يدَيْ سُلَيْمَان " وهذا يدُلُّ على أنَّ الملائكة أسْرَع مِنَ الجِـنّ ولاشَـك فـي هذا أنهـم أسـرَع وأقْـوَى، فهـم لهـم أجنحـة يطيـرون بهـا بسـرعة فائقـة عظيمة، جبريل عليه الصلاة والسلام كان له سِتُّمِائَة جنـاح كُـلُّ جَنَـاح لـه قُوَّة عظيمة في الحَمْل والطَيَرَان ماذا تكون سرعتُه؟ لاشك أنهـا سـرعة فائقَة جدًّا، نعم لأننا إذا رأينا الآن الطائرات النفَّاثة أجنحتهـا اللـي تحملهـا وهي المراوح التي تُدْخِل الهواء لِيَحْمِلَ الطـائرة مـا تبلُـغ هـذا المبلـغ ولا عُشْرَه، ومع ذلك ترتقي بهذه السرعة العظيمـة وهـذا الارتفـاع العظيم، فجبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح قد سَدَّ الأُفُـق وهـذا يـدلُّك على أنهم لهـم سُـرعة فائقـة عظيمـة، هـذه الأجنحـة ((**مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**)) وأكثر ولّا لا؟ نعم وأكـثر ((**يَزِيدُ فِـي الْخَلْـقِ مـا يَشَـاءُ**))، قوله ((**مَثْنَى**)) ظاهرُها أن ذلك في العَدَد لا في الصِّنْف أنه في العَـدَدِ لا في الصنف؛ لأن هذا هو الأصْل، ويحتَمِل أن يكونَ في الصنف؛ لأننا مثلًا نرى الطائر مَثَلًا له جَنَاحان، لكن كلِ ريشة مِـن هـذه الأجنحـة لهـا عَمَـلٌ خاصّ في تكْيِيف الطَيَرَان، منها مثلاً ما ينصِبُه حتى يرْتَفِع، ويخفِضُه حـتى ينْزِل، ويفرِشُه حتى يسْتَقِرّ هذا شيء مُشَاهد، ولهذا بعض الأحيـان تَنْتِـف أشياء معينة مِن الجناح ثم لا يطِير مـع أنَّ البـاقي فـي جناحِهـا أكـثر ممـا نَتَفْـت بكـثير، فيحتمِـل أنَّ قـوله: ((**مثنـى**)) يعنـي باعتبـار الصِّـنف ((**وثلاث ورباع**))، ويحتَمِل أنه باعتبار العدَد وأن الملائكة بعضُهم لهـم

جناحان، وبعضُهم له ثلاثة، وبعضهم له أربعة، ولا ينَافِي ذلك أنَّ جبريل عليه الصلاة والسلام له سِتُّمِائَة جناح؛ لأن الله يقول : ((**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**)) ويكون مما زادَه أن جعل لِجبريل ستمائة جناح، ((**أُولِي أَجْنِحَة**)) فإذا قلت : هل نعرِفُ كيفِيَّة هذه الأجنحة؟ فالجواب: لا، تَعْرِفها؟

الطالب: ....

الشيخ: إيش لونها؟

الطالب : ... أن كل جناح فيه كذا مِن الياقوت والزمرد.

الشيخ : ايش

الطالب: أنه وصفها جناح كبير والله أعلم بصحة الحديث ... الياقوت والزُمُرُّد.

الشيخ: أي نعم هذا إن شاء الله تحَقَّقوا مِن الحديث.

الطالب: .. بائع الزهور

الشيخ : أي نعم .. وهذه كلها ... أبد ، زهورٌ ذابِلة يابسة ما جاتها الحياة أبد، على كل حال جزاك الله خير وإن شاء الله حَقَّق لنا الحديث وجيبه غدًا، بعد الغد؛ لأن بكرة الثُّلاثَاء.

كيفيَّةُ هذه الأجنحة لا نعلمها، وهذا نظيرُه تمامًا ما جاءَ في صفاتِ الله عز وجل فإننا نعلَم معْنَى الصفة ولكنَّنا نجْهَل كيفية الصفة، للهِ عز وجل وجْه، نعلم ما معْنَى الوجه لكن هل نعلَمُ كيفِيَّتَه؟ لا؛ لأنَّ ما غاب عنك لا يُخَاطِبُكَ اللهُ به إلا بِبَيَان معناه فقط، وأما كَيْفِيَّتُه فلا يمكنُك إدراكُها لأنه غائِب ولا نَظِيرَ لها، والشيءُ لا يعرف إلا بمشاهدَتِه أو مشَاهَدَة نظيرِه أو الخبَر الصَّادِقِ عنه، يقول: ((**جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا**)) **نعم،** ((**مُثَنَّى وثُلَاثَ ورُبَاعَ**)) كيف نُعْرِب ((**مُثَنَّى**))؟

الطالب: مفعول.

الشيخ: لا، نعم؟

الطالب: مُلْحَق بالـمُثَنَّى.

الشيخ: مُلْحَق بالـمُثَنَّى؟ لا.

الطالب: ....

الشيخ: طيب كَمِّل، في بَدَل أو صِفَة يصْلُح أن تكُون صِفة لكن اعْرِبْ الـمُهم إعراب، أما محلها مِن الإعراب فالأمر جائز في هذا وهذا.

الطالب: ....

الشيخ: ((**مثنى**)) بدل أو صِفَة لـ((**أَجْنِحَة**))، وبدَل المجرور مجرور، وعلامة جَرِّه؟

الطالب: كَسْرة مقدرة.

الشيخ: كسرة مقدرة؟

الطالب: .... الاسم اللي ما ينصرف.

الشيخ: فتحَة مُقَدَّرَة على إيش؟ على الألِف نيابةً؟

الطالب: نيابةً عن الكسرة ..
الشيخ: والمانِع مِنَ الصرف؟
الطالب: الوَصْف والعَدْل.
الشيخ: الوصْفِيَّة والعَدْل، وكـذلك نقُـول فـي ((**ثلاثَ ورباع**)) ولهـذا قال : ((**ثُلاثَ**)) ولم يَقُل: ثُلَاثًا، ((**ورُبَاعَ**)) ولـم يَقُـلْ رُبَاعًـا أو ربـاعٍ بالكسْر نعم، ما قال: ثُلَاثٍ ورباعٍ.
طيِّب ((**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مـا يَشَـاء**)) ((**يزيـدُ فـي الخلْـق**)) فـي الـمَلَائِكَة وغيرِها " نعم، (يزيد في الخلْق) سَوَاءٌ كان في الملائكة أو فـي غيرِهم ((**يزيدُ**)) ((**مَا يشَاءُ**)) مما تقتَضِيهِ حِكْمَتُـه سـبحانَه وتعـالى، ولذَلك تجِد المخلوقات لها أيْدٍ وأرْجُـل بِحَسَـب حاجَتِهـا إلـى هـذه الأيـدِي والأَرْجُل، فَبَنُو آدم لهـم أرجُـل يمشُـون بهـا، ولهـم أَيْـدٍ يبطِشُـون بهـا ولا يمشُون بها؛ لِأَنَّ هذه الأيـدي مَحَـلّ الأَخْـذ والعَطَـاء فـأَكْرِمَ الإنسَـان بـأن تكُونَ يدَاهُ غيـرَ مُسْـتَعْمَلَةٍ فـي المشْـي، بخلافِ الحَيَـوان، الحيـوانُ يـداه مستعْمَلة في المشْي لأنَه يأخُذُ بفمِـه ويعْطِـي بفمِـه وينقُـلُ بفمِـه حـتى الهِرَّة إذا أرادت أن تنْقُل أولادها بفمِها، لكـن الآدَمِـيّ مُكَـرَّم فجعَـلَ اللـه يدَيْه غيرَ مستعملتين في المشْي، فهـو يزيـدُ فـي الخلـق م ا يش اء علـى حسَب ما تقْتَضِيهِ الحكمة وحاجَةُ ذلك المخلوق، وكُلُّ مـا ذكـرَه اللـه عـزّ وجل مما هو مُعَلَّقٌ بمشيئَتِه فقد سبقَ لنا أنه مقرونٌ بالحِكْمة
((**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)) هذا تعليل لِقـوله: ((**يَزِيـدُ فِـي الْخَلْقِ ما يشاء**)) يعني كأن سَائِلًا يسأل: وهل ذلك صَعْبٌ علَيه؟ فكان الجواب من هذه الجملة أنـه سَـهْل؛ لأن اللـه علـى كـل شَـيْءٍ قـدير، ((**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**)) ((**قَدِيرٌ**)) إذْ كُلُّ شَيْءٍ موجُـود قَـادرٌ علـى إيـش؟ إعدَامِه وكل مَعْدُوم قادِر على إيجادِه، لكن لو قال لـك قائـل: هـل يقـدِرُ على أن يجعل الـمُتَحَرِّكَ سَاكِنًا في آنٍ واحد؟
الطالب: ....
الشيخ: هل يقدر على أن يجعلَ الشيء المتحَرِّك ساكناً في آنٍ واحد؟ ما هو بأن يجعَل المتحرك ساكنًا يعني يسَكِّن المتحَـرِّك ، أو يحَـرِّك السـاكن هذا واضح، لكن في آنٍ واحد؟
الطالب: يقدر ولكن ...
الشيخ: آا؟ يقدِر؟
الطالب: ((**أَلَمْ تَرَ إلى ربِّك كيف مَدَّ الظلَّ**))
الشيخ: إي ((**ولـو شـاءَ لَجَعَلَـه سـاكِنًا**)) مـا يخـالف، حِنَّـا نقـول: المتحرك، يقدر أن يجعل المتحرك ساكنًا، لكنَّه لا ساكنٌ في حَالِ تَحَرُّكِه؛ لأنَّ (مُتحَرِّك ساكن) يمتنع.
الطالب: يقدِر ولكنَّه ما جَرَتْ به العادَة.
الشيخ: لا، لا، يقدِر -عزَّ وجل- أنه يطَلِّع الشَّمْس السـاعة اثنـا عشـر مِـن الليـل لكـن مـا جَـرَتْ بـه العـادة، لكـن كلمَـة (مُتَحَـرِك) ضِـدّ أو نقِيـض

(سَاكِن)، أنت لو قلت إذا وصَفْتَه بالمتحَرِّك يَقِين ليس بِسَاكِن، وصفْتَه بأنَّه سَاكِن يقين ليس بِمُتَحِرِّك، نعم، فلذلك قال العلماء: " إنَّ المستحيل غير وَارِد " لأنَّه مستحيل يعني ما يمكن وجودُه، .. ما يُمْكِن باعتبارِ قُدْرَةِ الله، لكِنْ الله عز وجل إذا أراد أن يجعَل هذا المتَحَرِّك متحركًا صارَ مُتَحَرِّكًا لا ساكِنًا، أما يكون مُتَحَرِّك ساكن كيف يكون مُتَحَرِّك ساكن؟ المُتَحَرِّك غير سَاكِن، يقالُ: إنَّ الشيطان كان يفرَح بموتِ العالم إذا قيل: مات فُلان العالِم فَرِح وسَوَّى حَفْلَة، نعم، واسْتَأْنَس، لكن إذا قِيل: مات عَابِد يقول: .. ما يهم يموت .. ما يموت، عرفتم، فقال له جنودُه: يا سيدنا ليش انَّك تفرح بموت العالم هذا الفرح العظيم، وموت العابِد ما يهمك؟ مع أن العابد مُنْقَطِع عن الدنيا وزاهِد في الدنيا ويُكْثِر الذِّكْر والصَّلَاة وغيرها؟ قال: .. لأن العالِم أشد عليّ مِن العابِد، قال: كيف؟ قال: أنا أوَرِّيكُم الآن روحُوا للعابِد وقولُوا له: هل يقْدِرُ الله عز وجل على أن يجْعَل السماوات والأرض في بيْضَة؟ في جوفِ بيضَة؟ ولَّا لا؟ راحوا للعابِد قالوا له: هل إنَّ الله يقدر على أن يجعل السماوات والأرض في جوفِ بيضة؟ قال: عاد هذا مستحيل هذا، السماوات والأرض على كبرها .. في بيضة، رأسي لو يصير في بيضة فقَّسها، رأسه وهو ما هو شيء بالنسبة لك، ما يصح هذا، ما يمكن هذا ولا يقدِر الله على هذا، قال : زين، قولوا له: هل يقدِر الله أن يخلق مثلِه؟ أن يخلُق مِثْل الله؟ فذهبوا له قالوا: ما تقول هل يقدِر الله أن يخلق مثل الله؟ قال: نعم، بسيط هذا، إنَّ الله على كل شيء قدير يقدر الله أن يخلق رب مثله، طيب إذًا كفَرَ هذا العابد سَلْبًا وإيجَابًا، نفيُه القُدْرَة في الأوَّل كفر وإثباته القدرة في الثاني كُفر قال: يللا شوفوا، يللا روحوا للعالِم اسألوه عن السؤالين ..، جاءوا للعالم قال: هل يقدِر الله عز وجل على أن يجعل السماوات والأرض في جوف بيضة؟ قال: نعم يقولُ كُن فيَكُون، إما أن تصغَر السماوات والأرض ولَّا تكْبَر البَيْضة المهم إذا أرَاد قالَ فَكَان، قال: طيب هل يقدِر الله أن يخلق مثلَه؟ قال: هذا مستحيل هذا أمرٌ مستحيل والمثْلِيَّة لا يمكن أن تتطَابَق أبدًا، لو لم يكن مِن الفارِق العظِيم إلا أنَّ هذا حادِث وذاك واجِدُ الوُجُود، هذا مستحيل، قال: يللا شوفوا.

فالمهم أنَّ الله عز وجل على كل شيء قدير، لكن الشيءُ المستحيل الذي لا يُتَصَوَّر لَا يُتَصَوَّر، وليس المراد هنا المستحِيل عَادَةً، المستحيلُ عادةً يُخْلِفُه الله عز وجل لأن الله هُو خَالِق العَادَة وقادِر على تغْيِيرِها، وهذه النار التي تُحْرِق كانت بَرْدًا وسلامًا على إبراهيم، وهذا الماء السَيَّال صارَ جامِدًا كالطودِ العَظِيم، والعادَة ممكن أن الله يغَيِّرها عز وجل وبكل سهولة، لكن الكَلام على الأمر المُمْتَنِع المستَحِيل، يقول العُلَمَاء: إنه لا تَتَعَلَّق به القُدْرَة وَأَنَّه مُسْتَحِيل ولهذا قال السَّفَّارِينِي في العَقِيدَة:

واقْتَدَر بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنِ
وهذا أمْر مُتَّفَقٌ عليه عند العُقَلَاء.
طيب وقولُه: ((**إنَّ اللهَ على كُـلِّ شَـيءٍ قَـدِير**)) مـا فيـه اسْـتِثْنَاء ((**إن الله على كل شـيء قـدير**)) كتَـبَ الجَلال رحِمَـه اللـه -وهـو السُّيُوطي- على هذه الآية في سورة المائدة قال: " وَخَـصَّ العقـلُ ذاتَـه فليْسَ عليْهَا بِقَادِر " يعني على كُلِّ شيء قَدِير إلَّا على ذاتِه فليـس عليهـا بقادِر، ما تقولُون في هذا الاستِثْنَاء؟ باطل؟ نقُول: هذا لا شَكّ أنَّه باطِـل؛ لأن الآيـة ((**إنَّ اللـهَ علـى كـل شـيء قـدير**)) ((**كـل شَـيء**)) وقولك: إن العقل خَصَّ ذاتَه فليس عليها بقادر نقول: إنَّ العقْل لا يُمْكِنُـه أن يُخَصِّص هذا الخبَر بدون دليل ولو ذهبنا نخصص مثل هـذه العمومـات بالعُقُول لأبطلْنَا كثيرًا مِن دَلَالَات الكتاب والسُـنَّة، ومـاذا تريـد بقولِـك: " خصَّ العقل ذاتَه فليس عليها بقادر "؟ إن أَرَدتّ أنـه سـبحانه وتعـالى لـم يكُن قادرًا على ذاتِه بمعنى أنه لا يقْدِر مثلًا أن يُمْـرِض نفسَـه أو أن يُعْـدِم نفسَه -سُبْحَانَه وتَعَالَى - فهذا أصْـلٌ لـم تتعَلَّـقْ بـه القُـدرة؛ لأنَّ هـذا مِـن الأُمُور إيش؟ المستَحِيلَة، وإن أردتَّ أنَّه لا يقدِر على أن يَفْعَل -ولعلَّ هـذا مرادَه أو ولعلَّ هذا مرادُه- إن أردت أنه ليـس قـادرًا علـى أن يفعَـل لأنَّ الأشاعرة ومَن شابَهَهُم ينكِرُون الأفعال الاخْتِيَارِيَّة فهذا كَذِب، بـل العَقْـل يدُلّ على أنَّه سبحانه وتعالى لم يزَلْ ولا يَزَالُ فعَّالًا لِمَا يُرِيد. {دقيقة}
طيب فيه عِبَارَة تَقَعُ كثيرًا بين النَّاس يقُول: " إنَّ اللهَ علَى ما يَشَاءُ قدِير "، ما تقولون في هذه العبارة؟ ... بنناقشوا ما هي بمسألة هَيِّنَة، اجزِمـوا وإلا انسحبوا.
الطالب: ...
الشيخ: طيب لماذا ؟ نبدأ مَع اليَمِين.
الطالب: لو كان أن الله على ما يشاء قدير لكان .... على غيـر مـا يشـاء غير قَدِير مثل القُدْرَة ...
الشيخ: طيب يعني هذا يُوهِم أن ما لا يَشَاؤُه فلَيْس قادِرًا عليه، طيب هذا واحد.
الطالب: إن كان الإنسان يقول ما أُرِيدُ هذا ... المشيئة لَا يَلْزَم مِن إِثْبَاتِها ... ينفي، يعني على ما يشاء قدير لَا تنفي أنه قَادِر
الشيخ: أنَّه عَاجِز
الطالب: أنه عـاجز علـى غيـر مـا يشـاء، أنَّ اللـه سـبحانه وتعـالى أثبـت لنفسِه هذا
الشيخ: دعنا مِن إنَّه أثْبَت لكن هذه العبارة هل جـاءَت فـي كتـاب اللـه أو سُنَّةِ رَسُولِه؟
الطالب: نعم جاءت.
الشيخ: وين؟
الطالب: إن الله على ما يشاء

طالب آخر: إن الله فعال لما يريد.
الشيخ: .. فعال لما يريد.
الطالب: هو المشيئة والإرادة.
الشيخ: الفِعْل غير القُدْرة، هل هو (ويفعلُ الله ما يشاء)؟ هذي في القرآن ((**وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**))[إبراهيم:27] لكِن القُدْرَة
الطالب: الاختلاف ما في هذا
الشيخ: لا لأن القادر قد يفعَل وقد لا يفعَل.
الطالب: نعم لكن لا .. أنَّه قادِر على غير ما يشاء.
الشيخ: لا، على كل حال ما هو رَدَّك سَلِيم؛ لأنَّ قولَه: ((**على ما يَشَاء**)) أيضًا مُقَدَّم والتَّقْدِيم يُفِيد إيش؟ التخْصِيص، مُقَدَّم على عامِلِه والتقديم يفيد التَّخْصِيص، أي على ما يشاء
الطالب : طيب كيف تَرد هذه أيضًا؟
الشيخ: ترد بلِسَانِ مَن؟
الطالب: في القرآن.
الشيخ: أعطنا مِن هَذا الكَثِير الشَيء اليَسِير؟
الطالب: في هذه في سورة
الشيخ: لك الآن مِن الآن إلى إسبُوعين اقرأ القرآن مِن أولِه إلى آخرِه إذا وجدت (إن الله على ما يشاء قدير)
الطالب: لا، ليس (إن الله على ما يشاء قدير) لكن يعني في نفْس المعْنَى وليس في هذا اللَّفْظ.
الشيخ: ما يخالف ولو في نفس المعنى كأنَّك تُرِيد إنَّ الله قال: ((**وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**))[الشورى:29] نعم، لكِنْ هُنا المشيئة عَائِدَة مُو بعَلَى القُدْرَة، عائِدة على الجَمْع، يعني إذا شاءَ جمعَهم فإنه قدِيرٌ عليهم ردًّا على مَن أنكَرُوا البَعْث وقالوا: كيف إن الله يجْمَع النَّاس ويبعثهم بعد أن ماتوا؟ طيب أنه هذا واحد.
ثانيًا: أنك إذا قلت إنَّه على ما يشاءُ قَدِير فقد خالَفْت التعْبِير القُرْآنِي الذي أَطْلَقَ اللهُ فِيه وعَمَّم ((**إن الله على كل شيء قدير**)).
ثالثًا: أنَّ هذا مَأخُوذ مِن مذهب القدرية؛ لأن القدرية يقولون: " إنَّ الله لا يقدِر على عَمَلِ العَبْد فهو غَيْرُ دَاخِل في قُدْرَةِ الله وإذا لم يقْدِر عليه فإنَّه لا يشاؤُه " نعم، وكذلك يقولون: " إنَّه سُبْحَانَه وتعالى إِذَا كَان فِعْل العبد في غيرِ مَشِيئَتِه فإنه غيرُ قادرٍ عليه؛ لأنَّ اللهَ قادِر على ما يَشَاءُ فقط " فلأَجْلِ هذا نقول: إنَّ هذه العِبَارة لا تنبغي وإن كانَ صاحبُها يُرِيدُ بها معنًى صحيحًا، وقد يريد بها معنًى صَحِيحًا كما هو ظاهِر عبارة كَثِير مِن المسلمِين اليوم تقول بهذا الشيء، ونقول: إنَّ الأكمل أن تقول: إن الله على كُلِّ شيء قدير، فإن قلت: إنه وَرَد في قِصَّةِ الرَّجُل الذي يُدْخِلُه اللهُ الجَنَّة آخِر مَن يُدْخِلُ اللهُ الجَنَّة فيقول الله له لَمَّا قال: (**هذا لك وعشرة أمثالِه**) قالَ اللهُ له: (**إِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِر**) هذا

حديث قُدسي، فالجواب أنَّ هذا فـي قَضِـيَّة مُعَيَّنَـة يعنـي لـو وَقَـع شـيء يسْتَغْرِبُ الإنسانُ وُقُوعَه ويَسْتَبْعِدُه، فلَنَا أن نَقُول: إن الله تعالى إذا شاءَ شيئًا فَهو قَادِرٌ عليه، بمعنى أنه فاعلُه كقولِه تعالى: **((ويفعلُ الله مـا يَشَاء))** بخلافِ القُدْرَة الـمُجَرَّدَة عن الفِعْل فإنَّ هـذه لا تُقَيَّـد بِالْمَشِـيئَة نعم

ظاهِرُ الآية الكريمة أنَّ جميعَ الملائِكَـة رُسُـل فهـل هـذا الظـاهر مُـرَاد؟ تقول: غَير مُرَاد بدليلِ قولِه: **((اللَّهُ يَصْطَفِي مِـنَ الْمَلائِكَـةِ رُسُـلًا وَمِنَ النَّاسِ))**[الحج:75].

طيب **((فاطِرِ السماواتِ والأرضِ))** في هذه الآيـة الكريمـة: بيـانُ كمالِ الله عز وجل حيثُ أثنَى على نفسِه بالحَمْد فقـال: **((الحمدُ للـه))**.

وفيه أيضًا: أنَّ الله عـز وجـل رَحِيـمٌ بعبـادِه يُعَلِّمُهُـم كيـف يحمَـدُونَه؛ لأنَّ قولَه: **((الحمدُ لله))** خبَر لكنْ مَعْنَاه الإرْشَاد والتوْجِيه، كما قال تعالى في آية أخرى: **((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ))**[الإسراء:111] ولهذا لاحَظَ بعض العلماء إلى أنَّها كُلَّما جاءَت (الحمد لله) فهـو علـى تَقْـدِيرِ (قُـلْ) حـتى قـالوا فـي قـولِه: **((الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين))** المعنى: قُل الحَمْدُ لله، ولكِن الصواب خِلَافُ ذلك وأنَّ هذا خبَرٌ مِن الله ونَحْن نَتْلُوه نُثْنِي به على اللـه ولا حَاجَـة إلى أن يأمُرَنا بذلك، طيب.

ومِن فوائد الآية الكريمة: إثبَاتُ اسمِ (الله) للربِّ عز وجل وهـذا الاسْـم خَاصٌّ به لا يُقَالُ لِغَيْرِه وهو أَصْلُ الأَسْمَاء ولذلك تأتي الأسماءُ بعدَه -فـي الغالِب- صِفَةً له، نعم، ولا تأتِي سَابِقَةً عليه إلا نادِرًا كما في قولِه تعـالى: **((إلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ))** [إبراهيم:2] وإلَّا فإن الغَالِب أنَّ الأسماءَ تأتي تَابِعَةً له فهو أَصْلُ الأَسْـمَاء ولهذا لا يُسَمَّى به غَيرُه أبدًا لا عَلَمًا ولا صِفَة بأيِّ حالٍ مِن الأَحْوَال، طيب، وهل هُو مُشْتَقّ أو اسْمٌ جَامِد؟ الصحِيح -بلا شَك- أنـه مُشْـتَقّ؛ لأنّ جمِيـع أسماءِ اللهِ تعَالى مُشْتَقَّة بمعنى أنها دالَّةٌ على المعاني التي أُخِذَتْ منهـا، مِن أين يُشْتَقّ (الله)؟

الطالب: مِن الإله.

الشيخ: مِن الأُلُوهِيَّة، الاشْتِقَاقَات تكُون بالـمَصْدَر، ما هو أصلُ الإله؟ صح أصلُه (الإله) لكنْ (الإله) مِن أين مُشْتَقَّة؟ مِن الأُلُوهِيَّة، طيب.

ومِن فَوائِد الآية الكريمة: أن اللهَ عز وجل هو فَـاطِرُ السـماوات والأرض لم يُشارِكْهُ أَحَدٌ في ذلك؛ لقولِه: ((**فاطِرِ السماواتِ والأرْضِ**)).

ومِنها أيْ مِن فَوَائِد الآيَة الكريمة: كَمَالُ قُدْرَتِه وحِكْمَتِه حَيْثُ ابْتَـدَأَ خَلْـقَ هذه السَّمَاوات العَظِيمـة والأَرْض علـى هـذا النِّظَـام البَـدِيع مِـن غَيـر أن يَسْبِقَ مِثَالٌ يَحْتَذِيه ويَعْتَنِي به، ومعلومٌ أنَّ .. الصَّنْعَة يُشـهَدُ لـه بـالخِبْرة، نعم والقُدْرَة، يعني مَن أنشأ شيئًا جديدًا وصار هذا الشيء الجديد منتظمًا

على تَمَامِ الانتِظَام وغَايَةِ الإِحْكَام فإنَّه يُشْهَدُ لَه بماذا؟ بالكَمَال والخِبْرَة، وفي كَوْنِه فَطَرَ السماواتِ والأرض دليلٌ على القُدْرة وعلى الحِكْمة؛ لأنَّه خلقَهُما على غيرِ مِثَالٍ سَبَق.
ومِن فوائدِها: أنَّ السماوات مُتَعَدِّدَة وقد بَيَّنَ اللهُ تعالى في آيةٍ أُخرى أنَّهَا سَبْع فقال: **((قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))**[المؤمنون:86] وأمَّا الأَرْض فذُكِرَت مُفْرَدَة باعْتِبَارِ الجِنْس وهي - يا طلال!- كم عددها؟
الطالب: عدد الأرض؟
الشيخ: اي نعم.
الطالب: واحدة.
الشيخ: واحدة فقط؟ أي نعم.
طالب آخر: سبع طبقات.
الشيخ : كم الأرض؟
الطالب: سبع أرضين.
الشيخ: سبع أرضِين ما دليلُك مِن القرآن والسُّنَّة؟
الطالب: ...
الشيخ: طيب مِن القرآن.
الطالب: ((**خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**)) .
الشيخ: ((**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**)) [الطلاق:12] ومِن السنة عِيسَى!
الطالب: الحديث: **(مَنِ اقتطع شِبْر مِن الأرض ظلم طُوِّقَه مِن سبع أرضين)** .
الشيخ: **(مَنِ اقْتَطَع شِبْرًا مِن الأرض ظُلْمًا طُوِّقَه يومَ القيامة مِن سَبْع أَرَضِين)** بارك الله فيك طيب.
الطالب : في حديث ثالث : **(السماوَات السبع والأرضين السبع)**
الشيخ: أقول: في أحاديث ما هو حديث ..
الطالب: لكن ما هو يعني .. من هذا؟
الشيخ: لا هذا أسهل.
الطالب: .. يُطَوَّقه
الشيخ: مِن سَبْع أرضين .. سبع أرضين.
طيب مِن فوائدِ الآية الكريمة: إِثْبَاتُ المَلَائِكَة؛ لقولِه: ((**جَاعِلِ المَلَائِكَة**)).
ومِن فوائدِها: أنَّ مِن الملائكةِ مَنِ اصْطَفَاهمُ الله تعالى رُسُلًا إلى الخَلْق بالوَحْي، إيش بعد؟ وغيرِ الوحي، بالوَحْي وغيرِه؛ لقولِه: ((**جاعِلِ الملائِكَة رسلًا**)).

ومنها: أنَّ هؤلاء الرُسُل لهم أجْنِحَـة، أجنِحَـة مُتَعَـدِّدَةُ الأصْـنَاف ومتعـدِّدَةُ الأعْيَان، يعني أنها متعددة كَمِّيَّـة وإيـش بعـد؟ وكَيْفِيَّـة؛ لقـولِه: ((**أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**)).

ومِنها أي مِن فوائدِ الآية: أنَّ فيها إشارَةً إلى سُرَعَةِ تَنَقُّلِ الملَائِكَـة لِقُـوَّةِ أجْنِحَتِهم؛ لقولِه: ((**أولي أجنحة**))، وإنما قُلْت: (لقوةِ أجنحتهـم)؛ لأنَّـه لولا أنَّ لهذه الأجنِحَةِ مَزِيَّةٍ عَظِيمَة استَحَقَّتْ أن يُنَـصَّ عليهـا لكـان يُـذْكَر غير الأجْنِحَة كالرُؤُوس مثلًا، ولكن ذَكَر الأجْنِحَة لِما فيها مِن القُوَّةِ لحملِها هؤلاءِ الملائكة ولأنَّها تكُون عند .. أسرع، واضِح؟ وقـد ذكَرْنـا مِثَـالًا لـذلك يدُلُّ على أنَّ الملائِكَة أسرَعْ مِـن غيرِهـا فـي الطَيَـرَان فـي قِصَّـة عَـرْش بِلْقِيس، أي نعم.

ومِن فوائدِ الآية الكريمـة: أنَّ اللـه عـز وجـل يزِيـدُ علـى الاثنيـن والثلاث والأربع ما يَشَاء؛ لقولِه: ((**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**)).

ومنها أيضًا: أنَّ الله تعالى فَضَّلَ المخلوقـات بعضَـها علـى بعـض لقـولِه: ((**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ**)) والزيادة مقابِلُها نَقْـص، إذًا فهنـاك مُفَاضَـلَة بَيْـن الـمَخْلُوقَات بعضُها مع بعْض، ولكن هل الـمُراد القُـوَّة أو كِبَـرُ الجِسْـم أو العَقْل أو العِلْم أو الـمَعْدَن؟ الجـواب العُمُـوم؛ لأنـه قـال: ((**يَزِيدُ فِـي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**)) فهذا يزيدُه قُوَّةً في الجِسْـم، وهـذا يزيـده قـوَّةً فـي العقْل، وهذا يزيدُه قوةً في الخُلُق، وهذا يزيدُه قُوَّةً في العِلْم إلى آخِره.

ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّـك إذا وَجَـدتَّ مِـن نفسِـك نقصًـا فـي خَلْقِـك فاطلُبْه مِمَّن؟

الطالب: مِن الله سبحانه وتعالى.

الشيخ: .. مِن؟ مِن الله؛ لأن قولَه: ((**يَزِيدُ فِـي الْخَلْـقِ مَـا يَشَـاءُ**)) معنَاه لا تَسْأل الزِيَادَة في خَلْق ولا خُلُق إلا مِـنَ اللـه عَـز وجـل؛ لأنَّـه هـو الـمَانُّ بما يزيدُ به سبحانه وتعالى.

ومِن فوائدها: إثْبَاتُ الـمَشِيئَة؛ لقولِه: ((**ما يشاءُ**))، وقـد مَـرَّ علينـا أنَّ المشِيئة في كُلِّ ما وَرَدَتْ مُعَلَّقَةٌ بماذَا؟ بالحِكْمَة، واسْتَدْلَلْنا لِـذلك بقـولِه تعـالى: ((**وَمَـا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلِيمًـا حَكِيمًا**))[الإنسان:30] طيب.

ومِن فوائد الآية الكريمة: إثباتُ القُدْرَةِ العامَّـة ((**إِنَّ اللَّهَ عَلَـى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)) فهو قَادِر على أن يزيدَ في الخَلْق ما يشـاء، وقـادرٌ علـى الإيجَاد والإِعْدَام.

ومِن فوائد الآية الكريمة: الرَدّ علـى القَدَرِيَّـة الـذين يزعُمُـونَ أنَّ أفعَـالَ العَبْد غير مَخْلُوقَةٍ ولا مَقْدُورَةٍ لله، مِن أين يُؤْخَذ؟ ما وجهُ .. ، نعم يا عبـد الرحمن؟

الطالب: ... كُلَّ هذا الشيء نَكِرة كل شيء ...

الشيخ: كُل ما يحتاج نقول: نكرة؛ لأنَّ (كل) من صِيَغِ العُموم سواءٌ كانت نكرة أو معْرِفة.

الطالب: ...
الشيخ: صح؛ لعُمُومِ قولِه: ((**على كل شيء قـدير**)) وأفعـالُ العَبْـد مِن الأشْيَاء طيب.
ثم قال الله تعالى: ((**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِـنْ رَحْمَـةٍ فَلا مُمْسِـكَ لَهَا**)) هذا ابتداءُ الـدرْس اليَـوم قـال: ((**مَا يَفْتَـحِ اللَّـهُ لِلنَّـاسِ مِـنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا**)) يقول: ((**مَا يفْتَح**)) ((**مَا**)) شرْطِيَّة تجْزِم بدَلِيل الفِعْلِ بعدها ((**ما يَفْتَـحِ**)) ولكـنَّ الفعـل بعـدها أمامَنـا مكسـور ((**ما يفتحِ الله**)) فنقُول: إنَّ هذه الكَسْرة عابِرَةٌ مِن أجل توقِّي الْتِقَاءِ الساكِنَيْن وإلا فإنَّها مَجْزُومَة فأصله: (مـا يَفْتَـحْ) حُـذِف بالكَسْـر؛ لِالْتِقَـاءِ السَّاكِنَين كقولِه تعالى: ((**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**))[البينة:1] وأصـلُها ((**لم يكُنْ**))، وقولُه: ((**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِـنْ رَحْمَـةٍ**)) (يفْتَـح مِن رَحْمَة) الفتْح فَتْحُ الشَيْء إزَالَةُ الحَوَاجِزِ دُونَه، يعني مَثَلًا فتحْت البيت يعني أزَلْت الحَاجِز الـمَانِع مِن دُخُولِه وهو البَاب، والرَّحْمَة إذا فُتِحَتْ فإنَّ الإنسَان يَدْخُل إلَيْها ويَمْكُث فيهـا، وقـولُه: ((**مِـن رَّحْمَـة**)) ((**مِـن**)) بيانٌ لِـ(ما) و(مَا) شَرْطِيَّة مُفِيدَة لِلعُمُـوم، وعلـى هـذا فيكـون فـي الآيـة عُمُـومٌ أي: أيُّ رَحْمَـةٍ يفتَحُهـا اللـهُ عـز وجـل للنَّـاس فلا أحَـدَ يسـتَطِيعُ إمْسَاكَهَا، وقولُه: ((**مِن رَّحْمَة**)) قال المؤلف: " كرِزْقٍ ومَطَر " وهـذا على سبيل التَمْثِيل لا الحَصْـر؛ لأنَّ رحمَـةَ اللـه أكثَـر مِـن ذلـك قـال اللـه تعالى: ((**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**))[النحل:53] ((**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيـمٌ**))[النحـل:18] رَحْمَـةُ اللهِ عز وجل لا تُحْصَى فـي أنواعِهـا فضـلًا عـن أفرَادِهـا، وقـولُه: ((**فلا مُمْسِكَ لها**)) أي: فلا أحـد يمسِـكُها بـل ستَصَـل إلـى مَـن فَتَحَهـا اللـهُ تعالى له ولا يرُدُّها أحَد، كما جاء في الحديث الصـحيح أنَّ الرسـول عليـه الصلاة والسلام كان يقُولُ بعد الرفْع مِن الرُّكُوع: (**اللهُمَّ لا مَـانِعَ لِمَـا أَعْطَيْت ولَا مُعْطِـيَ لمـا مَنَعْـت ولا يَنْفَـعُ ذِا الجَـدِّ مِنْـكَ الجَـدّ**) ويقول كذلك بعد الصَّلاة: (**اللهُمَّ لا مَانِعَ لِمَـا أَعْطَيْـت ولَا مُعْطِـيَ لما مَنَعْت ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدّ**)، وقـال النـبيُّ عليـه الصـلاة والسلام لعبدِ الله بنِ عبَّاس: (**واعلَمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أن يَضُرُّوكِ بِشَيْء لم يَضُرُّوك إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لَك**)، فلا أحَـد يسْتَطِيع أن يُمْسِكَ رَحْمَةَ الله مَهْمَا عَمِل حتى لو حَاوَل الحَسَد والتَّشْـويه ومَنْع الرِّزْق ما يسْتَطِيع، إذَا فَتَحَ اللهُ الرَّحْمَة على العَبْـد لا أحـدَ يسْـتَطِيع أن يَحُـولَ بينَـه وبَيْنَهَـا، ولهـذا جـاءَت ((**لا مُمْسِـكَ لهـا**)) و(لا) نافِيَـةٌ للجِنْس وهي أنَصُّ شَيْءٍ على العُمُوم؛ ولهذا عُمُوم (لا) النَافِيَة للجِنْس لا تَخْصِيصَ فِيه أبَدًا قال: ((**فلا مُمْسِكَ لها**)) وهنـا قـال: ((**مَـا يَفْتَـحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا**)) الضمير في ((**لَها**)) يعُود على الرَّحْمَة، نعم.

((**وَمَا يُمْسِـكْ فَلا مُرْسِـلَ لَـهُ**)) لعلِـك تتَوَقَّـع أن يكُـونَ نـصُّ الآيـة الكريمة: (وما يُمْسِك فلا مُرْسِلَ لها)؛ لأن الكلام الآن في الرحْمَة، وهـو وفي الجُمْلَـة الأولـى قـال: ((**فلا مُمْسِك لهـا**)) فيقْتَضِـي أن تكُـونَ الجملةُ الثَانِية كالأولَى أي: (وما يمسك فلا مُرْسِلَ لها) هكذا تتوَقَّع ولكـن لَيسَ الأمرُ كذلك؛ لأن قولَه: ((**وما يمسك**)) لم يُخَصَّص بالرَّحْمَة حتى نقُول: إنَّ المتوقع أن يقول: فلا مُرْسِلَ لها، بل قال: ((**وما يُمْسِـك**)) وحَذَف الـمُتَعَلَّق؛ لِيُفِيد العُمُوم أي: ما يُمْسِكْ مِن رَحْمَة وما يُمْسِـكْ مِـن شَرّ فلا مُرْسِلَ له حتى الضَّرَر الذي يُمْسِكُهُ الله عَزَّ وجل لا أحدَ يُرْسِـلُك إلَيه أو يُوصِلُه إلَيْـك حـتى الرَّحْمـة الـتي أمسـكَها اللـهُ عنـك لا يُمكـن أن يرسلَها أحدٌ إليْك، ولهذا أحيانًا يسْعَى الإنسان إلى ما يَرَى أنَّه مِـن رحْمَـةِ الله مِن رِّزْقٍ وغيرِه ثم يحولُ القَـدَر بينَـه وبينَـه، أحيانًا يتعَـرَّضُ الإنسان لِأَخْطَار ولكن يسْـلَم منهـا قـد تحصـل يحْصُـل بالسـيارة إلـى .. أو صـدْم فيموتُ أناس أطْوَل منك أجسامًا وأقوى منك منْعة وتبقَى أنـت، إذًا اللـه أمْسَكَ عنك الضَّـرْر ولّا لا؟ ولـولا هـذا الإمْسَـاك لَهَلَكْـتَ فيمـن هَلَـك، إذًا نقول: ((**ما يُمسِكْ فلا مُرْسِلَ له**)) أي لما أمْسَكَه فعَادَ الضمير فـي (لا مرسلَ له) على لفْظِ (ما) ولفـظ (مـا) مُـذَكَّر ولّا مُ ؤَنَّث؟ لفـظ (مـا) مُذَكَّر بخلافِه في الأوَّل فعَادَ على رَحْمَة لأنَّها مُؤَنَّثَة، انتبِـهْ! الآن تـبيَّن لنـا أنَّ السِّيَاق على أتَمّ مَا يكُون مِن البَلَاغَة وأننا كُنَّا نتوقَّع أنَّه يقـال: ((**فلا مُرْسِلَ لها**)) ليس على ما نَتَوَقَّع ليش؟ لِأنَّ قولَه: ((**ومـا يُمْسِـكْ**)) لا يعني الرَّحْمَة .. عَامّ ولهذا نقُول: إنَّ قولَ المؤَلِّف: " **ومَا يُمْسِكْ مِن ذَلِك** " فيه قُصُور؛ لأنَّ قولَه: " مِن ذَلِك " يعُود إلى الرَّحْمَة ولكن نقـول: ((**وما يُمْسِكْ**)) مِن ذَلِكَ وغَيْرِه ((**فلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِه**)) قولُه: ((**مِن بَعْدِه**)) قـال المؤلِّـف: " **أي بعدَ إمسـاكِه** " وهـذا لاشـكَّ أنَّـه احْتِمَال وأنه يحتَمِل أن يكون الضمير راجِعًا إلى (إمساك) المسْـتَفَاد مِـن قوله : ((**يُمْسِك**)) انتبه! طيِّب إذا قِيل: هل لهذا نظير أن يعودَ الضمير على المصْدَر الـمَفْهُوم مـن الفِعْـل قبلَـه؟ لأنَّـه مِـن المعلُـوم أنَّ مَرْجِـع الضمير لابُدَّ أن يكونَ اسمًا مَذْكُورًا قَبْل أو بَعْد أو مُقَدَّر، المهم أن مَرْجِـع الضَّمِير اسْم، الاسـم إمَّـا أن يُـذْكَر بلفظِـه الصَّـرِيح مُقَـدَّمًا أو مُـؤَخَّرًا أو مُقَدَّرًا، وإمَّا أن يُؤْخَذ مِـن مَصْـدَر فِعْـلٍ سَـابِق، هُنَـا أرى كَلَام الـمُؤَلِّف : ((**مِن بعد**)) يقُول: " أي مِن بَعْدِ إمسَاكِه " فنقول: أين كَلِمَـة إمْسَـاك هل سَبَقَتْ؟ نعم سبَقَت؛ لأن ((**يُمْسِك**)) فِعْـل مـأخُوذ مِـن أيـن؟ مِـن الإمْسَاك، إذًا فَقَـد تَضَـمَّنَ الفعْـلُ ذلـك المرْجِـع وهـو الإمْسَـاك ... قـولِه تعالى: ((**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**)) ((**هو**)) أي العَدْل الـمَفْهُوم مِن قولِه: ((**اعْدِلُوا**)) أَقْـرَبُ لِلتَّقْـوَى .. يقـول: " الأصْـل فـي مَرْجِـع الضَّمِير أن يكُونَ اسْمًا مَذْكُورًا مُتَقَدِّمًا، مُطَابِقًا أيْضًا وقد يتَأَخَّر وقد يُقَـدَّر وقد يكونُ مفهومًا مِن مَصْدَرِ فِعْلٍ إيـش؟ سَـابِق كمـا فـي قـولِه تعـالى: ((**اعدِلُوا هو أقـرَبُ للتَّقْـوى**)) وكمـا فـي هـذه الآيـة علـى تقْـدِير

المؤلف، هل يُمْكِن أن يحْتَمِل عَوْدُ الضمير علـى غَيْـرِ الإمْسَـاك؟ شـوف الآية، على الله عز وجل؛ لِأَنَّه قال: ((**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**)) أي مِـن بَعْـدِ الله وتكُونُ كقولِه تعالى: ((**أَفَرَأَيْتَ مَـنِ اتَّخَـذَ إِلَهَـهُ هَـوَاهُ وَأَضَـلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَـمَ عَلَـى سَـمْعِهِ وَقَلْبِـهِ وَجَعَـلَ عَلَـى بَصَـرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ**))[الجاثية:23] ويكونُ الضمير فـي قولِه: **((مِن بَعْدِه))** عائِدًا إِلَى اللهِ عز وجل وهذا أقرَب؛ لأَنَّه أدَلّ على كَمَالِ التَصَرُّف في حَقِّ الله سبحانه وتعالى

ثم قال: ((**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)) قال: " (العَزِيزُ) الغَالِب على أَمْـرِه (الحكيم) في فِعْلِه " أظُنُّ أنَّ كُلَّ واحِدٍ منكم بإمْكَـانِه أنْ يقـول: إنَّ هـذا التفسير قَاصِر، تفسِير المؤلف الآن قَاصِر؛ لأنَّ قولَه: " (العزيز) الغـالب على أمره " هذا أحَدُ مَعَاني العَزِيز، فإنَّ (العزِيز) لَه ثلاثـة معـاني: عِـزَّةُ القَدْر والقَهْر والامْتِنَاع، طيب القَهْر هو معنى قولِه: " الغالِب علـى أمْـرِه " ونقول: إنَّه يَشْمَل الغالِب عَلَى أمْرِه الذي لَا يُغْلَب وهذا هو القَـاهِر، ذُو القَدْر الرَّفِيع العَالي وهذا معنى قولناَ: عِزَّة القَدْر، عِزَّةُ الامتناع يعني أنَّـه يَمْتَنِع أن يَنَالَه سُوءٌ أو نَقْـص أو عَيْـب، فـالعِزَّةُ إذًا ثلاثَـةُ معـاني، وليسـت معنًى واحدًا، أمَّا ((**الحكيم**)) فقال المؤلِّف: " في فِعْلِـه " وهـذا أيضًـا قُصُور فإنَّ الله تعالى حَكِيمٌ فـي فِعْلِـه وقَـوْلِه، فـي قَـدَرِهِ وشَـرْعِه، فـي الكُلّ، بل إنَّ الحكيم لها معنًى آخَر؛ لأنها مأخوذة مِن الحُكْم والإِحْكَام فهُو ذو حُكْمٍ وذو إِحْكَام، والحُكْم كَوْنِيٌّ وشَرْعِيّ، والإِحْكَامُ في الغَايَـة أو فـي الصُّورَةِ التي عليها الشيء، فالجميعُ أربعةُ أنْوَاع، طيب، ولكن يقْرِنُ اللـه تعالى دائِمًا بين العِزَّة والحكمة لِمَا في ذلك مِن كَمَال يزداد به

((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**)) نقول: تصْدِيرُ الخِطَاب بالنِدَاء يدُلُّ على الاهْتِمَام بِه والعِنَاية به؛ لأن النِدَاءَ يَتَضَـمَّنُ التَّنْبِيـه ولهـذا إذَا قُلْت للطالِب: يا وَلد! فإنه ينْتَبِـه، فتصْـدِيرُ الحُكْـم بالنـداء يَـدُلُّ علـى العناية به؛ لأن النِدَاء يُفِيد إيش؟ التنْبِيـه، وقـولُه: ((**يـا أيهـا النـاس**)) قال المؤلف: " **أهلُ مَكَّة** " وهـذا -بلا شـك- قُصُـور؛ لأَنَّ (النـاس) عَـامّ والواجبُ علينا في القرآن والسُّنَّة أن نُبْقِيَ العَامَّ على عُمُومِه حتى يقُومَ دَلِيل على إِرَادِة الخُصُوص وإلَّا فـإنَّ الـوَاجِب إبْقَـاؤُه علـى عُمُـومِه؛ لأنَّـه ليس لنا حَقّ في أن نَتَصَرَّف في مَدْلُولَاتِ الأَلْفَاظ الـمُخَالِفَة لِظَاهِرِهـا إلا بِدَلِيلِ من الـمُتَكَلِّم، نعم، أو مَن يَتَكَلَّمُ مُبَيِّنًا كَلامَه كالرَّسُول عليه الصـلاة والسلام فالنِدَاءُ إذًا إيش؟ عَامٌّ لِجَمِيعِ الناس ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُـرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ**)) ((**اذْكُـرُوا**)) الـمُرَادُ بالـذِّكْرِ هُنـا ذِكْـرُ النِّعْمـةِ بِـالقَلْب وذكرُها باللسان وذكرُها بالفِعْلِ بِالجَوَارِح انْتَبِه! ذكرُها بالقَلْب بأن يتَأَمَّـلَ الإنسان مِن أين هذه النعمـة أَتَـتْ؟ مَـنِ الـذي خَلَقَـك؟ مَـنِ الـذي أَمَـدَّهُ بالرِّزْق وهو في بَطْنِ أمِّه لم يخْرُجْ مِن بَعْد؟ مَنِ الذي أعَدَّه لِقَبُولِ ما يَمُرُّ به وتصَوُّره وتَعَقُّلِه وتَنْفِيذِه؟ الجواب: الله فأنت إذا تَـذَكَّرْتَ فـي قلبِك – ونسْأل الله أن يُعِيذَنَا وإيَّاكُم مِن الغَفْلة- إذا تَذَكَّرْتَ في قلبك هذه الأُمُور عرَفْت أن مَا بِكَ مِن نِّعْمَة فهو مِنَ اللهِ عَزَّ وجل فالـذكر النِّعْمَـةِ بـالقَلْب أنَّ الإنسان يَتأَمَّل يقول: مَنِ الذي أوْجَدَنِي؟ مَن؟ أَجِبْ! اللـه، مَـنِ الـذي أَمَدَّنِي بالنِّعَم {يرْحَمُك الله} وأنا في بَطْنِ أمِّي لا يسْتَطِيعُ أحَدٌ أن يُوصِلَ إِلَيَّ لُقْمَةَ العَيْش أو جُرْعَة الـمَاء؟ هُو الله عَزَّ وجَل، ثُمَّ مَنِ الـذي أعَـدَّنِي وهَيَّأَنِي لأن أكُونَ قَابِلًا لِمَا فيه مَنْفَعَتِي في الدنيا والآخِرَة؟ اللهُ عز وجـل، فالنعم إِيجَاد وإِمْدَاد، والشِقُّ الثالث: إعداد، انتَبِه! إِيجَـادٌ وإمْـدَادٌ وإِعْـدَادٌ كل ذلك مِن الله سبحانه وتعالى هذا ذكرُها بـالقَلْب، ذكرُهـا باللسَـان أن نُثْنِيَ على اللهِ بها ((**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**))[الضحى:11] فيَتَحَدَّثُ بالنِّعَمِ لا على سَبِيلِ الافْتِخَار ولكن على سَبِيلِ الثَنَاء، ذِكرُها بـالجوارح أن يُرَى أَثَرُ هذه النِّعْمة عليه فإن كَانَتِ النِّعْمَةُ عِلْمًا رُئِيَ أَثَرُ هَذَا العِلْمِ عَلَيْـه بِحُسْنِ التَصَرُّف والوَقَار والسَّكِينَة والأدَب ونَشْر العِلْم والدَّعْوَة إلى اللـه عز وجل، هذا مِثَال، إذا كانَ بِمَال يُرَى أَثَرُ نعمَتِه عليه بالإِنْفَاق فِيمـا يُحِبُّـهُ الله عز وجل مِنَ الزَّكَاة والنَّفَقَاتِ الوَاجِبَة والصَّدَقَاتِ الـمُسْتَحَبَّة والثِّيَاب الجَمِيلَة وما أَشْبَهَ ذلك، (**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَة أن يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِه عَلَيْه**) هذا ذِكْرٌ بماذا؟ بـالجَوَارِح، فصَـارَ الـذِّكْر يَشْـمَل ثَلَاثَة أُمور: الذكْرَ بالقَلب إيش بعد؟ واللِّسَان والجَوَارِح، ومن ذِكْرِ النِّعْمَة بِالجَوَارِح أَيْضًا أن يَقُوم بشُكْرِها أن يقُوم بالشـكر والله عـز وجـل أمَرَنـا بذِكْرِ نِعْمَتِه لِلْغَايَة وهي: قال تعالى: ((**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**))[البقرة:152] ليس المـراد أيضًـا أن تَـذْكُر النعْمَـة فَقَطْ بل لا بُدَّ مِن قَرْنِ هذا الذِّكْر بالشُّكْر ((**اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُـمْ**))، وقولُه: ((**نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**)) ((**نِعْمَة**)) هنا مُضَاف .. الـمُضَاف

فيَشْمَل جَمِيعَ النعم وهي .... ((**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**)) [إبراهيم:34]((**اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ**)) قال المؤلف: " بإسكانِكم الحرم ومَنْع الغَارَات عَنْكُم " هذا التفسير بناءً على إيش؟ على أنَّ المُخَاطَب أَهْلُ مَكَّة ولكن نقول: ((**اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**)) بالنِّعْم التي لا تُحْصَى وهي كَثِيرَة جِدًّا كما أسْلَفْنَا الأَمْثِلَةَ عليها، فكُل نعمة بالإيجَاد إيش بعد؟ والإِمْدَاد والإِعْدَاد كل هذه مِنَ الله عز وجل ((**اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُم**))

((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**)) يعني إِذَا تَقَرَّر أن ذكَرْتُم نِعْمَةَ اللهِ عليكم فإننا نُوَجِّه إليكُم هذا السُّؤال المتَضَمِّن لِلنَّفْي " ((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**)) (مِن) زائِدَة و(خَالِقٍ) مُبْتَدَأ ((**غَيرُ اللهِ**)) بالرَّفْعِ والجَرِّ نَعْتٌ لِـ(خَالِقٍ) لَفْظًا ومَحَلًّا. وخَبَرُ المبْتَدَأ ((**يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**)) " أولًا: ((**هَلْ مِن خالق**)) (هل) أداةُ استِفْهام حَرْف، فهي أداةُ استفهام و(مِنْ) زائِدَة، زَائدَةٌ زَائِدَة، كيف (زائِدَةٌ زَائِدَة) .. ؟ زائِدَةٌ لَفْظًا زَائِدَةٌ لِلمَعْنَى؛ لأنها تفيد تَوْكِيد النَّفْي والتَّنْصِيص على العُمُوم ((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ**)) فـ(خالق) إذًا مُبْتَدأ مَرفُوعٌ بِضَمَّةٍ مُقَدَّرَة على آخره مَنَع مِن ظُهُورِها اشْتِغَالُ المَحْلّ بحَرَكَة حَرْفِ الجَرّ الزَائِدِة طَيب، ((**غيرُ الله**)) فِيه قِرَاءَتَان (غَيْرُ) و(غَيْرِ) وكلاهما صحيح نعم، أمَّا على قِرَاءَةِ الجَرّ ((**غَيْرِ الله**)) فهي صِفَة تَابِعَةٌ لِلَّفْظ لَفْظ(خَالِقٍ)؛ لأنْ(خَالِقٍ) مجرور، وأما على قراءَةِ الرَّفْع فهي صِفَة تابِعَةٌ لِمَحَلّ (خَالِقٍ)؛ لِأنَّ مَحَلَّهُ الرَّفْعُ على الابْتِدَاء ولهذا قال المؤلف: " بالرَّفْعِ والجَرّ نَعْتٌ لـ(خَالِق) لَفْظًا ومَحَلًّا " فِي كلامِ المؤلف: لَفٌّ ونَشْرٌ مُشَوَّش، نعم، عبد الرحمن بن داود يبَيِّن لنا في كلامِ المؤلِّف لَفٌّ ونَشْرٌ مُشَوَّش.

الطالب: ..... هو على كلِّ اللف والنشر ... هو أن يُقَدِّم

الشيخ: ما أُرِيد أن تُعَرِّفَنِي به أنَا ..

الطالب: .....

الشيخ: طيب من يعرف....نعم .

الطالب: لأنه قال بالجر .

الشيخ: لا.

الطالب: قال: نعت لِ(خالق).

الشيخ: شوف ((**غير الله**)) إيش يقول بعدها؟

الطالب: .....

الشيخ: طيب.

الطالب: .....

الشيخ: وهذا الجر؟ ومحلّه هذا للرَّفع، لا، هذا لَفّ ونَشْر مُشَوَّش

الطالب: غير مُرَتَّب

الشيخ: نقول غير مُرَتَّب إذا صار في القرآن أو في الحديث، أما في كلام الناس نقول: مُشَوَّش فليكن مُشَوَّش، نعم طيب، " بالرفع والجر نعت

لـ(خالق) " لو كان مرتَّبًا لقال: نعتٌ لـ(خـالق) مَحَلًّا ولفظًـا؛ لأنـه بـالرفع يكون نعت الـمَحَلّ، بالجَرّ يكون نعتًا لِلّفْظِ، طيب ما يهـم علـى كُـلِّ حـال إنه ((**غير اللـه**)) فيهـا قراءَتـان ولِكُـلٍّ منهمـا وجْـهٌ .. بـه، وقـولُه: ((**يرزُقُكم**)) يقول المؤلف: " خَبَرُ المبتدأ " هل الفعل نفسُه خبَرُ المبْتَـدَأ أو الجملة؟

الطلبة: الجملة.

الشيخ: الجملة لكنَّهم عند الإعراب يتسَاهَلُون انتبهوا لهذا فمثلًا لو قلـت: فلانٌ في المسجد يقول: في المسجد جار ومجْرُور خبر المبتـدأ، ((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ**)) يقول: ((يَرْزُقُكُم)) خبرُ المبتـدأ، وإن كان هذه جملة، قوله تعالى: ((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ**)) هـو اسـتفهامٌ بمعنـى النفي وقد ذكرنا سابِقًا أنَّ الاستفهامَ إذا كان بمعنى النفْي فـإنه مُشْـرَبٌ معنى التَحَدِّي يعني لو قـال: لا خـالِقَ غيـر اللـهِ يرزقُكـم. اسـتقامَ الكلام لكنْ قال: ((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ**)) صارَ أبلَغ؛ لأنـه يتَضَـمَّن النَّفـي والتَحَـدِّي كأنَّه يقول: أروني خالِقًا غيرَ الله يرزقُكم مِنَ السماءِ والأرض، كمـا قـال تعالى في آية أخرى: ((**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ**))[فاطر:40] طيب يقول: ((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**)) (خالِق) الخَلْـق فـي اللُّغـة: التقْدِير ومنه قولُ الشاعر:

ولأنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وبعضُ الناسِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْرِي

(تَفْرِي ما خَلَقْت) يعني ما قَـدَّرْت ولكنَّـه يُطْلَـقُ علـى الإِيجَـاد المسْـبُوقِ بتقْدِير، نعم، فهو خالِق بمعنى

الطالب: ..

الشيخ: لا، بمعنى مُوجِد إيجَادًا مَسْبُوقًا بتقْدِير، طيب ((**هَلْ مِنْ خَـالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**)) الجواب؟ لا، لا خـالِقَ غيـرُ اللهِ يرزُقُنا مِن السماءِ والأرض، وقد سبق لنا إيرَادٌ على نَفْيِ الخلْق عَمَّـا سوى الله، وقلنا: إنَّه قد جـاءَت نُصُـوص تـدُلُّ علـى أنَّ غيـرَ اللـه يخلُـق، وأجبْنَا عن ذلك بماذا؟ بأنَّ خلقَ غيرِ الله؟

الطالب: ليس إيجادًا.

الشيخ: نعم ليس إيجادًا ولكنَّه تحوِيلٌ مِن صُورَة إلى صُـورَة وأيضًـا ليـس عامًّا، والشيء الثالث: أنَّ خلْقَ غيرِ الله هـو مِـن خلْـقِ اللـه .. ((**وَاللَّـهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**))[الصافات:96] حتى ... إذا خلقْت هـذا الشـيء يعني أوجدته بمعنى غيرْته مِن حال إلى حال فإنَّ فِعْلي هـذا مخلُـوقٌ للـهِ عز وجل، فعليه نقول: إنَّ الخالقَ الحقيقي هو الله، وقولُه: ((**يرزقُكـم**)) بمعنى يعطِيكم لأنَّ الـرزق بمعنـى العطـاء كمـا فـي قـولِه تعـالى: ((**فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ**))[النساء:8] وقولُه: ((**مِن السماء**)) فسَّر المؤلف الرِّزْق مِنَ السماء بالمطر وهذا لاشـكَّ أنَّـه داخـل فيـه فـإنَّ المطـر مِـن الرزق النازل مِن السماء، وهل هناك غيرُه رِزْق ينزل مِنَ السماء؟

الطالب: الوحي.
الشيخ: نعم الوَحي وهو ليس معنا، وفي شيء آخر.
الطالب: المن والسلوى.
الشيخ: المن والسلوى، وش المن والسلوى؟
الطالب: ..أنزل على بني إسرائيل.
الشيخ: على بني إسرائيل، طيب لِم اذا لا نقُول الطيور مطلقًا مثلًا؟ ((**أَوَلَمْ** [كذا] **يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**)) [النحل:79] فهي تنْزِل مِن السماء وهي رِزْقٌ لِلعِباد أيضًا.
الطالب: ومِن الأرض.
الشيخ: ومِن الأرض، هي مِن الأرض ومِن السماء، طيب ممكن أن نقول إنَّ الطَّل مِن الرزق؟ ..... الرُّطوبة هي مِن السماء أيضًا وهي رِزْق؛ لأنها تنْفَع الأشجارَ، طيب، وقولُه: ((**مِنَ السَّمَاءِ**)) ((**و**)) مِن ((**الأَرْضِ**)) قدَّر (مِن) إشارةً إلى أنَّ الأرض معطُوفة على إيش؟ السماء، النبات صح؟
الطالب: ....
الشيخ: صح لكنه قاصِر لأنَّ الرِّزْق مِن الأرض أكثَر مِن النَّبَات: النَّبات والمعادِن والمياه وغير ذلك، كثِير، مِن الأرض، وقولُه: " وللاستفْهَام للتقرير أي لَا خالِقَ رازِقَ غيرُه " قولُه: " للتقرير " ثم قال: " أي لا خالق " هذا شبه تناقُض؛ لأنَّ قوله:" لا خالق " يقتضي أن يكون معناه النفْي وهو كذلك، فهو للنفي المُشْرَبِ التَّحَدِّي، وأنَّه لا خَالِق إلا الله، إذا كان لا خالقَ إلا الله سبحانه وتعالى فما الواجب: أن نعْبُدَ الله وحدَه أو لا؟ اسْتَمِعْ قال الله عز وجل: ((**لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**)) أي لا مَعْبُودَ حقٌّ إلا هُو، وكيف تعلمون أنَّه لا رازق يرزُقُنا مِن السماء والأرض إلا الله ثم تذهَبُون تعبُدُون غيرَه؟! هل هذا إلَّا نَقْصٌ في التصَوُّر ونقص في العَقْلِ أيضًا والتصرُّف، نقْصٌ في التصَوُّر والعَقْل والتَصَرُّف أليس كذلك؟ إذا كان لا رازِقَ إلَّا الله كيف تعبُد اللات والعُزَّى ومَنَاة وهُبَل والأشْجَار والأحْجَار والشَّمْس والقَمْر والبَقَر أيضًا؟! فيه ناس يعبدُون البَقَر، نعم، يقولون: إن فيه ناس اليوم يعبُدُون البقَر، وأنَّه إذا مَرَّت البَقَرَة على طريق القِطَار الحَدِيد فإنه يجِب أن يَقِف ولو تَكَسَّرَ كُلُّ مَن فيه، نعم وطبعًا القطار يمشِي بسرعة إذا وقَف تَصَادَمَت الأقواس ومات اللي فيها وتكسر، يقول لازم؛ لأن هذه إلَه والإلَه ما يمكن إنَّك تدعَسه.
الطالب: ... ولَّا تدخل الدكان وتاكل
الشيخ: وتأكُل ما شاءت وتدَع ما شاءَت، المهم هل هذه عقول؟ ما هي عقول، في الجاهلية يصْنَعُون إلهًا من التَّمْر فإذا جاعوا أكَلُوه، نعم، أكَلُوا الإلَه
فإذا كانَ الله عز وجل هو الرازق وحدَه باقرارِكم واعْتِرَافِكم فيَجِب أن يكُون هو المعبُودَ وحدَه؛ لقوله: ((**لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**)) إعرَابُ هذه الجملَةِ

العظيمة التي بها يدخل الإنسان في الإسلام أو يخرُج، يدخُل إن أَقَرَّ بِهَـا ، ويخرُجْ إن أَنْكَرَهَا، إعرابُها فيها ستُّ أوجُه للنحْوِيِّين، وألَّف بعـضُ العلمـاء رسالة في ذلـك ولكِـن أحْسَـن مـا يُقَـال فـي إعرابِهـا: أنَّ ((**لَا**)) نافيـةٌ لِلجنس و((**إِلَهَ**)) اسمُها، وخبرُها محذُوف تقديرُه حَقّ (لَا إِلَـهَ حَـقٌّ) و((**إلا**)) أدَاة استِثْنَاء وحرْف و((**اللهُ**)) بدَلٌ مِن الخبَـر المحـذُوف، طيـب وهل النفْيُ هنا مُسَلَّطٌ على الوُجُود أو على الوُجُـود بِحَـقّ؟ علـى الوجـود بحَقّ؛ لأنَّ هناك آلِهَة دُونَ الله تُعْبَد لكـن لَيـسَ بـالحَقّ، قـال اللـه تعـالى: ((**وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**)) وقال: ((**فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُـمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ**))[هود:101] فالآلهة موجُودة لكنَّها لا تسْتَحِقّ أن تكُون آلِهَةً؛ لأنَّها ليس لها رُبُوبِيَّة.

((**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**)) مِن أين تُصْرَفُونَ عن تَوْحِيـدِه مـع إقرَارِكـم بـأنه الخالِق " لو قال المؤلف: عن عبـادته لكـان أحسَـن، لأن (لَا إِلَـه إلا هـو) هذه توحِيد رُبُوبِيَّة ولَّا ألوهية؟

الطالب: ألوهية.

الشيخ: أُلُوهِيَّة، كلمة (توحيـد) تشـمل –يعنـي- الرُّبُوبِيَّـة أيضًـا ولـو قـال: فأنَّى تُصْرَفون عن عبادَتِه وَحْـدَه مـع إقرارِكـم أنَّـه الخـالِق وحـدَه لكـانَ أحْسَــن وقــولُه: ((**تُؤْفَكُــون**)) قــال: أي تُصــرفون، فالأَفْــكُ بمعنــى الصَّرْف، ماضِيه: أفِكَ ومُضَارِعُهُ: يَأفَكُ أفْكًا مي هي إِفْكًـا، أفْكًـا بالفتـح، أما الإِفْك بالكَسْر فهو الكَذِب، والكَذِب في الواقـع يتَّفِـق مـع الأفْـك مِـن حيثُ المعنى؛ لأنَّ الكَذِب هو الإِخْبَار بخلافِ الوَاقِع فهـو صَـرْفٌ لِلشَّـيْء عن حَقِيقَتِه، قال الله تعالى: **((يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِـكَ))**[الـذاريات:9] أي: يُصْرَفُ عَنْهُ مَن صُرِف، طيب إذًا ((**تُؤْفَكون**)) أي: تُصْـرَفُون عـن عِبَادَتِه وحدَه مع إقرارِكم بأنَّه الخالِقُ وحدَه، والاستفْهَام في قـولِه كأنـك تقول: الاستفهَام للتوبيخ والتقْرِيع يعني كيف تُقِرُّون بأنه الخالِقُ وحدَه ثم تعبُدُونَ معه غيرَه.

ثم قال عزّ وجَلّ: ((**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ**)) يـا مُحَمَّـدُ فـي مَجِيئِـكَ بالتَّوْحِيـدِ والبَعْثِ والحِسَابِ والعِقَابِ ((**فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**)) " قـال: ((**وَإِنْ يُكَــذِّبُوكَ**)) (إِنْ) هنــا شَــرْطِيَّة وفعــلُ الشَّــرْط؟ (يُكَــذِّبُوك) وجوابُه؟ (فَقَـدْ كُـذِّبَتْ) واقْتَـرَن بالفَـاءِ؛ لأنـه مُصَـدَّرٌ بـ(قَـدْ)، طيـب (إِن يُكَذِّبُوك) أي ينْسِبُوكَ إلى الكَذِب فيقُولُون: إنَّك كاذب لسـتَ رسـولًا للـهِ عَزَّ وجَل بل أنت سَاحِر ومجْنُـون وكَـاهِن وشَـاعِر ومـا أشْـبَه ذلـك، نعـم، وبعضُهم يقول: " لا بَعْث ولا جَزَاء ولا حِسَاب ولا عِقَاب " إِنْ كَذَّبُوك فهذا أمرٌ ليس بِبِـدْعٍ مِـن بنـي آدَم وليـس غريبًـا مِـن صَـنِيعِ بنِـي آدَم ((**فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِـنْ قَبْلِـكَ**)) مَـن كَـذَّبَهم؟ كَـذَّبَهم أقـوامُهم حـتى قـال الرسُول عليه الصلاة والسلام: (**رأيتُ النبيَّ ومعه الرهْط، والنـبيَّ ومعه الرجُل والرجُلان، والنبيَّ وليسَ معه أحَـد**) مـا معـه أحـد، طيب، حتى إنَّ نوحً -عليه الصلاة والسلام- لَبِثَ فـي قـومِه ألـفَ سَـنَةٍ إلا

خمسِين عامًا يدْعُوهُم سِرًّا وجَهْرًا وبالتَّوْبِيخ وبالوعِيد وبالوَعْـد ومـع ذلـك ما آمَنَ معه إلَّا قليل، وقولُه: ((**رُسُلٌ**)) التنكيـرُ هنـا للتَّكْثِيـر والتَّعْظِيـم يعني رُسُلٌ كثيرة ورسلٌ عظيمة أيضًـا ((**كُـذِّبَتْ**)) كُـذِّبَ نُـوح، وكُـذِّبَ إبراهيم، وكُـذِّبَ موسـى، وكُـذِّبَ هـارُون، وكُـذِّبَ عِيسـى، وهـؤلَاءِ أولُـوا العَزْم مِنَ الرُّسُل وأفْضَلُ الرُّسُل كُـذِّبُوا فَتَكْـذِيبُك إذًا ليـس بِبِـدْع، ويُـرَادُ بهذا أمرَان: أحدُهما: تسلِيَةُ النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم فإنَّ الإنسـان إذا عَلِمَ أن غيرَه أُصِـيبَ بمثـل مُصِـيبَتِهِ تَسَـلَّى يَتَسَـلَّى بـذلك، فلـو أن أحـدًا أُصِيب بِحَادِثٍ -يا غانم!- نعم، ثم رأَيْنا الحوادِث واحِد انكسر إيـدُه، واحـد انكسر إصبعه، واحـد انكسـر فَخِـذُه، وواحـد انكسَـرَ صُـلْبُه، فقـام الـذي انكسرَ أَصْبُعُهِ يصيح ويتضَـجَّر، قلنـا لـه: فلان انكسـر صُـلْبُه وش يَكُـون؟ يَخِفّ عليه الأَلَم وينساه، لأنَّ تَسَلِّي النفس بالغَيْر له أثرٌ عظيم قـال اللـه تعـالى: ((**وَلَـنْ يَنفَعَكُـمُ الْيَـوْمَ إِذْ ظَلَمْتُـمْ أَنَّكُـمْ فِـي الْعَـذَابِ مُشْتَرِكُونَ**))[الزخرف:39] فاشْتِرَاكُكُم في العَذَاب لن يُخَفِّفَ عنكـم كما هو الشَّأنُ في حالِ النَّاسِ فـي الـدُّنيا، وقـالَتِ الخنسـاء ترثـي أخاهـا صَخْرًا ماذا قالت؟ قالت:

ولَولَا كَـــــثْـــرَةُ البَاكِـــــينَ حَـــوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْـــهُ بِالتَّأَسِّـــي

هي تقول: أُسَلِّي النفس عنه بالتَأَسِّي أقـول: هـذه مَـاتَ أخُوهـا، نعـم، وهذه ماتَ أخوها وهذه ماتَ أخوها فـأنتِ وغيـرُك سَـوَاء، نعـم، ((**فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**

((**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**)) قوله: ((**إلـى اللـهِ تُرْجَـعُ الأُمُـورُ**)) الجَارّ والمجرور مُتَعَلِّق بإيش؟ (تُرْجَع) وقُدِّم؛ لإفَادَة الحَصْر؛ لأن إلى اللهِ لا غيرِه تُرْجَعُ الأُمُور، وقد يُقَال إنَّه قُدِّمَ أيضًا لِفَائِدَة لَفْظِيَّة وهـي مُرَاعَـاة الفواصِل، طيب قال المؤلف: ((**تُرْجَعُ الأُمُورُ**)) فـي الآخِـرَة فيُجَـازِي الـمُكَذِّبِين ويَنْصُرُ الـمُرْسَلِين " وهـذا أيضًـا مِـن القُصُـور؛ لأن ((**تُرْجَع الأمور**)) في الآخِرَة وفي الدُّنيا أيضًا، نعم، فـإنَّ اللـه ينْصُـرُ المرسَـلين في الدنيا ويُعَاقِب للمكذبين ((**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِـي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**))[غافر:51] انتبهوا، إذًا ((**ترجع الأمور**)) عَامّ، أمور الـدنيا والآخـرة وأُمُـور الشَـرَّع وأُمُـور القَـدَر فَكُـلُّ الأمور تُرْجَـع إلـى اللـه عـز وجـل، هـو الأول والآخِـر منـه الـمُبْتَدَا وإليـه الـمُنْتَهَى قال اللهُ تعالى: ((**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**))[الأعراف:54] قال ابنُ عمر رضي الله عنه: " **مَن كَانَ لَه شَـيْءٌ فَلْيَـأْتِ بِـه** " لأَنَّ اللـه يقول: ((**أَلا لَهُ الْخَلْـقُ وَالأَمْـرُ**)) وش يبقـى؟ إذا كَـان الخَلْـق -وهـو الإيجَاد- للهِ، والأمر في التَّصَرُّف والتَصَـرُّف للـه اش بقـي لنـا؟ مـا بَقِـيَ

شيء، ولهذا لم يبق شيءٍ مِن .. لأحد أبدًا فالأمور كلُّها لله، طيب، الأُمُور هنا جَمْع أَمْر وما معنى الأَمْر هنا؟ طَلَبُ الفِعْل على وَجْه الاسْتِعْلَاء؟
الطالب: الشُؤُون.
الشيخ: الأُمُور بمعنى الشئون انتبه يا أحمد! لأَنَّ الأمر الذي بمعنى طلب الفعل على وَجْهِ الاستعلاء جمعُه أَوَامِـر لا أُمُـور، فـالأُمُور هنـا جَمْـعُ أَمْـر بمعنى الشَأن أي شئون الدنيا والآخِرَة وشؤون القَدَرِيَّـة والشَـرْعِيَّة كُلُّهـا تُرْجَع إلى الله سبحانه وتعالى، طيب وإذا كانت تُرْجَع إلى الله وقد كُذِّبَتِ الرُّسُل فما مَصِيرُ الرُّسُلِ والـمُكَذِّبِين؟ مَصِيرُ الرسـل النَّصْـر فـي الـدنيا والآخـرة، ومصِـيرُ الـمُكَذِّبِين الخُـذْلَان والخِـزْيُ والعـار فـي الـدنيا وفـي الآخِرَة والله أعلم.
((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**)) يُستفاد مِن هذه الآية الكريمة فوائد منها: وجُوب ذِكْرِ نِعْمَةِ اللهِ عز وجل فـي المواضِـع الثلاثـة التي أشرْنَا إليها مِن قَبْل: القَلْب واللِّسْان والجَوَارِح.
ويُسْتَفَاد مِنْه: أَهَمِيَّة ذِكْرِ النِّعْمَة؛ لأَنَّها صُدِّرَتْ بِإيش؟ بـ((**يا أَيُّها النَّاس**)) وهذا يدُلُّ على الأَهَمِيَّة لأَنَّ ما صُدِّر بالنداء معناه تنْبِيه المخَاطب علـى الاستماع.
ويُسْتَفَاد مِن ذلك مِن هذه الآية: أنَّ الكفارَ مُخَاطَبُون بالشَّـرَائِع مِـنْ أيـن يُؤْخَذ؟
الطالب: النَّاس يا أيُّها النَّاس.
الشيخ: الناس ((**يا أيها النَّاس**)) فكما يجـب علـى المسـلم أن يـذْكُر نِعْمَةَ الله يَجِب علـى الكَـافِر أيضًـا أن يـذْكُرَ نِعْمَـةَ اللـه وبِنَـاءً عليـه فـإنَّه يُعَاقَبُ على عدَم ذِكْرِ النِّعْمَة في الآخرة وقد يُعَاقَبُ عليه أيضًا في الـدُّنيا نعم.
ومِن فوائد الآيَة الكَرِيمة أيْضًا: بَيَانُ فَضْلِ الله سُبحانه وتَعَالى على عبادِه بالنِّعَم ((**اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله**)) وليس نِعْمَةً فَقَط ولكنها جِنْـس فَيَشْـمَل جَمِيعَ ما أَنْعَمَ اللهُ علَيْنَا مِن نِعَم الدِّين والـدُّنْيا سـواء ...بَـدَن أو العَقْـل أو العِرْض أو الـمَال طيب.
ومِن فوائدها أيضًا: أنه لا خَالقَ إلا الله، بِدليل؟ طلال! بدَليل؟
الطالب: لا خالق إلا الله.
الشيخ: اي نعم، بدليل؟
الطالب: بدليل أنه خلقنا.
الشيخ: مِن الآية هنا، نحـن الآن نتكلـم علـى فوائـدِ الآيـة فنريـد أن نأخـذ الفائدة مِن كُلِّ لفظ أو كل جملة.
الطالب: .. الله سبحانه وتعالى: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَـةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**)).
الشيخ: في أي كلمة؟
الطالب: ...

الشيخ: خَصِّصْ لي مَحَلّ الفائدة، ((**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْـرُ اللَّـهِ**)) نعـم، طيب وجْهُ ذلك أنَّه لا خَالِق غير الله؟
الطالب: أنا؟
الشيخ: اي أنت.
الطالب: هو الذي رزقَنا.
الشيخ: لا ، وجْهُ ذلك مِن صيغة اللفظ **((هل من خالق غير الله))**
الطالب: إنهم أقرُّوا
الشيخ: .. عادل!
الطالب: هنا الاستفهام بمعنى النفي.
الشيخ: صح، الاستفهام بمعنى النفي كأنَّه قال: لا خالق إلا الله.
ومِن فوائدِ الآية الكريمة: أنَّ الرِّزْق يأتي لِلإنسان مِـن فَـوْق ومِـن تَحْـت من أين يُؤْخَذ؟
الطالب: ((**مِن السماء والأرض**)).
الشيخ: ((**مِنَ السماء والأرض**)) كذا؟ طيب كما قال اللـه تعـالى: ((**لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**))[المائدة:66] طيب.
ومِن فوائدِ الآيـة الكريمـة: بَيَـان أنَّ اللـهَ عـز وجـل لـه الإيجَـاد والإعْـدَاد والإِمْدَاد من أين تُؤخذ يا عبد الوهاب؟
الطالب: ((**يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**)) .
الشيخ: نعم هذه فيها إمْدَاد؛ لأن الرزق إمْدَاد للإنسان.
الطالب: ((**مِن خالق غيرُ الله**)).
الشيخ: هذا إيجاد، طيب ادّينا الثالث؟
الطالب: ....
الشيخ: كيف ذلك؟ أنَّ الله أعد لنا القبول كقَبولِ الحَـقّ ولّا لا؟ فـإذَا كـان الله أعدَّكم لهذا القَبُول والاسْتِدْلال بالأدِلَّة على مَدْلُولَاتِها فـأنَّى تُؤْفَكُـونَ عنها؟ طيب.
ومِن فوائدِ الآيـة الكريمـة: أنَّ الإِقْـرَارَ بتوحيـدِ الرُّبُوبِيَّـة يسـتَلْزِم الإقـرار بتَوْحِيد الأُلُوهِيَّة مِن أين تؤخذ يا أخ؟ أنت، ما حضرت؟ طيب نعم زياد!
الطالب: ((**هل مِن خالِق غير الله**)) .....
الشيخ: كيف ذلك؟
الطالب: .... لا خَالِق غير الله ..... عبادته.
الشيخ: .. يعني كونه الخالق وحدَه فيجـب أن يكـون هـو المعْبُـود وحـدَه، طيب، ولهـذا نقُـول: توحيـدُ الأُلُوهِيَّـة يَتَضَـمَّن تَوحِيـد الرُبُوبِيَّـة والأسـماء والصفات، يتضَمَّنُها، لأنه لا يُعْبَد إلا مَن عُلِم بأنَّه الرَبّ الخالِق الكَامِل فـي صـفاتِه، وتوحيـد الربوبِيَّـة يسـتَلْزِم توحيـد الألوهيـة وتوحِيـدَ الأسـماء والصِّفَات طيب.

ومِن فوائدِ الآية الكريمة: بُطْلَانُ ألوهِيَّةِ ما سِوَى الله، نعم، ((**لا إلـه إلا هو**)) كيف تجْمَع بين هذا النَّفْي وبين إثبَاتِ الآلِهَةِ لِغَيْرِ الله في قوله: ((**فما أَغْنَتْ عنهم آلِهَتُهُم**))؟
الطالب: ....
الشيخ: أنَّ الألوهيةَ الحقّ ليست إلا للـه قـال اللـه تعـالى: ((**ذَلِكَ بِـأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُـوَ الْبَاطِـلُ**))[الحـج:62] نعم طيب.
ومِن فوائد الآية الكريمة: سَـفَاهَة أولئـك القـوم الـذين يعبُـدُون مـع اللـه غيرَه مع إقرارِهم بأنَّه الخالِقُ الرَّازِق ...
الطالب: ((**فَأَنَّى تُؤْفَكُون**)) .
الشـيخ: مِـن قـولِه: ((**فأنى تؤفكـون**)) لأَنَّ الاسـتفهام هنـا بمعنـى الإنكار والتوبيخ، نعم.
ثم قال الله عز وجل: ((**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**)) إلى آخِرِه مِن فوائدِ الآية الكريمـة: أنَّ تكـذِيبَ الرَّسـولِ عليـه الصـلاة والسلام ليس بِبِدْع فالرُّسُل قَد كُذِّبَتْ مِن قَبْل وهذا واضِح مِن اللفظ.
ومن فوائدِها: عِنَايَةُ الله عز وجل بِرسُولِه صلى الله عليه وسلم مِن أيـن تؤخذ؟
الطالب: .....
الشيخ: تُؤْخَذ مِن أن الله سبحانه وتعالى سَلَّى
الطالب: رسولَه ...
الشيخ: بذِكْرِ مَن كُذِّبَ مِن قبل طيب.
ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ سُنَنَ اللهِ تعـالى فـي خلقِـه يـا إيـاس! وش لون الطالب اللي معك؟
الطالب: سامي؟ ...
الشيخ: وش لونه مسافر؟
الطالب: .....
الشيخ: مش .... اللي شفناه؟
الطالب: .. كمبيوتر.
الشيخ: كمبيوتر؟
الطالب: ...
الشيخ: ما هو صحيح ((**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**)) [الأحزاب:4] لكن الظاهر أنه صدمة .... السلك لك.
طيب قلنا مِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ سُنَنَ اللهِ تعالى في خَلْقِـه ظـاهِرَة كيف يا عبد الرحمن؟
الطالب: ((**وإن يكذبوك فقـد كـذبت**)) إذا كُـذِّبْتَ أنـت فقـد كُـذِّب الرسلُ أنهم كُذِّبُوا الرُسُل كما كُذِّب النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، هـذه -يعني- السُنَّة.

الشيخ: لأنَّ التكذيب مِن فعل الغيب؟
الطالب: لا ليس من .. يعني هكذا خَلَق اللهُ سبحانه وتعالى النـاس أنهـم يُكَذِّبُوا الرُّسُل وأنَّ الرُّسُل يُنَاذُوا [كذا] ويُكَذَّبُوا و..
الشيخ: نعم.
الطالب: سنن الله في رُسلِه أنهم يعني غاية ما يُسْتَقْبَلُوا بالتَصْبِير.
الشيخ: هذا نوع هذا ... نعم.
الطالب: مِن قوله: وقد كَذَّبَتْ رُسُلٌ
الشيخ: كَذَّبَتْ رُسُلٌ؟! أعوذ بالله! الرُّسُل تُكَذِّب؟
الطالب: فقد كُذِّبَتْ رُسُل فهذا لما بيَّن الله سـبحانه وتعـالى أن الرسـل لما جاءَت تُكَذَّب بالكَلِمَات
الشيخ: هذا هو اللي قاله ...
الطالب: .. الرسل التكذيب مِن غيرهم
الطالب: ((**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**)).
الشيخ: لا، .. قلنا فيها تسـلية للرسـول وتهديـد للكفـار، مـا يمكـن يثْبُـت التهديد حتى نقول إنَّ سُنَنَ الله تعالى في الأُمَـم واحـدة؛ لأنَّـه لـولا ذلـك لقالَ الكفار: طيب وإذا كَذَّبَتِ القَوم وأُهْلِكُوا ما لنا ولهم؟ يعني ما يمكـن يصْدُق بأنَّ في هذه الآية تهديدًا حتى نقول: إنَّ سُنَنَ اللـه تعـالى واحِـدَة، نعم، أيضًا نقول في استفادة أنَّ سُنَنَ الله تعالى في النَّـاس وَاحِـدَة لأنَّـه أهلَك مَن كَذَّب الرسل وهَدَّدَ مَن كَذَّبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى الله عليه وسلم، هل يستفادُ مِن الآية أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله؟ غانِم!
الطالب: أي نعم.
الشيخ: كيف ذلك؟
الطالب: ((**فقد كذبت رسل**)) يعني رسول وهم رسل.
الشيخ: اي نعم، ولولا ذلك لم يكُن في قولِه: ((**فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِـن قَبْلِكَ**)) فَائِدَة.
مِن فوائدِ الآية الكريمة: أنَّ مَرْجِع الأُمُور الشُئُون كلِّها إلى اللهِ سـبحانه وتعالى.
الطالب: ((**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**)).
الشيخ: طيب وش وجهه؟ وجْه اختِصَاص هذا بالله؟
الطالب: .. كل الأمور كلها إلى الله.
الشيخ: ما وجهُ اختصاص ذلك بالله؟ عادل!
الطالب: تقديم الجار والمجرور (إلى الله) خَبر.
الشيخ: تقدِيم المعمول يُفِيد الحَصْر، نعم، إذًا إلى اللهِ لا إلى غيـرِه تُرجَـعُ الأمور طيب.
من فوائد الآية الكريمة: أنَّه ينبغـي للإنسـان إذا أصـابَتْه الضـرَّاء أن يلْجَـأَ إلى ربِّه وأن يتَعَلَّقَ به، نعم.
الطالب: .....

الشيخ: كيف ذلك؟
الطالب: ....
الشيخ: إذا كانت الأمور تَرْجِع إلى الله فليكُن طلبُ إزالةِ الضَّرَر مِنَ الله، طيب.
وفِيه أَيْضًا: وُجُوب تَحْكِيم الكتاب والسنة وأنَّه لا يجوز العُدُول عمَّا دلَّ عليه الكتاب والسنة.
الطالب: ((**وإلى الله ترجع الأمور**)).
الشيخ: كيف ذلك؟
الطالب: أنَّ الأُمُور والشئون شؤون الخلق جميعًا ترجِع إلى الله ...
الشيخ: ومنها الحُكْم بين الناس فيجِب أن يكُون مرْجِعُه إلى الله، طيب.
ومنها: أنَّ مَن حَكَّم غيرَ الكتاب والسنة فقد اعْتَدَى على حَقِّ الله فهد!
الطالب: قال: ((**وإلى الله ترجع الأمور**)) .. هنا لم يُرْجِع الأُمُور ....
الشيخ: طيب؛ لأنَّ الله قال: ((**إلى الله**)) وحدَه ((**تُرْجَعُ الأمور**)) طيب.
ومنها أيضًا: أنَّه لا يجُوز للإنْسَان أَن يُسْنِد ما رَزَقَه اللهُ مِن رزق: عِلْم أو مَال أو جَاه أو وَلَد أو زَوْجَة إلى نفسِه فيقول: إنما أُوتِيتُه عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي.
الطالب: تُرجع الأمور، إلى الله ترجع الأمور، لأنَّه إذا أرجَعَها إلى نفسِه أو إلى غيرِه ما أرجعَهَا إلى الله.
الشيخ: لم يُرْجِعْها إلى الله، طيب.
ومنها: إثبات نِعْمَةِ اللهِ عزَّ وجل على العباد بإرْسَال الرُّسُل؛ لقولِه: ((**فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُل**)) والرُّسُل إِرْسَالُهُم من أَكْبَرِ النِّعَم؛ لأننا لا نستطيع أن نعْرِف كيف نعبُدُ الله إلَّا عن طَرِيق الرُّسُل، الإنسان يعرِف مثلًا بفطْرَتِه أنَّ الله تعالى موجُود وأنَّ له رَبًّا خالِقًا مُدَبِّرًا لكن لا يعرِف كيف يصِل إلى هذا الرَبّ إلا مِن طريق الرُّسُل.
ومِن فوائد الآية أيضًا: إثْبَاتُ حِكْمَةِ اللهِ عز وجل حيث جَعَلَ للرُّسُل مَن يُكَذِّبُهم؛ لأنَّه لولا تكذِيب مَن كَذَّبَ الرُّسُل ما حصَل الامْتِحَان فهذه مِنَ الحِكَمِ العظيمة أن يَجْعَلَ اللهُ للرُّسُل مَن يُكَذِّبُهُم، لولا تكذيبُهم لم يحصُلَ الامتحَان إذ لو كَان الناسُ كلُّهم على الطاعة ما تَمَيَّزَ الخبِيث من الطَيِّب ولا تَمَيَّزَ الـ مُؤْمِن مِ نَ الكَافِر {يرحمك الله} ولا قَامَتْ سُوقُ الجِهْاد ولا الأمر بالمعْرُوف ولا النَّهْي عن المنْكَر، نعم، ولهذا قال الله تعالى: ((**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُم مُؤْمِنٌ**))[التغابن: 2] وقال تعالى: ((**وَلَكِن لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**))[محمد:4] فهذه مِن الحكمة في وُجُود المكَذِّبين للرسل، في هذا الحِكَم كثيرة منها أيضًا أنَّه لا يَتَبَيَّنُ الحَقّ حتى يُعْرَفَ الباطل كما قيل: " وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاء " فلولا الباطل الذي يُنَازِعُ الحَق ما عرفْنَا الحق لكان الكُلُّ سَوَاءً ولا نعرِفُ هذا ولا .. بالباطل.

ثم قال تعالى: {مُبْتَدَى} الدرس الجديد ((**يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّ وَعْـدَ اللَّهِ حَقٌّ**)) النِّدَاء مُوَجَّهٌ في عُمُومِ النَّاس كُلِّ الناس، الـمُؤْمِن والكـافر قال: ((**إِنَّ وَعْدَ الله**)) قال المؤلِّف: " بِالبَعْثِ وغَيْـرِه " وصَـدَق فَكُـلُّ ما وَعَدَ اللهُ به فإنَّه حَقّ سَـوَاءٌ البَعْـث أو العِقَـاب أو الثَّـوَاب أو النَّصْـر أو الخُذْلَان أو غَير ذلك مما وَعَدَ اللهُ بـه فـإنَّه حَـقٌ، ((**حَقٌّ**)) همـا بمعنـى صِدْق وثَابِت فهو باعْتِبَار الإخبارِ به إيش؟ صِدْق باعتبارِ الإخبَـارِ بـه صِـدْق وأنَّه سَيَكُون، وباعتِبَارِ وُقُوعِه إيش؟ مَا هـو عَـدَم، ثـابت، باعتبـارِ وقـوعِه ثَابِت ولا بُدّ، فـ((**الحقُّ**)) هنا بمعنى الصَّادِق مِن حَيثُ الخَبَرُ بـه، الوَاقِـع مِن حَيث ثُبُوتِه وأنَّه أمْرٌ كائِنٌ لا مَحَالَة، ليس وَعْـدُ اللـهِ عَـزَّ وجَـل كوَعْـدِ غَيْرِه، قد [انقطع الشريط]

والنهي هنا مُؤَكَّدٌ بالنون ((**تَغُرَّنَّكُم**)) وهذا تأكِيد ثقِيـل (فلا تَغُرَّكـم) أي تَخْدَعَنَّكم، وهذا مُفَرَّعٌ على ما قبلَه؛ لأنَّ الإنسان الذي تخدَعُه الدنيا يكُونُ إيمانُه بوعْدِ الله تعالى ضَعِيفا، {تعال هنا فيه مكان يا أخ حسين}، يكـونُ إيمانُه بالله تعالى ضعِيفًا إذْ أنَّ الدُّنيا تُلْهِيه وتَخْدَعُه حتى يَنْجَـرِفَ وَرَائَهـا، وقولُه: ((**الحياةُ الدنيا**)) لاشكَّ أنّ ما فيـه للآن حيـاة وضـدُّه المـوْت، وهي (دُنْيا) اسم تفضِيل مُذَكَّرَهُ

الطالب: دَنِي

الشيخ: لا.

الطالب: أدنى.

الشيخ: أَدْنَى مثـل: (عُلْيَـا) و(أَعْلَـى)، سُـمِّيَت دُنْيـا لِـوَجْهَين: الأول: أنهـا مُتَقَدِّمَة عن الآخِرَة فهي أَدْنى إلى الناس مِنَ الآخرة ولهذا سُمِّيَت الحياة الأولى، وسُمِّيَت دنيا أيضًا مِن دُنُوِّ مَرْتَبَتِها، فهي دَانِيةٌ بمعنـى قريبـة لأنَّهـا هي الأولى، وهي دانية بمعنى دُنُوّ المرْتَبَة لأنَّ ما فيها مِنَ النَّعِيـم إن قُـدِّر فإنه مُنَغَّصٌ تَنْغِيصًا مُسْتَقْبَلًا أو تنغيصًا حاضِرًا: تنغِيصًـا حاضِـرًا لأنَّ نفـس النَّعِيم الذي تنْعَمُ به في الدنيا لا بُدَّ أن يُشَابَ بِكَدَر كما قال الشاعر:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُسَاءُ ويَوْمٌ نُسَرّ

وهذا لو تأمَّلْتَهُ لوَجَدتَّه كذلك، كل يوم في الأسبوع ناظِر نفسك يومٌ تكون مسـتانس مُنْبَسِـط ومسْـرُور، ويـوم تغْتَـمّ، ويـوم يجيـك أشـياء خارِجِيَّـة تُفَرِّحُك، ويوم آخر بالعكس، ثم لو قُدِّر أنَّ صفْوَها خَلَا مِن ذلـك يعنـي لـم يُشَب بأذى فإنَّ المستقبل ينغِّص عليك هذا الصَفَاء كما قال الشاعر:

لا طِيبَ للعَيْشِ ما دَامَتْ مُنَغَّصَةً لَـــــذَّاتُهُ بِادِّكَـــارِ الـمَـــوْتِ والْهَـــــــرْم

فلابُدَّ مِن أحدِ أمْرَيْن إمَّا مَوْتٌ عاجِل وإمَّا هَرَمٌ مُجْهِد فالإنسان إذا كَبِر إذا قُدِّر أنَّ اللـه تعـالى مَـدَّ لـه فـي العُمُـر فـإنَّه يرجِـع إلـى حـالِه الأولـى ((**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَـى أَرْذَلِ الْعُمُـرِ**))[النحـل:70] يرجِـع إلـى حـالِه الأولى يَسْقُط تَمْيِيزُه ويكون أشَدّ مِن الصَبِيّ، يعني كونُه عالَة على غيرِه أشَدّ مِن كَوْنِ الصَبِيّ عالَةً على غيرِه؛ لِأنَّ الصَبِيّ ما عنده عَقْـل وتَمْيِيـز، وغاية مهما يَكُون يصيح نعـم يُـدَلَّه بِشَـيْءٍ يلعَـب بـه ويسْـكُت، لكـن هـذا الهَرِم عنده الشَيء مِن التَّمْيِيز تَجِدُه يصرخ على أهله مثلًا يصـرخ عليهـم يزَعِّق عليهم ويصيح ويقول: كيف تنسون .... شابّ وأكِدّ عليكـم وأجيـب لكم الطَّعَام والشَّرَاب واليوم تنْسُونِ، و.. أكثر، نعم ثـم هـو أيضًـا ثقيـل، الصَبِي يقدَر الواحِد يحمِلُه على يدِه ويمشِي به يمين ويسار حتى يسـكُت لكن هذا مُشكِل، لذلك إذَا تَذَكَّر الإنسَان أنَّه إمَّـا أن يمـوت أو يصِـل إلـى هذه الحال فمهما كان عيشُه فسوف يَتَنَغَّص، ولهـذا نقـول: هـذه الحيـاة دنيا مَأْخُوذَة مِن أين؟ مِن دُنُوِّ الزَّمَن ودُنُوّ الـمَرْتَبَة والقَدْر.

طيب الحياة الدنيا ((**فلا تَغُرَّنَّكُم الحياةُ الدنيا**)) عن الإيمانِ بـذلك " أي بوعْدِ الله، وما أكْثَرَ الذين غَفَلوا عن وعدِ الله، وما أكثرَ الذين اعْتَمَدُوا

على الأسْبَابِ الظَّاهِرَة فَنَسُوا الأسباب التي ورائَها، كثِير مِن الناس يقول: ((**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ**))[الحج:40] كيف إنّ الله ينصُر المسلمين وهم هذا القِلّة على أعدائِهم الكُفَّار وهم بهذِهِ الكَثْرَة وبهذه القُوَّة كيف هذا يكون؟ فيعْتَمِد على الحياةِ الدنيا وعلى الأَسْبَابِ المادِّيَّة دون ما ورائَها، والوَاجِب علينا أن نُؤْمِن بوعدِ الله، فاللهُ جَعَل الوَعْد أن ينْصُر مَن يَنْصُرُهُ، ((**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**))[النور:55] يقول قائل: كيف إن الله يستَخْلِفْني في الأرْض وعندنا الرُّوس وعندنا الأمْرِيكَان وعندنا الإنجِلِيز وغيرُهم مِنَ الأمَمِ القَوِيَّة الكَثِيرَة؟ اش معنى هذا؟ وش الجوَاب على ذلك؟ الجواب: ((**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**)) لا تَغُرَّك الدنيا حتى في النَّصْر، أسْبَابُ النَّصْر ليسَتْ هي المَادَّة فقط بل هناك شَيْءٌ ورائَها وهو قُوَّةُ العَزِيز عَزَّ وجَل ((**إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز**)) نعم.
طيب ((**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ**)) في حِلْمِهِ وإمْهَالِه ((**الْغَرُورُ**)) الشَّيْطَان " يعني لا يخدعْكُم أيضًا مَن وَصْفُه الخِداع، ولهذا جاء بِوَصْف الغَرُور، و(غَرُور) فَعُول صِفَة مُشَبَّهَة لِأَنَّ غُرُورَه كان وصفًا لَازِمًا له لُزُومَ الوُجُوب، و(الغَرُور) غير (الغُرُور) بالضَمّ، (الغُرُور) بالضَمّ مَصْدَر و(الغَرور) صِفَة مُشَبَّهَة دَالَّةٌ على المعنى و.. به المعنى، فالغَرُور إذًا هو الشيطان، أي الشياطين الإِنس ولّا الجِن؟
الطالب: كلهم.
الشيخ: كلُّهم نعم، كلهم جميع مِن شياطِينِ الجِنّ مَن يَغُرّ وهو معروف هو الشَّيْطان الذي يُلْقِي في قَلْبِك ها يحتال، ومِن شياطين الإنس أيضًا مَن يَغُرّ وهم جُلَسَاء السَّوْء الذين يَأتُون الإنسان فيدخُلُون فيه كما يدْخُل الماء في المَدَرِ أو النَّار في الفَحْم، مَا يدْرِي يدخُلون دُخول بحيث يكُون كالنّائِم أو كالمَيِّت بين يَدَي الغاسل، فالله عز وجل حَذَّرَنا مِن هؤلاء ((**وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**))، طَيِّب ((**بالله**)) قال المؤلف: " في حِلْمِه وإمْهَالِه " صحيح إنَّ الإنسان قد يَغْتَرّ بالله في حِلْمِه وإمْهَالِه فيقول لِنفسِه: لو كُنتِ على خَطأ لعاقبَنِي الله، وما دام الله عز وجل يرزقُني يعافيني فهذا دليل على أنِّي على حق. لكن هذا مِن الأمَاني البَاطِلة التي حَذَّر عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**الكَيِّسُ مَن دَانَ نفسَه وعَمِلَ لِمَا بعْد المَوْت، والعَاجِز مَن أتْبَعَ نفسَه هَواها، وتَمَنَّى على اللهِ الأمَانِي**) وهذا الحديث وإن كان فيه ما فيه مِن حيث الصِّحَّة لكن معناه صحيح لاشك ، فإنَّ الكَيِّس الحازِم هو الذي يعمَل لِمَا بعْد المَوْت، قال: ((**ولا يغرُّنَّكُم بالله الغَرور**)) أي لا يخدَعَنَّكم بالله في حلْمِه وإمهالِه وغيرِ ذلك مما يتَعَلَّقُ بأفعالِه وأحكَامِه ((**لا يغرُّنَّكم بالله الغرور**)) أي الخادِع وهو الشيطان.

))**عَدُوًّا**)) قولُه: " الشَّيْطَان " هذا اسْم للشَّيْطَان اللي هُو إبْلِيس، وهـو مُشْتَقٌّ مِن (شَاطَ يَشِـيط) إذا غَضِـب، أو مِـن (شَـطَنَ يَشْـطُنُ) إذَا بَعُـد، والوَصْفَان ثَابِتَانِ للشَّيْطَان؛ لأنَّه عِنْـدَه طَيْـش وسُـوءُ تَصَـرُّف كَالغَضْـبَان كالذي يَشِيط ..، وهو أيضًا شَاطِنٌ أي بعِيدٌ عن رحْمَةِ الله عـز وجـل فـإن الله تعالى لعنَه قال: ((**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِـي إِلَـى يَـوْمِ الـدِّينِ**))[ص: 78]، وقولُه: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ**)) ((**عَدُوٌّ**)) هذه -كما تَرَون- مُؤَكَّدَة بـ(إِنَّ) واللام؟

الطالب: .....

الشيخ: واللام ولَّا لا؟

الطالب: ... جار ومجرور..

الشيخ: هـذه جـار ومجـرُور ....؟ طيـب ((**لَكُم عَـدُوٌّ**)) ولـم يقـل: إنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوُّكُم؛ لِثُبُوت هذه العَدَاوَة ((**لَكُمْ عَدُو**)) ولهذا أتى بالجملة الاسمية الـمُكَوَّنَة مِن مُبْتَدَأٍ وَخَبَر، فـ((**عَدو**)) مبتدأ مُؤَخَّر، و((**لكـم**)) خبر مُقَدَّم، تقْدِيمُ الخَبَر هنا يُفِيد الحَصْر يعنـي كـأنه ليـس عَـدُوًّا إلا لكـم، كأنه قـال: ليـس عـدوًّا إلا لَكُـم، ومَعْلُـوم أنَّ مَـن انحصَـرَتْ عـداوَتُه فـي شَخْص فإنه يَجِبُ عليه أن يحتَرِزَ مِنْه أكثَر وأكثر، وقولُه: ((**عَدُو**)) على وزن فَعُول فهي صِفَة مُشَبَّهَة، والعَدُوُّ ضِـدُّ الـوَلِيّ، فـإذا كـانَ الـوَلِيُّ هـو النَّاصِر الـمُتَوَلِّي لأمـرِك المعتَنِـي بـه، فالعَـدُو هـو الخَـائِن الـذي لا يَهُمُّـه أمرُك، فالشيطان عَدُو يقول الله عز وجـل: ((**فَاتَّخِذُوهُ عَـدُوًّا**)) لَمَّـا أكَّدَ أنَّه عَدُوٌّ لنا أكَّدَ على ذَلـك قـال: ((**فَاتَّخِذُوهُ عَـدُوًّا**)) والفَـاء هنـا يُسَمُّونَهَا فاء التفْرِيع أي فبِسَـبَبِ ثُبُـوتِ كَـوْنِه عـدُوًّا اتَّخِـذُوه عَـدُوًّا يعنـي اجْعَلُوه عدوًّا لكم بحيث تنفُرُون منه نُفُورَكم مِنَ الأعداء، فإذا قال قائـل: ما الذي يدُلُّنا على عداوَتِهِ أو كيـف نتَّخِـذُه عَـدُوًّا؟ الجـواب: نَتَّخِـذُه عَـدُوًّا بكراهَتِه وبغْضِه وبِعَدَم الانصِيَاع لأمرِه وَوَسْوَسَتِه لأنَّـه هـو كمـا قـال اللـه عنه: ((**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَـأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَـاءِ**))[البقـرة: 268] هو لا يـأمُر إلا بالفَحْشَـاء والسُّـوء ومعصِـيَةِ اللـهِ عـز وجـل، فـإذا أحسَسْت مِن نفسِك أنك تهْوَى المعصية فاعلم أن هذا مِـن إملاء إبلِيـس مِن إمْلَاء الشيطان فيجب عليك أن تَنفُر مِن هذا؛ لأن هذا صادِرٌ مِن عَـدُوٍّ لك لا يريد إلا إضْرَارَك وخُذْلَانَك ولهذا قـال اللـه تعـالى: ((**إِنَّمَا يَـدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْـحَابِ السَّـعِيرِ**)) قـال المؤلـف: " **فَاتِّخِـذُوهُ عَـدُوًّا**)) بطَاعَـةِ اللـه ولا تُطِيعُـوه " يعنـي أطِيعـوا اللـه ولا تُطِيعـوا الشيطان، وأنتم إذا أطعْتُم الله فإنَّ هذا أعظَم سِلَاح يُغِيظ هذا الشَّيْطَان اللي هو عَدُوٌّ لكم فإذا أطعْتَ الله عز وجل فإنَّـك بـذلك تُغِيـظُ الشـيطان وتَدْحَرُه وتُذِلُّه كما أنَّك تُذِلُّ أوليائَه أيضًـا وتَغِيظُهـم قـال اللـه عـز وجـل: ((**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَلَـى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**)) إلـى أن قال: ((**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**))[الفتـح:29] فهـؤلاء القَـوْم بصِـفَتِهم

المذْكُورة يَغِيظُون الكُفَّار، والكفارُّ أوْلِيَاءُ الشَّـيْطَان، وإذا كـانوا يَغِيظُـون الكُفَّار فإنهم يَغِيظُون أيضًا الشَّيْطَان، فأعظم شيء لِإِغاظة الشيطان هو أن تَقُوم بطاعَةِ الله عز وجل، يُـرْوَى أنَّ الشـيطان يقـول عـن بنـي آدم: أهلكْتُهـم بالـذُّنُوب وأهلَكُـوني بـ(لا إلـه إلا اللـهُ) والاسـتغْفَار، فالتَّوحِيـد وسؤال المغفرة لاشك أن يُغِيظُ الشَّيْطَان.

يقـولُ اللـه عـزَّ وجـل: ((**إِنَّمَـا يَـدْعُو حِزْبَـهُ**)) أتبـاعَه فـي الكفـر ((**لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**)) النارِ الشَّدِيدة " ((**إنمـا يـدعو**)) (إنَّمَا) أدَاة حَصِر تُفِيد إثبَاتِ الحُكْم لِلمَذْكُور ونفْيَه عمَّـا سِـوَاه يعنـي مـا يدعُو حزبَه إلا لِهذا العَمَل بـأن يكونُـوا مِـن أصْـحَابِ السَّـعِير، واللام فـي قولِه: ((**لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِير**)) اللام هذه للعَهْد يعنـي يـدْعُو حزبَـه لِلشَّـرّ والفحْشَـاء لِأَجـل أن يكونُـوا مِـن أصـحاب السـعير، وقـولُ المؤلف " ((**حزبَه**)) أتباعَه في الكُفْر " قد يُقـال: إنَّ فيـه قُصُـورًا؛ لِأَنَّ حِزْبَ الشيطان الحِزْبَ المطْلَق لاشَك أنهم كفار، لكن من عَصَى اللهَ عز وجـل ولـو لـم يكـن كـافرًا فـي مَعْصِـيَةٍ مِـن المعاصِـي فلـه مِـن حِزْبِيَّـةِ الشيطان بقدْرِ ما عَصَـى اللـه، لكـن الحـزْبُ المطْلَـق هـم الكفـار قـال: ((**ليكونوا من أصحاب السعير**)) يعني مِن أصْـحَابِ النـار، والسـعير هو النَّار الشَّدِيدَة وإنما يدعوهم لذلك؛ لأنه لَمَّا غَوِى والعِيَـاذُ بـالله وتَكَبَّـر عـن طاعَـةِ اللـه قـال: ((**قَـالَ رَبِّ بمَـا أَغْـوَيْتَنِي لَأُقْعُـدَنَّ لَهُـمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**))[كذا] ((**قَالَ فبمَا أَغْـوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَـنَّ لَهُـمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**))[كـذا] لمـا خُـذِل -والعِيَـاذُ بـالله- وطُرِد وصارَ غاوِيًا حَـرِصَ علـى أن يكـون لـه أتْبَـاع فـي غَيِّـه، وهـذا أمْـرٌ مُشَاهَد أهل الحق يَوَدُّون أن يكونُ لهـم أتبَـاعٌ فـي الحَـقّ، وأهـل الباطـل يَوَدُّونَ أن يكُون لهم أتبَاعٌ في البَاطِل، فالشَّيْطان والعِياذ بـالله لَمَّـا كـان مِن أصحاب النار أحَبَّ أن يكون الناس أي بَنِي آدَم أن يكُونَ الناسُ كلُّهـم مِن أصْحَابِ النَّار، هؤلاء الذُّرِّيَّة ذُرِّيَّة آدم ولَّا لا؟ وشَقَاءُ إبليـس إنمـا كـان لِتَرْكِهِ السُّجُود لآدَم فلا جَرَم أن يُضْلِل ذُرِّيَّتَه وأن يُحَاوِل بكل مـا يسـتطيع إغوائَهم حتى يكونوا مِن أصْحَابِ النَّار.

ثم قال تعـالى: ((**الَّذِينَ كَفَـرُوا لَهُـمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ**)) ((**الـذين كفروا**)) مُبتدأ خَبَرُه جُمْلَة ((**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**))، والعذَابُ العُقُوبة، وأتَـى بالجملـة الاسـمية لِتَحَقُّـق أو لِثُبُـوتِ هـذا العـذاب واسـتمرارِه لِأَنَّ الكافرين مُخَلَّدُون في نارِ جهنم، و(الشَّدِيدُ) بمعنى القَوِيّ

وأما غيرُهم قال: ((**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِـرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**)) ((**الذين آمنوا**)) الإيمَان مَحَلُّـه القَلْـب أي صَـدَّقُوا بمـا يَجِبُ الإيمانُ به مَعَ القَبُول والإذْعَان، انْتَبِه والإيمان ليس مُجَرَّد التصـديق بل هُو تصْدِيقٌ مقْرُونٌ بقَبُـولٍ وإذْعَـان، قَبُـولٍ و.. لِمـا آمَـنَ بـه، وإذْعَـانٌ يقتَضِيهِ هذا الإيمَان، أما مُجَرَّدُ التَّصْدِيق فليس إيمَانًا، ولـو شِـئْتُم لَضَـرَبْنَا مثلًا بأبِي طَالِب فَإِنَّ أبا طالب كان مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّ صلى اللـه عليـه وسـلم

ولكنَّه لم يأْبَه ولم يُذْعِن فلم يَنْفَعْه هذا التصديق، فالذين آمنوا أو صَـدَّقُوا بما يجِبُ الإيمانُ به تصديقًا مُسْتَلْزِمًا لِإيش؟ لِلْقَبُول والإِذْعان وأما قوله: ((**وَعَمِلُوا الصَّالِحَات**)) فلابُدَّ مِـن العمـل الصـالح حـتى يَتِـمَّ الإيمـان ويتحَقَّق ويَتَبَيَّن، العمَلُ الصالح قال العلماء: " هو الذي كان خالِصًا صَـوَابًا "، خالِصًا لِمَن؟ لله، صَوَابًا في مُوَافَقَةِ شَرِيعَةِ اللـه، وهـذا التَّعْرِيـف يَعُـمُّ هذه الكلمة وغيرُها، فما كان خالِصًا لله مُوَافِقًا لشريعته فهو صَـالِح، ومـا لم يكن كذلك فهو فَاسِد، فلو فُقِد الإِخْلَاصُ مِـن العَمَـل لـم يكُـن صَـالِحًا، ولو وُجِدَ الإِخْلاص لكن لم يَكُن على وَفْق الشريعة لم يكُن صَالِحًا، وعلـى هذا فالأَعْمَالُ البِدْعِيَّة وإنْ أُخْلِص فيها صاحبُها ليسَتْ بِصَـالِحَة، والأعمَـال الشَّرْعِيَّة إذا شـارَكَها الرِّيَـاء وإرَاءَة الخَلْـق لـم تكـن صـالِحَةً، وقـولُه: ((**عَمِلُوا الصالحات**)) هـذه تَتَكَـرَّر فـي القـرآن كَثِيـرًا، وهـي - علـى مـا النَّحْوِيُّون- مِن باب حَذْفِ المنْعُـوت ووُجُـود النَّعْـت لِلدَّلَالَـة عليـه، ولَّا لَا؟ لأنه الأصل: وعمِلُوا الأعْمَال الصالِحَات.

((**لهم مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ**)) ففي (الـذين آمنـوا وعمِلـوا الصـالحات) ذَكَرَ عَمَلَيْن لهم وذَكَرَ لهم جَزَائَيْن، الذين كفـروا ذَكَـرَ عَمَلًا واحِـدًا وجَـزَاءً واحِدًا، ((**الذين كَفَرُوا لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ**)) العَمَـل الكفـر، والجـزاء العـذاب الشـديد، أمَّـا الـذين آمنـوا وعَمِلـوا الصـالحات فهـذان عَمَلان، والجزاء ((**لهم مغفرَة وأَجْرٌ كبير**)) مَغْفِرَةٌ لذنُوبهم ((**وأجرٌ كـبير**)) على أعمالِهم الصالِحَات، والمغفرة هي صَـرْفُ الـذَّنْب والتَّجَـاوُزُ عنـه لأنها مَأْخُوذَة مِن الـمِغْفَر وهو ما يُسْـتَرُ بـه الـرأس للوِقَايـة مِـن السـهام وهذا لا يكُونُ إلا إذا كان قَوِيًّا يمْنَع، وليسـت الـ مَغْفِرَة مُجَـرَّد السَّـتْر؛ لِأن مُجَرَّد السَّتْر والعُقُوبَة ليس بِمَغْفِرَة بـل لابُـدَّ مِـن أمريـن: السَّـتْر وعَـدَم الـمُؤَاخَذَة، وقوله: ((**وأَجْرٌ**)) الأَجْـر الثَّـوَاب الـذي يُجَـازَى بِـه العامِـل، حتى الأَجْرَة مثلًا إذا استأْجَرْتَ رَجُلًا يعمَلُ لك عملًا وأعطَيتَـه أَجْـرَة فهـذا أجْر، وسَمَّى الله عز وجل الثواب أجـرًا؛ لأنـه لابُـدَّ أن ينـالَه العامِـل فهـو كَأُجْرَةِ .. والمسْتَأْجَر أو كأُجْرة الأَجِير فلابد أن ينالَه العامـل وهـذا كقـوله تعالى: ((**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًـا حَسَـنًا**)) فسَـمَّى العمَـلَ للهِ قرضًا؛ لأنَّ القرض يَجِبُ الإيفاء به فمِثْل هذه الآيات تَدُلُّ على أنَّ الله عز وجل أَوْجَبَ على نفسِـه أن يُثِيـب العَامِـل، وقـولُه: ((**أجر كـبير**)) كبيرٌ في حَجْمِه أو كبيرٌ فـي معنـاه؟ أو الجميـع؟ لأنَّ الإنسـان فـي الجَنَّـة ينظُر إلى، أدْنَاهم مَنْزِلَة مَن ينظُر إلـى مُلْكِـهِ مَسِـيرَةَ أَلْفَـيْ عَـام، ينظـر أقصَاه كَما ينْظُر أدْنَاه، وهذا لا شَكَّ أنه كبيرٌ واسِع، وكـذلك فـي المعنـى؛ لأنَّه دَائِـم وثَـابِت، طيـب قـال: " هـذا بَيَـانُ مـا لِمُـوَافِقِي الشَّـيْطَان ومَـا لِمُخَالِفِيهِ " مُوَافِقِي الشَّيْطَان مَن هُم؟ الذين كَفَـروا، ومُخَـالِفُوه؟ الـذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات، إذًا يجِبُ علينا أن نَتَّخِذَ الشيطانَ عَـدُوًّا بالإيمـان والعمل الصالح

قال المؤلف: " وَنَزَلَ في أبـي جَهْـلٍ وغيـرِه ((**أَفَمَنْ زُيِّـنَ لَـهُ سُـوءُ عَمَلِهِ**)) " إلى آخِرِه، أبو جهل كان يُسَمَّى في الجاهِلِية أبا الحَكَـم يعنـي أنَّه ذُو حِكْمَة وعَقْل ورَوِيَّة لكنه سُمِّي في الإسـلامِ أبـا جَهْـل؛ لأن أعظَـمَ جَهْلِه أن يَبْقَى على كُفْرِه ولا يُؤْمِن بالله، نَزَل ((**أَفَمَنْ زُيِّـنَ لَـهُ سُـوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**)) ((**أَفَمَن**)) الهمزة هنا للاستفهام، والفـاء حَـرْفُ عطف، والمعطوف عليه مُختَلَفٌ فيـه فمنهـم مَـن قـال: إنَّـه مُقَـدَّرٌ بيـن الهمزة وحرفِ العطـف ويكـونُ بحسـب السـياق، ومنهـم مَـن قـال: إنـه مَعْطُوف إنَّ المعطُوف عليه ما سبق، فعلى الأوَّل: نُقَـدِّر المحـذوف بمـا يُنَاسِـبُ المقـام فمثلًا قـولُه تعـالى: ((**أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِـي الأَرْضِ**)) [يوسف:109] التقدير: أَغَفَلُوا فلم يسـيروا فـي الأرض، وهنـا يقـول: ((**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عمله**)) نُقَدِّرُها بمـا يُنَاسِـب فنقـول فـي التقـدير إيش: أتُدْرِكون هذا الشيء فَمَنْ زُيِّنَ له سُـوء عمَلِـه، أو نقـول: أَيَسْـتَوِي الـمُؤْمِن والكَـافِر فَمَـن زُيِّـن لـه سُـوء عملـه، ولكـن القـول الثـاني فـي المسألة - أنَّه معطوف على ما سـبق - أحسَـن لمـاذا؟ لِأَنَّ الأصـل عَـدَمُ التقدير، ولأنه في بعض الأحيان يصْعُبُ على الإنسان أن يُقَدِّر المحذُوف، وعلى هذا القَول يقولون: إنَّ الفَاء تُقَدَّرُ سَابِقَةً للهمزة ... حرفِ العطف يُقَدَّرُ سابقًا للهمزة يكون فيه تقديم وتأخير، والتقدير على هذا فَأَمَن زُيِّن له سُوء عمله، وقوله: ((**زُيِّنَ له سُوءُ عَمَلِه**)) مَن الـمُزَيِّن؟ ذَكَرَ اللـه عز وجل أن الـمزَيِّن الشيطان، وذَكَر أنَّ الـمُزَيِّن هُو الله ((**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُـمْ يَعْمَهُـونَ**))[النمـل:4]، وقـال تعـالى: ((**وَزَيَّـنَ لَهُـمُ الشَّـيْطَانُ أَعْمَـالَهُمْ فَصَـدَّهُمْ عَـنِ السَّبِيلِ**))[النمل:24]، وفي بعض الآيات يكون الـمُزَيِّن مُبْهَمًا كما فـي هـذه الآيـة، وكمـا فـي قـوله: ((**زُيِّنَ لِلنَّـاسِ حُـبُّ الشَّـهَوَاتِ مِـنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ**))[آل عمران:14] إلى آخرِه فالمزين اللـه، والمزيـن الشَّيطَان: فإذا قلت: كيف تجمـع بيـن هـذا وهـذا؟ فـالجَوَاب أنَّ المزَيِّـن المباشِر هو الشيطان، أمَّا الله فهو مُزَيِّـنٌ بالتقْـدِير يعنـي هـو الـذي قَـدَّر على الشيطان أن يُزَيِّن لهم، ومعْلُومٌ أنَّ الله تعالى خَالِق الشـيطان ومـا نَتَجَ مِن أَعْمَالِه فهو مُضَافٌ إلى الله كما نقول في الإنسـان: أنَّـه مخلـوق لله وما نَتَج مِن أعماله فهو مخلوقٌ لله عز وجل، فيكون تَزْيِينُ الله تعالى حَسَب التقدير، يعنـي هـو الـذي قَـدَّر أن يُزَيِّـن الشَّـيْطَان لَهُـم أعمـالَهم، وقولُه: ((**زُيِّنَ لَه سُـوءُ عَمَلِـه**)) (عَمَـل هـو مُضَـاف مُفْـرَدٌ مُضَـاف ويَشْمَل كُلَّ الأعمال سَوَاءٌ كان الشِّـرك أو العُـدْوَان علـى الغَيْـر أو سُـوءُ السُّلوك وفَسَاد الأخْلَاق أو غير ذلك المهم أنه شَامِل لِكُلِّ الأعمال، وقـال المؤلف: " بالتَّمْوِيه " وش معنى (بالتَّمْوِيه)؟ أنـه يُمَـوِّه علـى النـاس أنَّ هذا العمل الذي يقُوم به عَمَلٌ حَسَن، ((**فَرَآهُ حَسَنًا**)) ((**فَـرَآهُ**)) أي رَأَى سُوءَ عَمَلِه حَسَنًا وهذا أشَدّ ما يكـون أن يكـونَ الإنسـان علـى خَطَـأ ويرى أنَّه على صَوَاب؛ لأنَّ مثل هذا لا يَكَادُ يُقْلِعُ عن غَيِّه حَيْثُ أنَّـه يَعْتَبِـرُه

صَوَابًا، ومِن ذلك - مثلًا - أصْحَاب الحِيَل الـمُخَادِعُون فالـمُنَافِقُ مثلًا زُيِّـنَ له سوءُ عملِه؛ لأنَّه يرَى أنَّه ذَكِي ((**إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَـالُوا آمَنَّـا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ**))[البقرة:14] وهذا مِـن سُوءِ العمل، الـمُتَحَيِّلُونَ على الرِّبَا بأنواعِ الحِيَل هؤلاء أيْضًا زُيِّنَ لهم سُوءُ أعمالِهم ولهذا لا تكَاد تجِدُهم يقلِعُون على ما هم عليه لأنَّه قـد زُيِّـنَ ذلـك في نفوسِهم فلا يُقْلِعُون عنه، المهم أنَّ هذا له أَمْثِلَة كَثِيرَة، بقي علينـا أن نقُول: ((**مَنْ**)) مبتدأ فأين خـبره؟ قـال المؤلِّـف رحمـه اللـه تعـالى: " (مَن) مبتدأ خبرُه (كمن هَدَاهُ الله) " بعده؟

الطالب: " لا، دل عليه "

الشيخ: طيب ((**أَفَمَن زُيِّن له سوء عمله**)) يعني كَمَن لم يُزَيَّن لـه سوءُ عمَلِهِ ورأى سُوءَ عمله سَيِّئًا لأَنَّ الذي زُيِّنَ له سوءُ عملـه سيَسْـتَمِر عليه والذي رآه سَيِّئًا سوف يَتَجَنَّبُه وهذا هو معنى قول المؤلـف: " كمَـن هداه الله " ومثلُ هذا التعبير يأتي في القرآن كثيرًا كما في قوله تعـالى: ((**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُـوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْـتَوِي الَّـذِينَ يَعْلَمُـونَ**))[الزمـر:9] فـالخبر محذوف أي كمَن ليسَ كذلك يقول: " لا " إيش معنى " لا "؟ يعني: ليس هذا كهذا؛ لأن بينهما فرْق فإنَّ مَن زُيِّنَ له سوءُ عمله سيبقى على ضـلالِه ومَن لم يُزَيَّن لـه سـوءُ عملِـه فـرآه سَـيِّئًا فسـيتجَنَّبُه ولا يقَـعُ فيـه، قـال المؤلف: " دَلَّ عليه ((**فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يشاء** " دل عليه ..... طيب ((**فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**)) وعلى هـذا فالفـاءُ هنا ليست واقِعَةً في خبر المبْتَدَأ بل خبَرُ المبتـدأ مَحْـذُوف، لكنَّهـا عطْـفٌ على ذلك الخَبر أي فَإِنَّ اللهَ يضِـلُّ مَـن يشـاء عـن الحـق فلا يهتَـدي إليـه ((**ويهدي من يشاء**)) إلى الحَقّ فَيَلْتَزِمُه، وهنا يقُـول: ((**يُضِلُّ مـن يشاء**)) يمُرُّ علينا كثيرًا تعلِيق الأشياء بالمشِيئَة ولكنَّنـا قلنـا ونقُـول: إنَّ هذه المشيئة مقْرُونَة بالحكمة، فمَـن اقْتَضَـتْ حكمـةُ اللـهِ عـز وجـل أن يَضِلّ أَضَلَّه ومَن اقتَضَتْ حكمَتُه أن يَهْدِيَه هداه، مَن الذي تقتضـي حكمـةُ الله عز وجل أن يُضِلَّه؟ هو الذي أرادَ الضلال كمـا قـال تعـالى: ((**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**))[الصف:5] فإذًا إضـلالُ اللـه تعـالى لِلعبـد في محلِّه وذلك بأن يكون هذا الرجل لا يريد الخير وإنَّما يريد الشَرّ واعْلَمْ أنَّ الهدَايةَ والضلال إمَّا عَدْل وإما فَضْل، الضَّلَال عدْل لأنه جُوزِيَ بحسَـب ما أرَاد، لَمَّا أرادَ الضَّلال - والعيـاذ بـالله - وزاغَ قلبـه أُزِيـغ، وأمَّـا الهِدَايـة فإنَّها فَضْل فَضْلٌ مِن الله عز وجل يتَفَضَّلُ بها على مَن يشـاءُ مِـن عِبَـادِه ولهذا نقول: لو قال قائل: كيف يجْعَلُ الله تعالى هـذا مُهْتَـدِيًا وهـذا ضـالًّا أليس هذا ظُلْمًا؟ فالجواب: لا؛ لأن مَنْع الهداية مِن هذا المقْتَضَى، الضَالّ إنَّما هو بِمُقْتَضَى عدلِه أما هِدَايَةُ المهْتَدِي فهو بفَضْـلِه فنقـول: إن مَنَعَـكَ ما هُو لك فقد ظَلَمَك وإن منَعَك فضله فَفَضْلُ الله يـؤتيه مـا يشَـاء ولـولا أنَّك لستَ أهلًا للهداية ما منعَك اللهُ الهداية.

((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**)) إلى آخرِه في هـذه الآيـة فوائـد عديدة:
أوَّلًا: أهَمِّيَّةُ التَّصْدِيق بوَعد الله عز وجل وجهُ ذلك لَمَّا صَدَّرَهُ بالنِّدَاء قـال: ((**يا أيها الناس**)).
ثانيًا: أنَّ الكفار مُخَاطَبُونَ بالفُرُوع أو بفُرُوعِ الدين وأصولِه؛ لِأَنَّ الخطاب هنا عَامٌّ ((**يا أيها الناس إنَّ وعد الله حق**)).
ومِن فَوائدها: أنَّ وعدَ اللهِ لابُدَّ أن يقَع؛ لأن خبرٌ مِن صـادِقٍ قـادِر لِقَـوْلُه: ((**إنَّ وعدَ اللهِ حَقٌ**)) أي صِدْقٌ فـي حَـال الخَبَـرِ عنـه واقِـعٌ فـي حَـال إيقَاعِه فمن فوائدِها هنا أن ما وعدَ اللهُ به فهو حَقٌّ لابد أن يقع.
ومِن فوائدها: أنَّه يجِب على الإنسان ألَّا يغْتَرَّ بالدنيا مهمـا حصـلَ لـه مـن زهْرَتِها ونعيمِها؛ لِقولِه: ((**فلا تَغُرَّنَّكم الحياةُ الدنيا**)).
ومِن فوائدها أيضًا: أنَّ مَن .. بالدنيا فإنَّه مخدُوع؛ لِقولِه: ((**فلا تغرنَّكم**)) أي تخـدَعَنَّكم لأنَّ العَاقِـل لا ينْخَـدِع بهـا، ومنهـا الإشَـارة إلـى وُجُـوب العِنَايةِ بالآخِرَة لقولِه: ((**فلا تغُرَّنَّكم الحياةُ الـدنيا**)) وإذا نُهينَـا عـنِ الحياة الدنيا فمعناها أنَّنَا نُلْزَم أو نُؤْمَر بالعِنَايـة بـالآخِرَة لأنهـا - الحقيقـة - هي المنْتَهى أمَّا هذه الدنيا فإنَّ الإنسان يمُرُّها عابرًا فقـط، حـتى القبـور التي يبْقَى فيها الإنسان مِن السنوات مالا يعلَمُه إلا الله هـي مَحَـلّ عُبُـور قال الله تعالى: ((**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَـابِرَ**))[التكـاثر 1:2] سمِع أعرابي رجلًا يقرأ هذه الآية فقال: والله ما الزائر بِمُقِيم أو إنَّ الزائر لَظَاعِن،..قال: **((حتى زرتم))** والمعروف أن الزائر يبقى مُـدَّة ثم يَنْصَرِف.
طيب ومِن فوائدها أيضًا: دُنُوُّ الدنيا مَرْتَبَـة ودناءَتُهـا لقـولِه: ((**الـدُّنيا**)) فهي وإن كانَت حَيَاة لكنَّهـا دنيـا ويَسْـتَلْزِم ذلـك الثنَـاءَ علـى الآخِـرة؛ لِأَنَّ وصف الضَرَّة بعيب يدل على وصْفِ ضَرَّتِها بكَمَال نعم، قال اللـه تعـالى: ((**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الـدُّنْيَا * وَالآخِـرَةُ خَيْـرٌ وَأَبْقَـى**))[الأعلـى: 17].
ومِن فوائد الآية الكريمة: جوَاز تَنَعُّمِ الإنسان في الدنيا على وَجْهٍ لا تَغُرُّه لقولِه: ((**فلا تغُرَّنَّكم**)) ولم يقل: فلا تَتَنَعَّمُوا في الدنيا بِشَيْء بل قال: ((**فلا تغرنكم الحياة الدنيا**)).
ومنها: عِظَمُ الخَطَر مِن كَثْرَةِ المال ويُسْرِ العَيْـش لأن هـؤلاء قـد يشـغَل الـمَرْء قال النبيُّ عليـه الصـلاة والسـلام: (**والله مـا الفقـرَ أخشَـى عليكم وإنَّما أخشَـى أن تُفْتَـحَ عليكـم الـدنيا فتَنَافَسُـوها كمـا تنافسوها فتهلكَكم كما أهلكَتْهم**).
طيب ومِن فوائد الآية الكريمة: وُجُوب الحَـذَر مِـن الشـيطان ووسَاوِسِـه لقولِه: ((**ولا يغرنكم بالله الغَرُور**)) وسواءٌ كان الشـيطانُ إنسِـيًّا أو جِنِّيًا؛ لأنَّ الشيطان الإنْسِيّ يغُرُّ الإنسان كما يغُرُّهُ شيطانُ الجِنّ.

ومِن فوائد الآية الكريمة: الحَذَر الشَّدِيد مِن هذا الذي يَغُرُّنَا مِن شَـيَاطِين الإِنْس والجنّ لأنَّه وصفَه بقولِه: ((**الغرور**)) والغَرُور كما قلنا إمَّا صِـفَةٌ مُشَبَّه[كذا] وإما صِيغَة مُبَالَغَة ما قلنا إنها مَصْدَر ((**الغَرُور**)) نعم.
طيب ثم قال تعالى: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَـدُوٌّ فَاتَّخِـذُوهُ عَـدُوًّا**)) إلى آخِرِه.
من فوائد الآية الكريمة: إثبات الشيطان لقولِه: ((**إِنَّ الشَّـيْطَانَ لَكُـمْ عَدُوٌّ**)).
ومنها: إثباتُ عداوَتِه المؤَكَّـدَة للإِنسَـان لقـولِه: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُـمْ عَدُوٌّ**)).
ومنها: أهميةُ إيمانِنَا بذلِك، وجهُه؟
الطالب: .....
الشيخ: لا.
الطالب: .....
الشيخ: لا.
الطالب: الشيطان لكم عدو
الشيخ: إي لكن هو وش وجهُه أهَمِّيَّة عِلْمِنا بأنَّه عَدُوّ؟
الطالب: .....
الشيخ: لا ما، إنه توكيد وجهُ ذلك؟
الطالب: أنه أكَّدَه .. باللام.
الشيخ: لا لا، اللام ما هي مُؤَكَّدَة، لكن وجهُ كونهم .. أُكِّد صارَ فيـه أهَمِّيَّـة عِلْمِنَا بذلك.
الطالب: ... إذا أُكِّد بأنَّ الشيطان لنا عدُو فإذًا نحذر منه أكثر من ..
الشيخ: ... طيب مثْلُ ... مَرَّ علينا فـي البلاغَـة أنَّ الخطَـاب الخبَـري هـو الخِطَاب الذي يُلْقَى إلى المخاطَب بدون توكِيد، مَـا مَـرَّ علينـا هـذا؟ فـي البلاغة أنَّ الخطَاب الخبري هو الـذي يُلْقَـى إلـى المخـاطَب بغيـر تَوْكِيـد، وأنَّه لا يُؤَكَّد في مَقَام الخِطَاب الخبري إلا بسَبَب، أن الخِطَاب الخبري إذا أُلْقِي إلى إنسانٍ خالي الذهن فإنَّه لا يُؤَكَّد؛ لأنَّه لا داعي للتوكيـد، التوكيـد ليس فيه إلا زيادة كلمات لا فائدة منها، لكن إذا كان الأمر ذا أهميـة فـإنه يُؤَكَّد ولو كان الإنسان خَالِي الذِّهْن، عَرَفْتُم؟ فإذا كان عالِمًـا بـالأمر صـار أيضًا توكيدُه أبلَغ، ... نحتاج إلى التوكيد أو فيها، فالآن نقول: فإن الله أكَّد هذا الكلام ولمخاطب خالي الذهن أو عَالِمٍ به من قبل يـدُلُّ علـى أهميـة الإيمان بهذا الأمر الذي عليه الشيطان، وهو أنَّه لنا عدُو، وقد قـال علمـاء البلاغة: إن الخبر إذا أُلْقِيَ إلى عالِمٍ به مؤكَّدًا كان ذلك مِن أجْـلِ أنَّ هـذا المخاطَب نُزِّلَ منْزِلَة المنْكِر لكـونِه لـم يَقُـمْ بمـا يقتَضِـيه هـذا الخطـاب ومَثَّلُوا لذلك بقولِه تعالى: ((**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**))[المؤمنـون: 15] كلٌّ يعلم أنَّه سَيَمُوت، لكن لِماذا أكَّدَ لنا الموت ونحن نعلَمُ به ونتأكَّد منه؟ لِأنَّ فعلَنا فعل المنْكِرِ لِلموت حيثُ إنَّنا لا نُصَـدِّق ولا نعمـل لِمَـا بعـد

الموت، طيب إذًا نأخُذ مِن هذه الآية أهميةُ إيمانِنا بأنَّ الشيطانَ لنا عـدُوّ، طيب مِن أينَ علِمْنَا ذلك؟ لأنَّه أُكِّدَ الخبر مع أنه يُنْقَـل إلـى إنسـانٍ خـالي الذهن لا يدري بِأَنَّ الشيطانَ عَـدُوّ، أو إلـى إنسـانٍ عـالمٍ بـه ولكنـه نُـزِّلَ مَنْزِلَة المنْكِر؛ لكونِه لم يتَّخِذِ الشيطان عدوًّا له.

ومِن فوائد الآية الكريمة: وُجُوب البُعْـد عمَّـا يـأمُرُ بـه الشـيطان؛ لقـولِه: ((**فاتخذوه عدُوًّا**)).

ومِن فوائدِها أيضًا: ذِكْرُ الأوصَاف الـمَذْمُومَة إذا كان المقصـودُ بهـا نُصْـحَ الـمُخَاطَب لقولِه: ((**إِنَّ الشيطان لكم عَدُوًّا فاتخذوه عَـدُوًّا**)) لـو رأيتَ شخصًا مُغْتَرًّا بآخر يحسِبُه صـديقَه، وهـذا الشَّـخْصُ الـذي اغتَـرَّ بِـه صاحبُه عدُوٌّ له نعلم أنَّه يُرِيدُ أن يُوقِـعَ بـه كُـلَّ سُـوء فـإنه يجِـبُ علينـا أن ننصَحَه عنه ونذْكُر معايِبَ هذا الشخص حتى لا يغتَرَّ به فنقول: .. تُصاحِبُ فُلَانًا وهو عدُوٌّ لك، نعم حتى وإن كانَت عداوَتُه لكـونِه يهْـدِيهِ إلـى صِـرَاطِ الجحِيم، أي نعم.

ومِن فوائد الآية الكريمة: بيانُ رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه؛ لأنَّ العِلْمَ بعـداوةِ الشيطان غيرُ مُدْرَكٍ لهم، ولكنَّه تعالى هـو الـذي أخبرَنَـا بـه ثـم حَثَّنَـا بـل أمرَنا بمخالَفَتِه لقولِه: ((**فاتَّخِذُوه عدوًّا**)) .

ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ الشيطان له في بنِي آدَم إراداتٌ سَيِّئَة

.. لكن ما فيها دَلِيل على أنّ مِن الناس مَن يدخُل النار ولا يُخَلَّـدُ فيهـا فلا يكون مِن أصحابِها نقول: يُمْكِن فَإِنَّ الشيطان يُرِيدُ مِن النـاس أن يبْلُغُـوا الذُّرْوَة في مُخَالَفَة وإذا بلغوا ذُرْوَةً في مُخَالَفَة وكفروا حِينَئِذٍ يكُونُون مِن أصحابِ النـار الـذين يُخَلَّـدُون فيهـا، أمَّـا المعاصِـي الـتي دُونَ ذلـك فـإنَّ أصحابَها لن .. النَّار كما دَلَّتْ عليه النصوص فلا يكونُون مِن أصحابها.
ثم قال تعالى: ((**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**)) إلى آخره.
الطالب: .... حتى المؤمنين اللي عندهم معاصي
الشيخ: لا هنا يقول: الحِزْب، إِنَّ الحِزْب حِزْب الشَّـيْطَان قـد يكونُـوا الآن حِزبًا له في شيء ولّا شـيء، وهـذا قـد يكـون مـا نقـول: لا يكـون، لكـن الشيطان يُرِيد مِن هذا مِن كل مَن يدعوه أن يكُون مِن أصحابِ النار
قال: ((**الَّذِينَ كَفَـرُوا لَهُـمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ**)) فـي هـذه الآيـة إثبـات الثواب والعِقَاب؛ لقولِه: ((**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**)) .
ومِن فوائدها: بلاغَةُ القرآن حيث يجمعُ بين الشيء وضِـدِّه وهـو مصـداقُ قولِه تعالى: ((**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَـابِهًا مَثَـانِيَ**)) [الزمر:23] قال ... في معنى قولِه: ((مَثَانِي)) أنه تُثَنَّى فيه المعـاني، وهنا لما ذَكَرَ عذابَ الكافرين ذكَرَ ثواب المؤمنين.
ومِن فوائد الآية الكريمة: بَلَاغَة القرآن أَيْضًا مِن وجْهٍ آخَر حيثُ بَدَأَ بـذِكْرِ عذابِ الكافرين، بعـد أن ذَكَـر ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُـمْ عَـدُوٌّ فَاتَّخِـذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**)) فبَدَأ بما فيـه التَّحْذِير بعد ما فيه التَّبْشِير، مِن آياتِ الـمُنَاسَبَة.
ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ الكـافِر عـذابُه شـديد يعنـي ليـس بالعـذابِ السَّهْل .....شِدَّة عذاب الكافرين ... من أين هذا التشديد؟
الطالب: ...
الشيخ: أسألك من أين؟
الطالب: مِن ناحية اتباعهم للشيطان.
الشيخ: ما نوع السبب؟ ما وجهُ شِدَّتِه؟
الطالب: وجْه شِدَّتِه؟
الشيخ: أي نعم.
الطالب: أنهم في النار، عذابٌ شديد.
الشيخ: .... شِدَّتِه، هل هو بكَيْفِيَّتِه أو بِكَمِّيَّتِه؟
الطالب: بالكمِّيَّة والكيفية.
الشيخ: بالكمية والكيفية؛ لأنَّه دائِم ولأنه عذابٌ لا نظِير له، أي نعم.
ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ الأجر لا يثْبُـت إلا ..... فـي وصـفين أحـدُهما الإيمان والثاني العمَل الصالح.
ومنها مِن فوائد الآية: تقسِيم الأعمال إلى صالِحٍ وفاسِد، يُؤْخَذ مِن قـولِه: ((**وعملوا الصالحات**))، وما هو الضابط؟ قلنا فيما سبق: أنَّ الضابط

أن ما كان خالِصًا صوابًا فهو صالِح، وما كـان فيـه شِـرْك أو بدعـة فليـس بصالِح.
ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات .. أجرَهـم مرَّتَيْن مِن زوالِ المكروه الثابت في قوله: ((**لهم مغفرة**))، وحُصُـولِ المطلوب الثابت في قولِه: ((**وأجرٌ كريم**)).
ومِن فوائدها أيضًا: بلاغة القرآن؛ لأنه لما ذكَر عملًا واحدًا في الكفار ذَكَرَ جَزَاءً واحدًا، ولما ذَكَرَ وصفَيْنِ فـي المـؤمنين ذكَـر وصـفَينِ فـي ثـوابِهم، وهذا ظاهرٌ أيضًا في مِثْل سورةِ الإنسان، سـورةُ الإنسـان ((**هـل أتـى على الإنسان حين من الدهر**)) إذا تَأَمَّلْتَها وجَدتَّ اللهَ عز وجـل لـم يذكر في الكافرين وعذابِهم إلا قليلًا بالنسْبَة للأبرار السَّبب ((**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالًا وَسَعِيرًا**)) قال: للكافرين فقط ولم يقل شيء مِن أعْمَالِهم بل كانَ الجزاء مخْتَصَر: (**سَلاسِلا وَأَغْلالًا وَسَـعِيرًا**)، وذَكَر الأبرار وأطالَ في ذِكْر ما لهم مِن النعيم لأنَّه ذَكَر عِدَّةَ أعمال مِن أعمالِهم ((**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَـا كَـافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَـادُ اللَّـهِ** - شـوف الأبـرار عبـاد اللـه- ((**يُوفُـونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَـا نُطْعِمُكُـمْ لِـوَجْهِ اللَّـهِ** - الإخلاص التام - **لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**))[الإنسان:10] نعم في تَرَدُّد هـذه الأوصـاف مِن أوصَافِهم فأطالَ في ذِكْرِ جزائِهم لَمَّا أطالَ في ذِكْـرِ أعمـالِهم أطـال في ذكر جزائِهم بخلافِ الكافرين، وهذا بلا شَك مِن بلاغة القرآن.
ومن فوائدِ الآية الكريمة: أنَّ الأجُـور تختَلـف؛ لقـوله: ((**وأجْرٌ كـبير**)) باختلاف أي شيء؟ تختلف بـاختِلاف العَمـل، وتختلـف بـاختلاف العَامِـل، وإذا كانت مُتَعَدِّيَة فإنها تختلـف بـاختلاف مَـن انْتَفَـع بهـا، فمَثَـل (تختلـف باختلاف العمل): (**أفضَلُ الأعمَال الصلاةُ على وقْتِهـا**)، الـواجب أفضَل من المستحب، باختلاف العامل: مَرَّ علينا: (أفضَلُ الصَدَقَة ما كان عن ظَهْر غِنى) وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: (**لا تَسُبُّوا أصحابي فوالذي نفسي بيَدِه لو أنفَق أحدُكم مثل أُحُد ذَهَبًا مـا بلَـغَ مُـدَّ أحدِهِم ولا نَصِيفَه**) هذا اختلاف إيش؟ باختلاف العامِل، تختلـف أيضًـا باختلاف المحل إذا كانَت مُتَعَدِّيَة فالصَّـدَقَةُ علـى القَرِيـب صَـدَقَة وصِـلَة، والصدَقة على مَن هو أَشَدُّ حاجة أفضَل مِن الصدقة عن [كذا] مَـن دُونـه وهكذا، فاختلاف الأعمَال يستلْزِم اختلاف الأجُـور أيضًـا، تختَلـف أيضًـا ... باختلاف الإخلاص.
الطالب: .....
الشيخ: باختلاف الإخلاص يعني أنه كلما كَانَ الإنسَـان فـي عمَلِـه أَخْلَـص كان عملُه أفضَل، ولَّا لا؟ ويمكن أن نقول أيضًا: تختلف بـاختِلاف الاتِّبَـاع،

وكلما كان اتباعه أكثَر لله ...كانت أكمَل، وعلى كل حال فالاخْتِلَافَات هذه في وُجُودِها يختَلِف بها الأُجُور.
قال الله تعالى : ((**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**)).
الطالب: ....
الشيخ : ((**فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**)) فتجد أنَّ هذه الآية ((**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**)) أن هذه المشيئة قضاء بحكمة، فمَن اقتضَت حكمةُ الله أن يُضِلَّه أضَلَّه، وهو الذي لا يريد الخير ... ((**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**))[الصف:5]، وقوله: ((**ويهدي مَن يشاء**)) المرادُ به هداية التوفِيق وربما نقول: هداية التوفيق والدَّلَالة، ولكن الأهم هداية التوفيق ولعل هذا هو المراد هنا؛ لأنَّ الذين أضلَّهم الله قد هداهم الله هِدَايَة الدلالة، ثم قال تعالى: ((**وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلامِ**)) وهذا عام، ولكن الهداية قال: ((**وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**))[يونس:25]فما كُلُّ مدْعُوٍّ يهْتَدي، وقولُه: ((**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**)) هذا نهيٌ عما كان ولَّا عمَّا لم يكُن؟ الظاهر أنه نهْيٌ عما كان، وأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتحَسَّر على هؤلاء المكذبين الذين كانوا يُكَذِّبُونَه، والنهي عن الشيء قد يكون نهيًا عما كان وقد يكون نهيًا عما لم يَكُن، فقولُه للنبي عليه الصلاة والسلام: ((**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**))[الشعراء:214]هذا نهيٌ عمَّا؟
الطالب: لم يكن.
الشيخ: عما لم يكُن؟ ولّا عما كان؟ ((**فلا تدْعُ مع الله إلها آخر فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**)) عمَّا لم يكن؟ صح لأنَّ الرسول ما فعل، كذا؟ طيب، ((**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**))؟
الطالب: عمَّالم يكن.
الشيخ: ولّا عمَّا كان؟
الطالب : .....
الشيخ : هل ... في نفسه .. في نفسه؟
الطالب: ...
الشيخ: يعني إذا قتلنا أنفسنا، إذًا ما قَتَلْنَا أنفسنا.
الطالب: بالنسبة .....
الشيخ: لا تقتلوا أنفسكم فالمعنى: لا يقتُلْ بعضُكم بعضًا فهذا صحيح، نهيٌ عمَّا لم يكن وعمَّا كان، لكن إذا كان نهيًا أن يقتُل الإنسان نفسه فهذا طبعًا لم يكن؛ إذ لا يُمْكِن أن يقتل نفسه إلَّا وهو موجود.
الطالب: إذا انتحر ما يقتل نفسه يا شيخ؟
الشيخ: آ؟
الطالب: إذا انتحر ما قتل نفسه؟

الشيخ: إي لكن ما تقول: ولا تقتُلْ نفسك.
الطالب: في حياته؟
الشيخ: إي قبل أن يموت، أما بعد أن ... فلا يمكن، طيب إذًا فلا ..... نقول هذه نهي عما لم -سبحان الله- .. ما كان.
الطالب: ...
الشيخ: الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتحَسَّر على فَوات .. والأدلة... ((**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ**))[هود:12]ويقول عز وجل ((**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ** - أيْ مُهْلِكٌ نَفْسَكَ- **أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**))[الشعراء:3] فالرسول عليه الصلاة والسلام تَحَسَّر لِهؤلاء لِعَدَمِ إيمانِهم، طيب يقول هنا: ((**فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حسَرَات**)) يعني لا تَذْهَب نفسُك مِن أجلِهم، نعم، كما يقال: بكيتُ عليكَ الدَّهْرَ. أي مِن أجلِك، فالمعنى: لا تذهب نفسُك مِن أجلهم حسَرَاتٍ، قولُه: ((**حسرات**)) قيل: إنَّها حال على أنها مَصْدَر أُرِيدَ به اسمُ الفاعل، أي حَاسِرَةً، والحسْرَة هي الهَمّ الشديد والغمّ على ما فَات، فكل مَن فَاتَهُ شَيْء يُحِبُّه ويطْلُبُه فاهْتَمَّ لذلك واغتَمّ يقال: تَحَسَّر، وقِيلَ: إِنَّ ((**حسرات**)) مصدر ... وأنه مفعول مِن أجْلِه المعنى: فلا تذْهَب نفسُك أي: تَهْلِك مِن أجْل الحَسَرَاتِ عليهم،
قال...: " ((**فلا تذهب نفسك عليهم**)) على المُزَيَّن لهم ((**حَسَرَاتٍ**)) باغْتِمَامِك ألَّا يُؤْمنوا ((**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**)) فُيَجَازِيهم عَلَيْه " في هذه الجمْلة تهديد وتسْلِيَة، تهديدٌ لهؤلاء المخالِفِين، وتسلِيَة للرسولِ عليه الصلاةُ والسلام يعني لا ... فإنَّ حسابَهم على الله وسوف يجازِيهم.
قوله تعالى: ((**فلا تذهَبْ نفسُك عليهم حسَرَاتٍ**)) {أو مِن أوَّلِه أظن، مِن أول الآية}
قال الله تعالى: ((**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**)) إلى آخِرِه: مِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ مِن الناس مَن يعْمَى قلبُه حتى يَرَى السَّيِّئَة حَسَنَة، وفي مقابل ذلك يرى الحَسَن سَيِّئًا؛ لقولِه: ((**أفمَن زين له سوء عمله فرآه حسنًا**)).
ومِن فوائدها: إبهَامُ الفاعِل ليشْمَلَ كُلَّ ما يمكن أن يَقَعَ مِنه هذا الفِعْل؛ لقوله: ((**زُيِّنَ له سوءُ عملِه**))، وقد مر علينا أنَّ المُزَيِّن هو الله عز وجل في الأصْل، والشياطِين في المُبَاشَرَة.
ومِن فوائدِها: انقِسَامُ الأعمَال إلى سَيِّءٍ وصالِح؛ لقوله: ((**سوءُ عمله**)).
ومن فوائدِها: الردُّ على الجَبْرِيَّة؛ لقوله: ((**سوءُ عملِه**)) فأضافَ العمَلَ إليه، وهم يقولون: إنَّ الأعمال لا تُضَافُ لِلإنسان؛ لأنَّه مُجْبَرٌ علَيها.

ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ مَن هَذِه حالُه لا يسْتَوِي مِعَ مَن ليسَ كـذلك بحيْثُ يَرَى السَيِّئَ سَيِّئًا والحَسَنَ حَسَنًا، ونأخُذُها مِن أنَّ المحْذُوف يكـونُ مُقَـابِلًا للمَـذْكُور؛ لأنَّ الهمْـزَة هنـا لِلتَّسْـوِيَة يعنـي: أَيَسْـتَوِي هـذا وهـذا؟ والجواب: لا يَسْتَوِيَان.

ومِن فوائدِ الآية الكريمة: أنَّ الهِدَايَة والإضلال بيد اللـه؛ لقـولِه: ((**فَـإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**)).

ومِن فوائدها -وهي تتفَرَّع على هذه الفائِـدة- : أنَّنـا إذا علِمْنَـا ذلـك فإننـا نسْأَلُ الهدايَة مِنَ الله ونسْـتَعِيذُ مـن الضَّـلَال بِمَـن؟ بِـالله، نسـتعِيذُ مِـن الضَّلَال باللهِ عز وجل؛ لقوله: ((**فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَـنْ يَشَـاءُ وَيَهْـدِي مَنْ يَشَاءُ**)).

ومن فوائدِها : إثباتُ مَشِيئَةِ اللهِ عز وجل لقولِه: ((**مَن يَشَاء**))، ولكنَّه مَرَّ علينا أنَّ كُلَّ فِعْلٍ عَلَّقَهُ اللهُ بمَشِـيئَتِه فـإنَّه مَقْـرُونٌ بالحِكْمَـة، ودليـلُ ذلك قولُه تعالى: ((**وَمَا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**))[الإنسان:30].

ومن فوائدِها: الرَدُّ على القَدَرِيَّة؛ لقولِه: ((**يُضِلُّ مَـنْ يَشَـاءُ وَيَهْـدِي مَنْ يَشَاءُ**)) فإنَّ القدرية يقولون: إنَّ أفعال العبْد مِن ضَلالَةٍ أو هِدَايَـة لا تَتَعَلَّقُ بها مَشِيئَةُ الله، لأنَّ مذهَبَهُم القدرِيَّة مَذْهَبُهم: أنَّ الإنسان مُسْـتَقِلٌّ بعملِه ليس لله تعالى فيه تَعَلُّق إطلاقًا، حتى إنَّ غُلَاتَهم يزْعُمُـون أنَّ اللـه لا يعلَمُ عَمَلَ العبد حتى يَقَع ويقولون: إنَّ الأمْرَ أُنُف أي: مُسْـتَأنَف أي أنَّ عِلْمَ الله عَزَّ وَجَلّ يحْدُث بَعْد أن لَم يَكُن.

ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - وعَزَّ مَن أَرْسَلَه - كان يحزَن حُزْنًا عَظِيمًا تكادُ تذْهَبُ نفسُه مِـن شِـدَّتِه؛ لقـولِه: ((**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**)) وجْهُ ذلك أنَّ الأَصْلَ فـي النهـي أن يكُونَ عمَّا وَقَع وقد يكُون عمَّا لم يقَعْ وهو كثِيـر أيضًـا، ويـدُلُّ علـى أنَّ هذا أمْرٌ واقِع قولُه تعالى: ((**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُـؤْمِنِينَ**))[الشعراء:3].

ومِن فوائدها: شَفَقَةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على أُمَّتِه.

ومِن فوائدِها أيضًـا: أن الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام لا يحـزَن لِعـدَمِ إيمانِهِم أو طاعَتِهم لِمصْلَحَتِهِ هُو، ولكن لِمَصْلَحَتِهِم لقولِه: ((**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ** – عليهم **- حَسَرَاتٍ**)).

ومنها: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بَشَر يتَأَثَّرُ بما يتَأَثَّرُ بـه البَشَـر مِـن أَسْبَابِ الفرح وأسْـبَابِ الحُـزْن وهـذا أمـرٌ واقـع، وقـد دخـل النـبيُّ عليـه الصلاة والسلام علـى عائِشَـة ذاتَ يَـوْم مُسْتَبْشِـرًا تَبْـرُقُ أسَـارِيرُ وَجْهِـه فَسَأَلَتْهُ عن ذلك فقال: **(ألم تَرَيْ إِلَى مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيّ دخَـلَ علـى أُسَامَة بن زَيْد وزَيْد بن حَارِثَة وهما** – يعني مُتَغَطِّيَـان **- بِـردَاءٍ قـد ظهرَتْ أقدامُهما فقال: إنَّ هذه الأقـدام بعضُـها مِـن بَعْـض)** ففرِح عليـه الصـلاةُ والسـلام حـتى ظهَـرَ ذلـك علـى وجهِـه، فـالأعرَاض

البَشَرِيَّة تطرَأُ على النبي صلى الله عليه وسلم كغيره مِنَ البشر مِن الفَرَح والحزن والغَمّ والاستِبْشَار والنِّسْيَان وعَدَم العِلْم وغيرِ ذلك؛ لأنَّه لا يَتَمَيَّز عن البَشَر إلا بِشَيْءٍ واحِد وهو الوَحْي قال الله عز وجل: ((**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**)) شوف (بَشَر) تُغْنِي عن (مِثْلِكُم) لكن هذا مِن بَاب التَّأكِيد؛ لئَلَّا يذْهَبَ ذاهِبٌ إلى أنَّه بشَرٌ قد خُصِّصَ بِشَيْء فقال: ((**بشَرٌّ مثلكم**)) ثم ذَكَرَ المِيزَة فقال: ((**يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**))[الكهف:110] وفي هذا رَدٌّ واضِح على أولئك القوم الذين يدَّعُون أنَّ للنبي صلى الله عليه وسلم تأثيرًا في الخَلْق كتأثِيرِ ربُوبِيَّة اللهِ عز وجل؛ لأنَّه لو كان كذلك ما ذَهَبَتْ نفسُه عليهم حَسَرَات لَهَدَاهُم وسَلِمَ مِن هذه الحَسَراتِ التي تكُونُ على نفسِه، نعم.

ومن فوائدِها: إثباتُ عِلْمِ اللهِ عز وجل بِكُلِّ ما نعمَل؛ لقولِه: ((**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**)).

ومِن فوائدها: عنايَةُ الله برسولِه صلى الله عليه وسلم في مِثْلِ هذه الجُمْلَة التي تُفِيد تسلِيَتَه وتهْوِينَ الأمْرِ عليه وأنَّه مَا مِن حسابِ هؤلاء علَيه مِن شَيء كما أنَّه ليس من حِسابِه هو عليهم مِن شَيْء، نعم.

ثُمَّ قالَ عز وجل: ((**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ**)) وفي قراءَةٍ ((**الريح**)) " ((**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ**)) الله وحدَه هو الذي يُرْسِل هذه الرِّيَاح دُون غيرِه فلن يستطِيعَ أحدٌ أن يُرسِلَ شَيْئًا مِن هذه الرياح، حتى الخلقُ كلهم لو اجْتَمَعُوا على أن يُرْسِلوا الرِّيح ما استطاعوا، لو اجتمعوا على أن يُهَوِّنُوا عَصْفَها ما استطاعوا، ولكنَّ بذلك بيَدِ اللهِ عز وجل، فاللهُ وحده الذي يُرْسِل الرياح، وتَأَمَّل قولَه: ((**يرسل**)) حيث جعلَها رسولًا أو ((أرْسَل)) حيث جعلَها رسولًا كأنها تُبَلِّغ أو كأنَّها تفْعَل ما أُمِرَتْ به كما أنَّ الرسول يُبَلِّغ ما أُرْسِلَ به فهي مُرْسَلَة، ولهذا ثبَت عن النبي عليه الصلاة والسلام النَهْيُ عن سَبِّ الريح؛ لأنَّ سَبَّ الريح حَقِيقَةً يعُودُ إلى اللهِ عَزَّ وجل فَإِنَّه هو الذي أرسلَها فهي مُدَبَّرَة مُسَخَّرَة، وقولُه: ((**الرياح**)) وفي قِراءَةٍ: ((**الرِّيح**)) والقِراءة هنا سَبْعِيَّة، والفرق بينهما أنَّ الرياح جَمْع، والريح مُفْرَد لكنَّ هذا المفرَد في معنى الجمْع؛ لأنَّه مُحَلَّى ب(أل) وهي للاسْتِغْرَاق فيشمَل كُلَّ الرياح سواءٌ أتَتْ مِن الشِّمَال أو الجَنُوب أو الشَّرْق أو الغَرْب، والله تعالى هو الذي أرسلَها، واعْلَم أنَّ الغالب أنَّ الرياحَ مجمُوعَةً تكونُ في الخير، والريحَ مُفْرَدة تكون في ضِدَّه، هذا الغالب ولهذا يُروى عن النبي عليه الصلاة والسلام في دعاء الريح: (**اللهم اجعلْهَا رياحًا ولا تجعلْها رِيحًا**) ولكن معَ ذلك تأتي هذه مَحَلَّ هذه ويكون هناك قرينَة، ففي قولِه تعالى: ((**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**))[الذاريات:41] هذه في الشَرّ، ((**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**)) [يونس:22]هذه للخَيْر لأنها وُصِفَت، ((**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**))[الأعراف:57] هذه في الخير، وهنا تكون

في الخير أيضًا ((**يُرْسِلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا**)) ((**تُثِيرُ**)) عطَفَ المضَارِع على الماضِي وكان مُقْتَضَى النَسَق أن يعطِفَ على الماضي ماضِيًا مثلَه فيقول: واللهُ الذي أرسَل الرياح فأثارَتْ، لكن لِمَاذَا عَدَل عن الماضِي للمضَارِع؟ بيَّنَه المؤلِّف قال رحمه الله: " المضَارِعُ لِحِكَايَةِ الحَالِ الماضِية " يعني عَبَّر بالمضَارِع عن الماضِي حِكَايَةً للحَال حين إرسَالِها؛ لأنَّه أبلغُ في التَصَوُّر كأنَّها الآن أمامَك تُثِير هذه السَّحَاب، وهذا أبْلَغ في تَصَوُّرِ الإنسان؛ لأنَّه يسْتَحْضِرُ الحَال الماضِية كأنَّها الآن، إذ أنَّ المضارع كما نعرف جَمِيعًا يصلُح للحَال وللاستِقْبَال ولكنَّه قد يقتَرِن به ما يُعَيِّنُه للحال، ويقتَرِن به ما يعَيِّنُه للاستِقْبَال، ويقتَرنُ به ما يُعَيِّنُه للمَاضي، إنما الأصْل فيه أنه للحَاضِر والمسْتَقْبَل ولا يكونُ الماضي إلا بقَرِينة، فعليه نقول: عُدِلَ عن التعبِير بالماضِي هنا؛ لِحِكَاية الحَالِ الماضِيَة حتى كأنَّك تُشاهِدُها الآن وهي تُثِيرُ هذا السحاب، وقال المؤلِّف في معنى ((**تثير**)): " أي تُزْعِج " وهذا معنًى قد يُنَاقَش فيه؛ لأنَّ الإزعاج أخَصّ مِن الإثارة، وإنَّما الإثارة بمعنى الإنهاض إنهَاض الشيء كما يُقَال: أثَرْتُ البعير أي أنهضتُه حتى صارَ قائمًا بعد أن كان بارِكًا، نعم وقوله: ((**تُثِير سحابًا**)) كأنَّ هذا السحاب في الأصْل في الأرض ثم أثارَتْه هذه الرياح، ومعلومٌ أنَّ السَّحاب يكونُ من بُخَار البَحْر ويكونُ أحيانًا من الجَوّ المُتَلَبِّد بالرُّطُوبة حَسَب ما تَقْتَضِيهِ حِكْمةُ اللهِ عز وجل، وهذا أمرٌ يَرْجِع إلى مَعْرِفَةِ العلوم الطبيعية، وقوله: ((**فتثِيرُ سحابًا**)) السَّحاب هو هذا الغَيْم المعرُوف .. يَنْسَحِبُ في الجو كما تُشَاهِدُونَه فلذلك سُمِّيَ سحابًا؟ لانسِحَابِه في الجو، ((**فتثير سحابًا**))

((**فَسُقْنَاهُ**)) فيه التفاتٌ عن الغَيْبَة " إلى التَكَلُّم، طيب وفيه أيضًا التفاتٌ من المضارع إلى الماضِي انتبه! ((**أرسل الرياح فتثير سحابًا فسُقْنَاه**)) عَدَلَ عن المضارع إلى الماضي؛ لِاختلافِ الفاعِل في الفِعْلَيْن لِأن ((**تُثِير**)) الفاعِلُ فيها (الرِّيَاح)، و((**سُقْنَاهَ**)) الفاعل فِيها (الله) إذًا يحسُن أن تكون بلفْظ الماضي عطفًا على قوله: ((**أرْسَل**))؛ لأنَّ المرْسِل هو الله فلما اتَّحَدَ الفاعِل في الفِعْلَين (أرسل) و(سقنا) كان الأفصح أن يكونا جميعًا بلفظ الماضي لكن فيه عدول عن الغَيْبَة في قوله: ((**والله الذي أرسل**)) إلى التكلم في قوله: ((**فسُقْنَاه**)) لماذا؟ مَرَّ علينا أن الالتفات له فائِدة دائمة وهي يا عبد الرحمن؟

الطالب: التنبيه.

الشيخ: تَرْجِمْ عنه!

طالب آخر: التنبيه؟

الشيخ: التنبيه؟ التنبيه كيف التنبيه؟ لِأَنَّ سِيَاق الكلام على نسَق واحد يقتَضي أن الذهْنَ ينْسَابُ معه ولا يتَوَقَّف، لكن إذا اخْتَلَف السياق كأنَّه يَقِف الذهن لِينظُر ما الذي حدث وحينئذ يكون في تغييره تنبيهٌ لِمَن؟

للمُخاطَب، نعم فهذا واحد، لكن هنا أيضًا فيه فائِدَة ثانية وهي بَيَانُ قُـدْرَةِ الله عز وجل، ((**فسقْنَاه**)) أي نحنُ فأضافَهُ إلى نفسِه؛ لأنه أدَلُّ علـى القُدْرَة، فإذا اجتَمَع ((**الله الذي أرسل**)) ثم هو اللـه سـبحانه وتعـالى ساقَه هذا السَحاب الذي أثارَتْه الرِّيح فهو أدَلُّ على القُـدْرَة ممـا لـو جـاء على نَسَقٍ واحِد ((**فَسُقْنَاهُ إِلَـى بَلَـدٍ مَيِّـتٍ**)) بالتشـديد والتخفيـف، نعم.

الفائدة الثانيـة بيـانُ تمـامِ القُـدْرة لأنَّـه إذا كـان بِـالأول للغـائب ثـم جـاء للمتكلم صار هذا أدَلَّ على القُدْرة وأعظَم.

الطالب: ....

الشيخ: لا، هذا مِن حيثُ الالتفات مِنَ الأصْل.

يقول: ((**إلى بلد مَيِّت**)) " فيها قراءَتـان " ((**مَيّـت**)) و ((**مَيْـت**)) وقد قيل إن الـمَيْت لمن ماتَ بالفعل، والميِّت لمن سيمُوت وجعلُوا على ذلك شاهدًا في قوله تعالى: ((**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**))[الزمر:30] أي ستمُوت، وقوله: ((**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـاهُ وَجَعَلْنَـا لَـهُ نُـورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**))[الأنعام:122] ف(ميتًا) هنـا لمـن قـد مَـات، هكـذا فـرق بعضُـهم، والظـاهر أن اللغـة العربيـة تـأتي بـالوجهين علـى المعنَيَيْن ومنها هذه الآية (ميتًا) سيمُوت ولَّا قد مات بالفعل؟ ((**إلى بلد مَيِّت**))؟ قد مَات ومع هذا جاءَت بالتَّشْدِيد.

((**إلى بَلَدٍ ميّت**)) بالتشديد والتخفيف لا نَبَاتَ بها " هذا هو مَوْت البلد والمراد بالبلد هنا ليس المسْـكُون مِـن الأرض بـل مـا هـو أعَـمّ فيشـمل المسْكُون وغير المسْكُون وتخصيصُ البلـد بالمسْـكُون تخصـيصٌ عُرْفِـي وإلا فكُلُّ الأرض بَلَد؛ لِانْبِلَادِهَا وتَسَطُّحِها، يقول الله عز وجل: ((**إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ**)) ((**أحيَيْنَا به**)) سُقْنَاه فأحيينا هنا الأفْعـال والضمائر على نَسَقٍ واحد، وقوله: ((**أحيينا به الأرض**)) يقول: " مِن البَلَد " ويش معنى "مِن البلد"؟ يعني أرْضَ البَلَـد هـذه الـتي كـانت مَيِّتَـة أحيَاهَا الله عز وجل بِماذا أحياها؟ أحياها بالنبات ولهذا قال المؤلـف: " ((**بعد موتها**)) يُبْسِهَا أي أنبَتْنَا به الزَّرْعَ والكَلَأ " وهـذا أمْـرٌ مُشَـاهد تـأتِي الأرض يابِسَة هامِدة عيـدان تَتَكَسَّـر فيُنْـزِلُ اللـه المطَـر عليهـا ثـم تهتَـزّ خَضْرَاء فيها مِن كُلِّ زوجٍ بهِيج مَنِ الذي أحيَاها؟ اللهُ عز وجل، لا يستطِيعُ الخلْق أن يُحْيُوها أبدًا مهما كـان، حـتى الكلأ الـذي ينْبُـت بـالمطَر لا يُنْبِتُـه الماء الجَاري كما هو مشاهد، يعني لو تسـقي هـذه الأرض مهمـا سـقيتَها بالماء الجاري فإنَّ الكلَأَ الذي ينبُـت مِـن المطـر لا ينبُـتُ بِهـذا المـاء، إذًا فالله عز وجل هو الذي أحيَا هذه الأرض بَعْدَ موتِها أي بعد أن كانت يابِسَة هامِدة ليس فيها نَبَات أحياها اللهُ سبحانه وتعالى بِقُدْرَتِه

قال: ((**كَذَلِكَ النُّشُورُ**)) أي البَعْثُ والإحيَاء " ((**كذلك**)) الكـاف هنـا اسم بمعنى (مِثْـل) وهـي خَبَـرٌ مُقَـدَّم، و((**النشور**)) مُبْتَـدأ مُـؤَخَّر أي النُّشُورُ مِثْلُ ذلك، ويجوز أن تقول: ((**كذلك**)) الكاف حرف جر ليسـت

بمعنى (مثل) يعني ليست على ...اسم وتجعلها جَارًّا ومَجْرُورًا خَبَرًا مُقَدَّمًا، والنشور مبتدأ مُؤَخَّر، والتقدير: النُّشُور كَائِنٌ كذلك، والنُّشُور هو نَشْرُ الأموات على وَجْهِ الأرض وإحيائُهم بعد أن كانوا أمواتًا، والتشبيهُ هنا هل هو تشبيهٌ للسبب والنتيجة أو للنتيجةِ فقط؟ أي: هل المعنى أنَّ النُّشُورَ الذي يكون للأموات يكونُ بواسطة ماءٍ يُنْزِلُهُ الله عز وجل فَتَنْبُت هذه الأجسَام ثم تَحْيَا، أو أنَّ التشْبِيهَ للنتِيجَة فقط أي أنَّ إحياءَ الموتى كإحياءِ الأرض بقَطْع النظر عن السَّبْب نعم؟ الأوَّل؛ لأنَّه وَرَدَ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنَّ الله تعالى يُرْسِل على الأرض مَطَرًا مِن تحت العرش مطَرًا غليظًا حتى يصِل إلى الأجسام فتنْبُت في القُبُور كما تنْبَتُ الحبَّة في الأرْض، فإذا تكامَلَتِ الأجْسَام نُفِخَ في الصور فخرَجَتِ الأرواح إلى أجسامِها، وعلى هذا فيكونُ التشبيه هنا عائدًا إلى السبب والنتيجة أيضًا، هذا هو المشهُور عند أهل العلم، يقول: ((**كذلك النشور**)).

((**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ**)) ((**مَن**)) اسمُ استِفْهَام أو شَرْطِيَّة؟

الطالب: .....

الشيخ: الدليل؟

الطالب: .....

الشيخ: ما هو بعد ..... يأتي بعد (مَن) استفهام، لكن الجَوَاب والشَّرْط فيها ظاهر يعني نقول: أيُّ إنسان يُرِيدُ العِزَّة فلله العِزَّة جميعًا ((**مَن كان**))، لكنَّها عامَّة؛ لأنَّ أسْمَاء الاستفهام وأسماء الشَّرْط والأسماء الموصُولة كُلُّها تُفِيد العموم، يعني أيُّ أحَدٍ يُرِيد العِزَّة أو يطلُبُها ويحرِصُ عليها، والعِزَّة هي الغَلَبَة والمُنْعَة وقَهْر الأعداء ((**فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**)) أي فَلْيَطْلُبْهَا مِنْه ما دامَتِ العِزَّة له مُلْكًا وَتَصَرُّفًا فإنَّها لا تُطْلَب إلا مِنْه كما لو قُلْت: مَن كَانَ يُرْيدُ المَال فالمَالُ عند زَيْد المعنى: فليأتِ بالمال مِن زيد، هنا ((**مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّة**)) فليطلُبِ العِزَّةَ مِنَ الله لا من غيرِه، وهذا يُرَادُ به الرد[قطع في الشريط] يعبُدُون الأصنام نعم، لأجل أن يَتَّخِذُوا منها العِزَّة ففي هذه الآية إشارة إلى أنَّه لا عِزَّةَ لهذه الأصنام ((**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**))[مريم:81] الجواب: ((**كلا**)) لن يكونوا لهم عِزًّا بل بالعكس سَيُذِلُّونَهُم في مَوْقِعٍ هم أحوَجُ ما يكونُ إلى العِزَّة ((**سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**))[مريم:82] فأين العزة في هذه الأصنام أو في هذه الآلهة التي اتَّخذُوها من دون الله، طيب ورد في العزة في آياتٍ كثيرة من القرآن وردَتْ في آية أخرى ((**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**))[المنافقون:8] ولا مُنَافَاة بينها وبين هذه الآية فإن العِزَّة لله أصلًا، ولرسوله منين؟ مِن الله، وللمؤمنين مِن الله فحينئذٍ فالعزةُ كلُّها لله كما قال الله تعالى في سورة آلِ عمران: ((**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**))[آل

عمران:26] فكلُّ مَن عنده عِـزَّة فإنها ليسـت عـزةً ذاتِيَّـةً لـه مـن بـاب نفسِه ولكنها منين؟ من الله عز وجل، وبماذا تكون العـزة الـتي يكتسِـبُها الإنسان وهي مِنَ الله؟ تكونُ بما علَّقَ اللهُ العزةَ عليـه وهـي الإيمـان، ((**وَلِلَّـهِ الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ**)) فمـتى أرادَ الإنسـان العـزة فليكُن مؤمنًا وكلما كان أكثر إيمانًا بالله وأقوى إيمانًا بالله كان أكثَرَ عِـزَّةً وأقوى عِزَّة ولهذا قال عُمَر رضي اللـه عنـه : " **إننا قـومٌ أعزَّنـا اللـهُ بالإسلام فمَتى أردْنَا العزة بسِوَاه أذَلَّنا الله** " وصدقَ رضـي اللـه عنه، العرب لما كانوا عَربًا ليس عندهم إسلام ماذا كانوا؟ كانوا أَذِلَّة كانوا أَذِلَّةً فُقَرَاء يذْهُبون إلى اليمن في الشتاء ليأتوا بالسِّلَع منه ويذهبون إلـى الشام في الصيف لِيَأتُوا بالسِّـلَع منـه، فهـم فُقَـرَاء يـأكُلُون مِـن غيرهـم، ولكن لما آمَنُوا صاروا هُم الأغْنِياء وصارت كنوزُ كِسْرَى وقَيْصَر تـأتي إلـى المدينة لِتُنْفَق عليهم مِن المدينـة، نعـم، إذًا نحـنُ مهمـا أردْنـا العِـزة لـن نَسْتَعِزَّ إلا بالإسلام، لن يكونَ أعداءُ الله سببًا لِعِزِّنَا أبدًا بل إن توَلِّينَا إياهُم وموالاتَنا لهم سببٌ للذُلّ ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَـالًا وَدُّوا مَـا عَنِتُّـمْ قَـدْ بَـدَتِ الْبَغْضَـاءُ مِـنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**))[آل عمران:118] وإذا تَتَبَّعْتَ الواقع وجدتَّه شاهدًا لقول الله تعـالى هـذا، وأنَّ أعـداءَ المسـلمين لا يمكِـن أبـدًا أن يسْـعَوْا فـي إِعْـزَازِ المسلمين بل يسْعَوْن بكل جُهْدِهم إلى إذْلَالِ المؤمنين وخُذْلَانِ المؤمنين لكنَّهم يمْكُرون ويخادِعُون ويسْخَرُون ويَسْتَهْزِئُون لِيَنَالُوا مَآرِبَهُم ويَضْرِبُوا الناس بعضَهم ببعْض، فالحاصل أنَّه إذا كانت العزة لله فمِن أين نطلبهـا؟ مِن الله لا مِن غيرِه ((**فلله العزة جميعًا**)) **(جميعًا)** هـذه حَـالٌ مِـن العِزَّة التي هي المبتدأ المؤَخَّر، وفي قولِه: ((**فلله العزة**)) فيها حَصْـر العزة لله عز وجل، وجهُه؟

الطالب: .....

الشيخ: لا، إن قلت: تقديم الجار والمجرور غلط، تقديمُ المعمـول غلـط، تقدِيمُ اللام غلط، تقديم الخبر صح.

الطالب: .....

الشيخ: لا قد يكـون الجـار والمجـرور غيـر خطـأ، مـا عَلَـىّ المقصـود مـا مقصود أنا ما أعْرِف إلا لفظكـم إنمـا أقضِـي بنحْـو مـا أسـمَع، لـو قلـت: تقديم الخبَر انتهى الإشْكَال سواءٌ كان جار ومجرور أو غير جار ومجـرور، إذًا تقديمُ الخبر يفيد الحصر؛ لأن لدينا قَاعِدَةً مرَّت علينا وهي: تقـديم مـا حقُّه التأخِير، طيـب وقـولُه: ((**جميعًا**)) يُـرَاد بـه الأنـواع يعنـي عمـوم الأنواع وعموم الأزمان وعمـوم الأمْكِنَـة، عمـوم الأنـواع الـتي هـي عِـزةُ القَدْر والقَهْر وش بعد؟ والامْتِنَاع، الأحوال قَصْدنا الأزْمَان الدنيا والآخـرة، المكَان: في مشارِقِ الأرض ومغاربِهـا ((**لله العـزة جميعًـا**))، طيـب قال المؤلف: " أي في الدنيا والآخرة " قال: "فلا تُنَال منه " أي فلا تُنـاَل

العزة مِن الله " إلا بطَـاعَتِه فَلْيُطِعْـه " فـي عنـدكم فلْيُطِعْـهُ ولَّا فَلْنُطِعْـه بالنون.
الطالب: .....
الشيخ: اي فليُطِعْه أي مَن كان يريدُ العزة لأنه قال: ((**من كـان يريـد العزة**))، طيب أفادَنا المؤلف أنَّ جواب الشرط محـذُوف وهـو قـوله: " فليُطعْه "، ولكن الصواب أنَّ التقـدير: فليطلبْهـا مِـن اللـه ((**مَنْ كَـانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّـهِ الْعِـزَّةُ جَمِيعًـا**)) فليطلبْهـا منـه، ويشـمَل الطَّلَـب بلِسَانِ الحال وبلِسَان المقال عرَفْت؟ أما على رأي المؤلف

أما على رأي المؤلف فإنَّه يَخْتَصُّ الطلَب بلِسَانِ الحَال فَقَـط، فالصـوابُ إذًا أنَّ جَوَابَ الشَّرط محذوف تقديرُه: فلْيَطْلُبْها منه؛ لِيَشْمَلَ ذلك طلـبَ الحالِ وطلبَ المقال، فطلبُ المقال أن تقولَ: اللهم أَعِزَّني اللهم اجعَـل لي العِزَّةَ على كذا مثلًا، على عَدُوِّي، وطلب الحال أن تقومَ بطاعـةِ اللـه بل بطاعةِ الله مـع تحقِيـقِ الإيمـان؛ لأن اللـه سـبحانه وتعـالى يقـول: ((**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**))[المنـافقون:8]، طيـب ذُكِـرَتِ العِزَّة قلت في مواضع كثيرة من القرآن تحفظون مواضع غير ما ذكرنـا؟ ((**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَـا الأَذَلَّ**)) [المنافقون:8]

الطالب: .....

الشيخ: في آخر الآية، ذكرناها.

الطالب: .....

الشيخ: هذه ((**فَسَوْفَ يَـأْتِي اللَّـهُ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُـمْ وَيُحِبُّـونَهُ أَذِلَّـةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**))[المائـدة:54] طيـب، واللـه أعلم.

((**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**)) ((**إليـهِ**)) جارّ ومجرور مُقَدَّم على عامِلِه وهو: ((**يصعد**))، والضمير فـي ((**إليه**)) يعود إلى الله عـز وجـل، لمـا ذَكَـرَ أن العـزةَ لله جميعًـا بيـن سبحانَه وتعالى ما يكُون مِن أسباب العزة فقال: ((**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّـبُ**)) قـوله: ((**يصـعَد**)) أي يرْتَفِـع ويَعْـرُج ((**الكَلِـم الطيـب**)) يقـول المؤلف: " يَعْلَمُه " فَفَسَّرَ صُـعُودَ الكلـم الطيـب بعِلْـمِ اللـهِ إيَّـاه، وهـذا تحريفٌ للكَلِم عن مواضِعِه، بل المـرادُ بالآيـة ما هـو ظاهرُهـا أنَّ الكلـمَ الطَيب يصعَد إلى الله يعني يعرُج إلى الله عز وجـل، لكـن المؤلـف غفـرَ الله لنا وله أرادَ أن يُبْعِد عن إثباتِ العُلُوِّ الذَاتِيَ فقال: " يعلَمُه " ولو كانَ المراد العِلْم ما قال: ((**إليه يصعد**))؛ لأنَّ العلم لا يلزَمُ منه الصُّعُود بل قد يكون العالِم بالشيء أَنْزَلَ مِن الشيء أليس كذلك؟ كما لو كنْـتَ فـي أسْفَلِ البِئْر وأنت تعلَم ما فوق، على كُـلِّ حـال هـذه هَفْـوَة مِـن المؤلـف نسْأَلُ اللهَ أن يعفُوَ عنه ونقول: إلى الله يصْعَدُ أي يرتَفِـع الكلـمُ الطيـب؛ لأنَّ الله عز وجل في العُلُوّ، وأدلة العُلُّو قد بُيِّنَت في العَقَائِـد وأنهـا أربعـةُ أنواع: الكتـابُ والسُّـنَّة والإجمـاع والعقْـل والفِطـرَة خمسـة أنـواع كلهـا مُتَّفِقَة على عُلُوِّ اللـه سـبحانه وتعـالى بـذاتِه؛ وقـد مـرَّ علينـا فـي كتـاب الإقماع أنَّ شيخ الإسلام رحمه الله يقول: " مَن زَعَم أنَّ الله معنـا بـذاتِه بالمكَان فهو كَافِرٌ " يقول هنا: ((**الكلمُ الطيب**)) كَلِم اسم جمْع كَلِمَة فهو دالٌّ على الجمع، وما المراد بالكلم الطيـب؟ الكلـمُ الطيـب هـو كُـلُّ كلم يُقَرِّبُ إلى الله عز وجل، كُلُّ كلم يُقَرِّب إلـى اللـه فهـو كَلِـمٌ طَيِّـب، فـ(لا إله إلا الله) مِنَ الكلم الطيب، و(سبحان الله) و(الحمد لله) و(اللـه أكـبر) كُلُّهـا مِـن الكلـمِ الطيـب، والقـرآن مِـن الكلـم الطيـب، والأمـرُ

بالمعروف والنهي عن المنكر مِن الكلم الطيب، وقراءةُ العِلْم من الكلـم الطيب، وكلُّ قولٍ يُقَرِّب إلى الله فهو مِن الكلم الطيِّب، والكلـمُ الطيـب يقابلُه نوعَان مِن الكلام: كَلمٌ رَدِئٌ خبيث، وكلمٌ لا هذا ولا هـذا، لا يوصـفُ بأنَّه طيِّب ولا يُوصَف بأنَّه خبيث، أمَّا الكلِمُ الخبيث فكَكَلِمَةِ الكُفْر والسَبّ والشَّتْم واللَّعْن لِمَن لا يحِلّ سَبُّه ولا شَتْمُه ولا لَعْنُـه، وأمَّـا الكلـم الـذي لا هذا ولا هذا فهو أكْثَرُ كلامِ الناس والصنفانِ جميعًا لا يُرْفَعَانِ إلى الله، أما الأول؛ فلأنَّه خبيث واللهُ تعالى طيبٌ لا يقبلُ إلا طيِّبًا، وأمـا الثـاني: فلأنَّـه لم يُقْصَد به الله عز وجل حتى يُرْفَعَ إلى اللـه، وهـذا الثـاني أعنـي الـذي ليس هذا ولا هذا قد يكون طَيِّبًا لا لذاتِه ولكن لغيرِه لِمَـا يُوصِـل إليـه مِـن المقاصد الحسنة فإنَّ الإنسان قد يتحدَّث إلى شخص كلامًا ليس هو خيرًا فـي نفسِـه لكـن يَقْصِـد بـه التـأليف لهـذا الرجـل وإدْخَـال الأُنْـس عليـه والسُّرُور فيكون هذا الكلام الذي هو لغوٌ فـي نفسِـه يكـون محمـودًا لِمَـا قُصِد به، كما أن هذا الكلام الذي هو لغوٌ في نفسه إذا قُصِـدَ بـه الإسـاءة إلى مَن لا تحِلُّ الإساءةُ إليه صار كلامًا خبيثًـا لغيـرِه ولَّا لـذاتِه؟ لغيـرِه أي لِمَا قُصِد به، وعلى كلٍّ فالكلمُ الطيب لذاتِه أو لغيرِه يَصْعَدُ إلـى اللـهِ عـز وجل، فإن قلت: كيف يصعَدُ الكلِـمُ الطيـب والكلِـمُ ليـس جُرْمًـا؟ الكلِـم ليس جُرْما بل أصواتٌ تُسْمَع بحركاتٍ معينة في الفَم واللِّسَان والشَّـفَة؟ فالجواب أنَّ اللـهَ سـبحانه وتعـالى قـادرٌ علـى أن يجعـلَ المعقـول شـيئًا محسُوسًا كما ثبتَ في الحديثِ الصحيح أنَّ الموت يُؤْتَى بـه علـى صـورة كَبْشٍ أبيض فيُذْبَح بين الجنةِ والنار ويقـال لِأهـلَ الجنـة: خُلُـودٌ ولا مـوت، ولِأهْلِ النار خُلودٌ ولا موت.

وقولُه: ((**الكلمُ الطيب**)) إنما جمعَـه؛ لكـثرةِ أنـواعِه، وكـثرة الأنـواع تدُلُّ على كثرة الأفرَاد مِن بابِ أولى، الأنواع كثيرَة والأفرادُ في كـل نـوع كذلك كثيرةٌ فلهذا جمعَ.

((**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّـبُ وَالْعَمَـلُ الصَّـالِحُ يَرْفَعُـهُ**)) يقبَلُـه " أفادَنا المؤلف بقوله: " يقبلُه " أن الفاعِـل فـي ((**يرفعُه**)) يعـود إلـى الله ((**يرفعُه**)) يعني الله، وأنَّ الهاء في ((**يرفعُه**)) تعود إلى العمَـل الصالح، يعني والعمل الصالحُ يقبلُه الله فكَـوْنُ الضـمير يعُـود علـى اللـه ضميرُ الفاعل، وضمِير المفعُول يعود إلى العَمَل هـذا لا نُنَـاقِشُ المؤَلِّـف فيه؛ لأنه مُحْتَمِل، لكنَّنا نناقِشُه في تفسيرِه الرفعَ بالقَبُول وكلُّ هذا فِرارًا مِن إثبات العلُوِّ الذاتِيّ غفرَ الله لـه، بـل نقـول: معنـى ((**يرفعـه**)) أي يرفَع هذه العمل مِن الرفـع الـذي هـو ضـد النُـزُول يرفعُـه إليـه سـبحانه وتعالى لأنَّه فوق، وهذا التفسِير في مَرْجِع الضَمَائِر الـذي ذكـرَهُ المؤلـف هو أحدُ التفاسير المذكورة في هذه الآية.

التفسـير الثـاني: والعمـلُ الصـالح يرفعُـه الكلـمُ الطيـب، فجعَـلَ ضـميرَ الفاعل يعود على (الكَلِمُ الطيب) وجعلَ الهاء تعود على (العمل الصالح) فيكونُ العملُ الصالح مرفوعًا بالكلِم الطيـب، واحتَـجَّ هـؤلاء بـأنَّ العمَـل

الصالح لا يُقْبَل إلا بالإسلام وهو الكَلِمُ الطيـب الـذي هـو (لا إلـه إلا اللـه) فإنَّ الإنسان لو عَمِل مِن العمل الصالح الشيء الكثير ولكنه غيـرُ مسـلم لا يرتَفِعُ هذا العمل، فلا يرفَعُ العملَ الصالح إلا الكلم الطيب.
والقول الثـالث: بـالعكس يقـول: والعمَـلُ الصـالح يرفَـعُ الكلـمَ الطيـب فيكونُ الفاعِل في (يرفَع) العملَ الصالح، والمفعول الكلم الطيب عكس الذي قبلَه، ما وجْهُ ذلك؟ يقول: العمَلُ الصالح يرفـع الكلِـمَ الطيِّـبَ؛ لأن الكلمَ الطيِّب بدُون عَمَل لا ينفَعُ صاحبَه فلابُدَّ في الكلمِ الطيب مِن عَمَلٍ صالِحٍ يرفَعُ ذلك القَول الطَيِّب نعم، والأقرب والله أعلم أنَّ ما ذهبَ إليـه المؤلِّف هو الصواب أي أنَّ الله يرفَعُ العمل الصالح يرفعُه كمـا أنَّ الكلـم الطيب يصعَد إلى الله فإذا صَعِدَ الكلم الطيب إلى اللـه امْتَـنَّ اللـهُ علـى هذا المتكلم بأنْ رفَعَ العَمَل الصالح الذي يعملُه، إلا أنَّنا لا نُوَافِق المؤلِّـف في تفسِير الرفْع بالقَبُول، نُـوافِقُهُ علـى مرجِـع الضـمائِر لكـن لا نـوافِقُه على تفسيرِ الرفع بالقبُول، وحينئِذٍ نقـول: والعمـلُ الصـالح يرفعُـه مَـن؟ يرفعُه الله عز وجل، العملُ الصالح يرفعه الله، فيكون الله عز وجل فـي هذه الآية ذكَر القَوْل والعَمَل فذَكَر أن القَوْلَ يصْعَد وأنَّ العَمَلَ يُرْفَع؛ لأنَّـه أي رَفْعَ العَمَلِ كالجَزَاءِ على الكلِمِ الطيِّـب فـإذا تكَلَّـم الإنسَـانُ بالكَلِمَـة الطيبـة وصَـعِدَت إلـى اللـهِ عـز وجـل قَبِلَهـا ثـم رَفَـع العَمـل الصـالح، ((**والعمل الصالح يرفعه**)) ويقول:
((**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ**)) المـَكَرَاتِ ((**السَّيِّئَاتِ**)) بالنبِي " إلى آخـرِه، الواو للاستئناف و((**الذين**)) مبتدأ، وجملـة ((**لَهُـمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ**)) خبَرُ المبتدأ، وقولُه: ((**وَالَّذِينَ يَمْكُـرُونَ السَّـيِّئَاتِ**)) فيـه نـوْعٌ مِـن الإشكال؛ لأن السيئات لا تُمْكر وإنما يُمْكَرُ بها يعني يُمْكر بسَبَب السَّيِّئَات فلماذا تعَدَّى الفعل إليهـا؟ أفادَنـا المؤلـف أنَّ (السـيئات) صـفَةٌ لِمَصْـدَرٍ محذوف التقدير: المكَرَات السَـيِّئَات فيكُـونُ الوَصْـفُ هنـا للفِعْـل لا لِمـا حَصَل به المكْر، للفعْل؛ لأن فعلَهم نفسه مكْرٌ سيِّئ كما قال الله تعـالى: ((**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**))[فـاطر:43] نعـم، تكـون هنـا ((**السيئات**)) صِفَةٍ لمصدَر محذوف تقديرُه: المـَكَرات، وسَـمَّى اللـه عز وجل السيئَات مكْرًا؛ لأنَّ الإنسان في الواقع يخدَعُ نفسَـه بهـا ويخـدَعُ غيرَه بها فيمَنِّي نفسَه التوبَة وأنه سيتُوب أو يُمَنِّي نفسَه سَعَةَ حِلْـمِ اللـه ومغْفِرَتِه وأنَّ اللهَ وَاسِـعُ الحلْـم والمغْفِـرَة والرحمـة فلَـن يُؤَاخِـذَه بهـذه العُقُوبة، فتَمَنِّي الإنسان في هذا الباب مِن وجهين:
الوجه الأول: أنَّه يُمَنِّي نفسَه التوبة وما يُدْرِيه فلعله لا يتمَكَّـنُ منهـا، لَعَـلَّ سيئاتِه تُحِيطُ به ثم لا يَتَمَكَّن مِن التوبة أو لَعلَّه يفجَعُه الموت ثم لا يتمَكَّن مِن التَّوْبة.
والنوع الثاني مِن المكْر بالنَّفس في فِعْل السيئات: أنَّه يتمَنَّى علـى اللـهِ الأماني فيقول: إنَّ الله غفُورٌ رحيـم واللـهُ واسِـعُ الرَّحْمَـة وسـوف يعفُـو عني كما يُوجَد مِن كَثِيرٍ مِن النَّاس عنـدما تنْهَـاه عَـن معصـية وش يقُـول

لك؟ يقول: اللـه غفـور رحيـم، ((**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ**)) بعضُهم يحتَجّ بالآية ((**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَـا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**))[النساء:48] ويقول: أنا لم أُشْرِك وما دُون الشـرك فإنَّ الله تعالى يغفرُه، وجوابنا على هذا يَسِير جِدًّا وهو أن نقول له: أثبِتْ أنَّك مِمَّن شاءَ الله أن يغفِرَ له لأنَّ الله عز وجل ما قـال: ويغفِـرُ مـا دون ذلك وسكت، بل قيَّدَه ((**لِمَن يشاء**)) فأنت أثْبِتْ أنَّك مِمَّـن شَـاءَ اللـهُ أن يغْفِرَ له وحينئِذٍ يكون لك حُجَّة، أمَّا أن تفْعَل المعصية التي هـي سَـبَب العقوبة ثم تَتَمَنَّى على الله أمرًا لم يعِدْكَ الله به بل قال: ((**لِمَن يشاء**)) فهذا لاشَكَّ أنَّه ضَلَالٌ مِنك.

وقولُه: ((**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ**)) ((**السَّيِّئَات**)) هي ما يسُوءُ الإنسانَ فعلُه هذا السَّيِّئَات مثـل إيـش؟ شُـرْب الخَمْـر، السَّـرِقَة، الزِّنَـا، الرِّبَا، وما أشبَه ذلك، فإن قلت: هذا لا يسُوءُ الإنسانَ فعلُه فجوابُنـا علـى هذا أن نقول: إن أردتَّ أنه لا يسُوءُ الإنسان فعلُه أبدًا فهذا ليس بصَحيح؛ لأنَّه يوم القيامة سَوف يندَم وسوف يسُوء الإنسانَ فعلُه في ذلـك اليـوم، أما في الدنيا فإنه يسُوءُ الإنسَان فعلُه كيف ذلك؟ لأن للذنوبِ آثـارًا علـى القُلُوب فإنَّ المعَاصِي تكُون نُكْتَة سودَاء فـي القلـب فـإن تـابَ الإنسـان انصَقَلَ قلبُه وعادَ إلى بياضِ ه وإلَّا تَوَسَّـعَت هـذه النكْتَـة السـوداء فأصـبَح القلب مُظْلِمًا والعِيَاذُ بالله بل يُخْتَمُ عليه حتى لا يصِل إليه الخير كما قـال اللـهُ تعـالى: ((**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَـى قُلُـوبِهِمْ مَـا كَـانُوا يَكْسِـبُونَ**)) [المطففين:14] فللـذنوب آثـارٌ عظيمَـة علـى القلـب تُـوجِب أن يكـون منقبِضًا، وإذا تلَذَّذَ بعْضَ الشيء في هذه المعصية فإنَّه يُعْقِبُ ذلك حِسْرَة عظِيمة في القلْب وضيقًا، واقرأ إن شـئت قـولَ اللـه تعـالى: ((**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّـهِ**))[الزمـر:22] يتـبيَّن لـك أنَّ المعصـية تسُـوء فاعلَها وإن كان قد لا يشْعُرُ بها لأنَّه قد رانَ على قلبِه ما كان يعمَل، إذًا ((**السيئات**)) سيِّئَات لِكُلِّ حال تسُوءُ صاحبَها في الدنيا ولكن قد لا يلْحَـظ وقد لا يَتَبَيَّن له، وفي الآخرة يظهَرُ له ويتَبَيَّن ويتَمَنَّى أن يعـودَ إلـى الـدنيا لِيَعْمَلَ صالحًا.

قـال المؤلـف رحمـه اللـه: ((**والـذين يمْكُـرُون**)) المكَـرَاتِ (((**السيئات**)) بالنَبِيِّ في دَارِ النَّدْوَة مِن تَقْيِيدِه أو قَتْلِه أو إخراجِه كما ذُكِـر في الأنفال " هذا في الحقيقة إنْ أراد المؤلف أنَّه المرادُ بالآية دونَ غيرِه فقُصُور، وإن أرادَ بـذلك التمثِيـل فصـحيح، فـإنَّه لاشَـكَّ أن هـؤلاء مكَـرُوا بالنبيِّ عليـه الصـلاة والسـلام كمـا قـال اللـه تعـالى: ((**وَإِذْ يَمْكُرُ بِـكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُـرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**))[الأنفال:30] ما معنى ((**لِيُثْبِتُوكَ**)) أي يُقَيِّدُوك ويَحْبِسُوك ((**أو يقْتُلُوك**)) واضح ((**أو يُخْرِجوك**)) مِن مكـة ولكـنَّ اللـه عـز وجـل قـال: ((**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُـرُ اللَّـهُ وَاللَّـهُ خَيْـرُ**

الْمَاكِرِينَ)) فهُم -الحمد لله- ما أثبَتُوه ولا قَتَلُوه ولا أخرَجُوه كلُّ هذه انْتفَت مع حرصِهم الشديد على تنفيذِها ما حصلَ منها شيء.
قال: ((**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**)) الجملة هذه جملة خبرية وهي في محل رفْع خَبَر إيش؟
الطالب: المبتدأ الأول.
الشيخ: وين المبتدأ الأول؟ خَبَر ((**الذين يمكرون**))، ((**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**)) العذَاب بمعنى العُقُوبة و((**الشديد**)) أي القوِي، قَوِيٌّ في إيلامِه وإيجاعِه، وفي أنواعِه المتَنَوِّعَة مِن حَرُورٍ وبَرْد وعطَش وجُوع وغير ذلك من شدَّتِه، لهم والعياذ بالله سرابِيل مِن قَطِران كلما نَضِجَت جُلُودهم قال الله تعالى: ((**بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**))[النساء:56] ((**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**))[الإسراء:97] وانظُر إلى ((**كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ**)) يتَبين لك أنَّ الزيادة تأتي فورًا واللهُ عز وجل قَادِرٌ على أن تَبقَى بزيادَتِها لكنها تخْبُو ليكُون في قلوبِهم شيء مِن الطمَع في خِفَّةِ العَذَاب أو الخروج، ثم يعُود فيكون هذا أشَدَّ؛ لأن ضرب الإنسان بعُقُوبَة بعد الطمع في زوالِها يكون أشَدَّ عليه مما لو كان الأمرُ مُسْتَمِرًّا، وقولُه: ((**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**)) هذا مُفَصَّل في الكتاب والسنة فَمَن تَتَبَّعَه من القرآن يكونُ جَيِّدًا ولهذا أنا أقتَرِح أنَّ أحدَكم يجمَع الآيات التي فيها أنواع العذاب في مَأْكَلِهم ومشرَبِهم ولِبَاسِهم نعم، وغير ذلك، كذا؟ مَن يقُوم بهذا؟
الطالب: .....
الشيخ: لا لا ما قصدي، .. هذه المسألة فقط، ....
الطالب: .....
الشيخ: بعد أسبوع.
الطالب: .....
الشيخ: أنت العَشَرَة الأُولى طيب، والعشَرة الوسطى لِعبد الرحمن، وأنت الأخيرة؟ طيِّب ثم اجتمِعُوا بعد ذلك ونَسِّقُوا الآيَات طيب.
الطالب: .....
الشيخ: لا، لا، لا، أنواع العذاب التي للكَافِرين في النار. أي نعم.
قال: ((**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ**)) ((**مَكْر أُولَئِك هو يبور**)) (مَكْر) مبتدأ أين خبرُه؟ جملة ((**هو يبور**))، و(هو) لا تصِحُّ هنا أن تكون ضَمِيرَ فصْل؛ لأنَّ القاعِدة أنَّ ضمير الفصل يكونُ بين اسمين لا بين اسم وفِعْل لكنَّها مبتدأ خَبَرُهَا جُمْلَة ((**يَبُور**)) والجملَة مِن المبتدأ والخَبَر خَبَر ((**مَكْر**))، وأتى بهذا التركيب مِن بَاب تَعْظيم هذا الشيء وتهويلِه، وقولُه: ((**مَكْرُ أُوْلَئِكَ**)) ولم يقل: مَكْر هؤلاء إمَّا اسْتِبْعَادًا لهم؛ لأنهم ليسوا أهلًا لأن يُقَرَّبُوا، أو لأنَّهم هم جعلوا أنفسَهم في مَحَلّ العالِين الذين يُشَارُ إليهم مِن بُعْد، تَبَيَّنَ أنَّ هؤلاء الذي تعالَوْا بمكرِهم وإن كانُوا في القِمَّة على حَسَب زَعْمِهم فإنَّ هذا المكْر يبُور،

والبَـوَار بمعنـى الهلاك كمـا قـال اللـه تعـالى ((**وَأَحَلُّـوا قَـوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا**))[إبراهيم 28:29] فهـؤلاء مكْرُهـم يبُـور أي يَتَلَاشَى ويَضْمَحِلّ ولا يُفِيدُهم شَيْئًا.
في هذه الآية مِن الفوائد: بيان قُدْرَةِ الله عز وجـل بِإرْسِـال هـذه الريـاح اللَّطِيفة الـتي تحمِـل أو تُثِيـر هـذا السَّـحَاب الثقيـل قـال اللـه تعـالى: ((**وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**))[الرعد:12].
ومن فوائدِها أيضًـا: إثبَـات الأسْـبَاب وأنَّ المسَـبِّبَات مَربُوطَـةٌ بأسْـبَابِها؛ لقوله: ((**أَرْسَلَ الرياح فتثير**)) فإنَّ الفاء هنا للسَّبَبِيَّة.
ومنها مِن فوائـد الآيـة: أنَّـه ينبغـي فـي الأمُـورِ الهامَّـة أن يُصَـاغَ المعنـى بصيغَة الحاضر اسْتِحْضَارًا له وتَنْبِيهًـا؛ لقـوله: ((**فتثيرُ سـحابًا**)) فـإن تصْوِيغ الماضِي بصِيغَة الحاضر لاشكَّ أنَّه يَشُدُّ الإنسانَ إلَى تصَـوُّرِه أكْثَـر مِن الشيء الـمَاضِي.
ومِن فوائدِها: أنَّ هذا السَّحَاب يجرِي بأمرِ الله؛ لقولِه: ((**فسُقْنَاه إلى بلد**)).
ومنها: ... أن هذا السَّحَاب له شُعُور، يعني معناه يعرف ويدْرِي يمكـن أن تُؤْخَذ مِن قوله
الطالب: ....
الشيخ: لا، ..... مِن قـوله: ((**فسقناه**)) كمـا أن تُسَـاق البعيـر، نعـم، وعلى هذا جاء الحديثُ الصحيح في قصة الرجل الـذي سَـمِع مناديًـا مِـن السحاب يقول: " أَسْقِي حديقة فلان " فإنَّ توجِيه الأمْـرِ إليـه يَـدُلُّ علـى أنه ذُو شُعُور ولاشَكّ أنَّ جَمِيع الكائِنَات بالنسْبَة لأمـر اللـه عـز وجـل أنهـا ذاتُ شـعور، قـال اللـه تعـالى فـي الأرض والسـماء: ((**فَقَـالَ لَهَـا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَـا طَـائِعِينَ**))[فصـلت:11] نعم.
ومن فوائدها : بيَانُ قدْرَةِ الله سبحانه وتعـالى لإحيـاءِ الأرض بعْـدَ موتِهـا لقوله: ((**فَسُقْنَاهُ لِبَلَدٍ** [كذا] **مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا**)).
ومنها: صِحَّةُ وصْفِ الأرضِ بالحَيَاةِ والـمَوت مع أنها لَيسَتْ مِـن الحيـوان؛ لقولِه: ((**بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ**)).
ومنها: الرَدُّ على أهلِ الكلام الذين يقولون: إنه لا يُوصَفُ بالحياة والموت شيءٌ من الجمَـادَات؛ لأنـه هنـا أثْبَـت الحيـاة والمـوت للأرض وهـي مـن الجَمَـادَات، وقـال تعـالى فـي الأصْـنَام: ((**أَمْـوَاتٌ غَيْـرُ أَحْيَـاءٍ وَمَـا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**))[النحل:21].
ومِن فوائدها: بيانُ قُدْرَةِ الله سبحانه وتعالى فِي إحياءِ الأرض بعد موتِهـا فإنَّ هذه الأرض التي كانَت يابِسَة هامِـدَة تعُـود فتَهْتَـزّ خُضْـرَةً وازْدِهَـارًا؛ لقولِه: ((**فَأَحْيَيْنَا بِهِ**)) فأضاف الإحياء إلى نفسه.

ومنها أيضًا إثباتُ الأسباب؛ لقوله: ((**فأحيينا به**)) فَإِنَّ الباء هنا للسببية.
ومنها: جوازُ إضَافةِ الشيءِ إلى سبَبِه المعْلُوم؛ لقوله: ((**فأحيينا به الأرض**))، وإضافةُ الشيء إلى سببِه المعلوم أمرٌ واقع في القرآن وفي السنة بمعنى أنَّه لا يُشْتَرَط أن تَقْرِنَ معه اللهَ عز وجل، فإذا أضَفْتَ الشيءَ إلى سببِه المعلوم وإن لم تَقْرِن الله به فلا بَأْس، لكن المُحَرَّم أن يُضَافَ إلى سَبَبٍ غير مَعْلُوم لا شَرْعًا ولا حِسًّا، أو أن يُضَافَ إلى سببه المعلوم مقرُونًا مع الله بحَرْفٍ يقتَضِي التَّسْوِيَة، .. فمثلًا إضافَةُ الشِّفَاء إلى التَّمَائم والحِلَق والخيُوط وما أشبَهَها، هذا لا يجوز؛ لأَنَّ هَذَا السَّبَب غير مَعلُوم فلا يَصِحّ، وإضَافَةُ تَلْيِين البَطْن إلى العَقَار الذي تناوَلته حتى لَيَّنَ بَطْنَك صحيح ولَّا لا؟ صحيح؛ لأنه سَبَبٌ معلُوم بالحِسّ، وإضافَةُ الشفاء إلى قِرَاءَة الفاتِحَة جائز؟
الطالب: جائز.
الشيخ: لِأَنَّه سبب معلُوم بالحِسِّ وبالشَّرْع (**وما يدريك أنَّها رُقْية**)، فالمحذُور إذًا أن يُضَافَ الشيء إلى غَيْر سَبَب شَرْعي أو حِسِّيّ، أو أن يُضَافَ إلى سَبَب شَرْعِيّ أو حِسِّيّ مقرونًا مع الله بحرف يقتَضِي التَّسْوِيَة مثل: لولا الله وكذا. فإنَّ هذا لا يجُوز؛ لأنَّ هذا من الشرك حيث قَرَنَ الله مَع غَيرِه بالوَاو التي تقْتَضِي إيش؟ التَّسْوِيَة، ولكن قل: لولا الله ثم كذا.
ومِن فوائدِ الآية الكريمة: إثباتُ صِحَّةِ القياس لقولِه: ((**كَذَلِكَ النُّشُورُ**)) وإثباتُ القِيَاس كَثِير في القُرْآن فكل مَثَلٍ ضرَبَه اللهُ فهو دَلِيلٌ على القياس كل مثل سواءً بالدُّنيا ولَّا للإنْسَان ولَّا للأَوْثَان ولَّا لأيّ شيء فإنَّه دليلٌ على ثُبُوتِ القياس وصِحَّتِه، نعم لأَنَّ المقصُود بالمثَل قِيَاس المضْرُوب بِالمَضْرُوبِ فِيه وهذا هو القياس.
ومن فوائدها: الإشارة إلى أنَّ إِحَيَاءَ الموتَى كَإحيَاءِ الأرض بعد موتِها أي أنَّه يَنْزِل مطر كما جاء في الآثار ينزلُ مَطَر على الأَرْض كَمَنِيِّ الرِّجَال يبقى أربعِين يومًا تنْبُتُ منه الأجسَام ثم بعد ذلك يُنْفَخ في الصور فتعود الأرواح إلى أجسامِها.
ثم قال عز وجل: ((**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**)) إلى آخرِه في هذا الحَثّ على طَلَبِ العِزَّةِ من اللهِ عز وجل؛ لأنه ليس المعنى أنَّ مَن أرادَ العزة فليطلُبْ مِن الله يعني عَرْض أنَّه يُرَاد بذلك العرْض فقط .. كل أحَدٍ يُرِيد العِزَّة، لكن إذا أردتَّ العزَّة فمِمَّن تطلُبُها؟ مِنَ الله، ففيه إثبَات أنَّ العِزَّة تُطْلَبُ مِنَ الله عز وجل.
ومن فوائدِها: أنَّه لا عِزَّة بدون الله وذلك بالقِيَام بطاعةِ الله والاستعانَةِ به والاعتمادِ عليه فإذا اعْتَزَّ الإنسان بكَثْرَتِه فإنه يُهْزَم كما قال الله تعالى: ((**إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**))[التوبة:25] ولو اعْتَزَّ الإنسان بقُوَّتِهِ

المادِيَّة كقُوة السِّلَاح مثلًا فإنه يُهْزَم، وإذا اسْتَعَان بالله فإنه لا يُهْزَم، اللهمَّ إلَّا لِحِكْمَةٍ تكُونُ مُقْتَرِنَةً بتلك القَضِيَّة المُعَيَّنَة فقد يكُون.
ومن فوائد الآية الكريمة: إثْبَات العزة للهِ سبحانه وتعالى؛ لقوله: ((**فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**)).
ومن فوائدها: أنَّ العزة لها كُلٌّ وبَعْض مِن أين تُؤْخَذ صلاح؟
الطالب: ((**جميعًا**)).
الشيخ: ((**جميعًا**)) يعني يدُلّ على أنَّ هناك كُلًّا وبعْضًا وذلك أنَّ العلماء قَسَّمُوا العزة التي اتَّصَفَ اللهُ بها إلى ثلاثَةِ أقسام: عزةُ الامْتِنَاع وعِزَّة القَدْر وعزَّة القَهْر
ومِن فوائِد الآية الكريمة: إثباتُ العلم لله من أين يُؤخذ؟ الأخ!
الطالب: .....
الشيخ: إي اقرب من .. اقرب ....الفعل
الطالب: إِلَيْهِ يَصْعَد.
من قوله ((**إِلَيْهِ يَصْعَدُ**)) نعَم؛ لأنَّ الصُّعُود هو العِلِم.
ومن فوائد الآية الكريمة: أنَّ الكَلِم غَير الطيِّب لا يصعَد إلى الله؛ لقوله: ((**الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**))، ويؤيد هذا قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ الله طيبٌ لا يقبَلُ إلا طَيِّبًا)**.
ومِن فوائد الآية الكريمة: الإشَارَة إلى انْقِسَام الكَلَام؛ لقولِه: ((**الطيب**)) فإنَّ هذا الوَصْف إفْرَادٌ لما سِوَاه، وقد ذكرْنا أنَّ الذي يُقَاسِم الكلِم الطَّيِّب نوعَان من الكلام: الخبِيث وما ليس بطَيِّبٍ ولا خَبِيث، أمَّا الخبِيث فمَرْدُودٌ بكل حال لأنَّه خبِيثٌ لذَاتِه، وأما ما ليس بطيب ولا خبيث فقلنَا: إنَّ هذا القِسْم مِن الكلام قد يكُونُ طيبًا لغيره وخبيثًا لغيرِه و.. مِن الوَصْفَيْن نعم، طيب إذا كان طيبًا لغيره يصعَد إلى الله ولَّا ما يصعد؟ يصعد؛ لعموم قوله: ((**الكلم الطيب**)).
ومِن فوائد الآية الكريمة: أنَّ اللهَ عز وجل لا يرْفَعُ مِن الأعمَال إلا مَا كان صالحًا؛ لقولِه: ((**والعَمَل الصالح يرفعه**))، والعمل الصالح ما اشْتَمَل على وصفَيْن، وهما؟
الطالب: العَمَل الصَّالِح.
طالِب آخر: الإخْلَاص والمُتَابَعَة.
الشيخ: الإخلَاص لِمن؟
الطالب: لله سبحانَه وتعالى.
الشيخ: اي، والمتَابَعَة لشَرْعِه، الإخلاصُ لله والمُتَابَعَة لشَرْعِه، فإن فُقِدَ الإخْلَاص فليس بعَمَلٍ صالِح لأنَّه شِرْك، وإن فُقِدَتِ المتَابَعَة فليس بعَمَلٍ صالِح لأنه بِدْعَة نعم. طَيِّب
((**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ**)) إلى آخره فيها فوائد: أوَّلًا: أنَّ الأعْمَالَ السَّيِّئَة مَكْر لِقولِه: ((**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ**)) هذا إذا أخذْنَاها على سبيلِ العموم، أما إذا قلنا: إنَّ السيئات عَامٌّ أُرِيدَ بِه الخَاصّ

فالمكْر الذي حصل لَمَّا ..من قريش لِلرَّسُول عليه الصلاة والسلام فإنَّه يكُون خاصًّا، لكن الأصْل في الكلام العام أن يكون مُرَادًا به العُمُوم وأن يكون باقِيًا على عمومِه حتى يَرِدَ دليلٌ على أنه أُرِيدَ به الخصُوص أو على أنه مُخَصَّص.

مِن فوائد الآية الكريمة: الوَعِيدُ الشَّدِيد على أُولئك الذي يَمْكُرُون السيئات؛ لقولِه: ((**لهم عذاب شديد**)).

ومِن فوائِدها أيضًا: أنَّ مَكْرَ هؤلاء هالِكٌ زَائِل لا فَائِدَةَ فيه؛ لقولِه: ((**وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ**)) حتى أعمالُهم لا تنفعُهم قال الله تعالى: ((**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**))[الفرقان: 23].

هذه هي الفوائد الظاهرة مِن هذه الآيات الكريمة وربما عند التَأَمُّل يَجِدُ الإنسَان أكْثَر؛ لأن كلام الله سبحانه وتعالى لا يُحَاطُ به ولكنَّ النَّاس يَخْتَلِفُونَ في الفَهْم.

ثم قال تعالى: ((**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**)) وهذا مُبْتدا الدرس الجديد ((**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**)) لَمَّا بَيَّن سبحانه وتعالى ما سَبَق مِن الآيات الدَالَّة على قُدْرَتِه مِن إرْسَالِ الرِّيَاح وإثارَة السَّحاب وسَوْقِه إلى الأرض الميِّت وإحياء الأرض بعد موتِها وأنَّ الأعمال تُرْفَع إلى الله عز وجل وكذلك الأقوال، الأعمَال مِن أقْوَال وأفْعَال تُرْفَع إلى الله قال هنا: ((**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**)) هذا باعتِبَار الأَصْل الذي هو آدَم ولهذا قال: " بِخَلْقِ أَبِيكم آدَمَ مِنْه " لِأنَّ الله تعالى خَلَقَه مِن تُراب وهذه الآية كما تَرَوْن فيها أنَّ الله خلقَه مِن تُرَاب، وفي آية أخرى أنه خلقَه مِن طين، وفي آية ثالثة أنه خلقَه مِن صلصال كالفَخَّار، وفي آيةٍ رابعة مِن حَمَإٍ مسْنُون فما هو الجواب عن هذا التغَيُّر؟ الجَوَابُ أنَّ هذا تغيُّر أوصَاف وليس تغَيُّرَ ذَوَات، تَغَيُّرُ أوْصَاف وليسَ تغَيُّرَ ذَوَات، وحينئذ فلا تَنَاقُض إذ يجوز أن تَتَعَدَّد الأوصَاف على مَوْصُوفٍ واحد قال اللهُ تعالى: ((**سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى**)) مع أنَّه واحِد، الحاصِل أنَّه هنا أن يُقَال في هذا التَغَيُّر تغَيُّر أوصاف لا تغير ذوات وأعْيَان فالعَيْن واحِدة، لكن أوَّلُها التُّرَاب فإذا أُضِيفَ إليها الماء صارت طِينًا، فإذا أَبْطَأَ وأَخَذَ مُدَّة صار حَمَأً مسنونًا مُتَغَيِّرًا، نعم، يعني الطين إذا حَطَّ فيه الماء تجده يَسْوَدّ ويكون له رائِحَة، والرابع مِن صَلصال كالفَخَّار هذا بعد أن كَان حَمَأً مَسْنُونًا يَبِس وصَار صَلْصَالًا كالفَخَّار، ثم نَفَخَ الله فيه الروح فيكون هذا التغَيُّر إيش؟ تغير أوصاف والأصلُ فيه التراب واضح؟

قال: ((**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**)) ((**ثُم**)) أتى بـ((**ثم**)) الدالَّة على التَرَاخِي والتَرتِيب؛ لأن (ثم) تدل على التراخي والترتِيب، والفاء تدل على الترتِيب بدون تراخي، هنا قال: ((**ثم مِن نطفة**)) نعم، لأنه لما خلق آدَم -سبحانه وتعالى- وخلقَ ذرِّيَّتَه تَنَاسَلَ

هَؤلاء الذُّرِّيَّة بِوَاسِطَة هـذا المـاء الـذي هـو النطفـة، والنطفـة هـو المـاء القلِيل.

قال: ((**ثم مِن نطفة**)) أي مَنِـيٍّ يخلُـق، عنـدكم (بخلـق)؟ " بِخَلْـقِ ذُرِّيَّتِه منها " أي مِن هذه النُّطْفَة، والعجيب أن هذه النُّطْفَة القَلِيلـة يـذْكُرُ عُلماءُ الطِبّ أنها تَشْتَمِل على مَلَايين مِن الحيوانات المـَنَوِيَّة، وهـذه .... يزعمون أنها ملايين -وهم أعلَمُ مِنَّا بـذلك- يعنـي لا يصـلُح مِنْهَـا إلَّا وَاحِـد في الغالب أو اثْنَان أو ثلاثة أو أرْبَعَة هذا .. ما سمِعْت أنَّه يَلِج فـي المـرأة أربعَةُ آلاف يبقى فيهم واحِد، والله على كل شيء قدير قد يزيـد ((**يزيدُ في الخلق ما يشاء**))، يقول: ((**ثم مـن نطفـة**)) ((**ثُـمَّ جَعَلَكُـمْ أَزْوَاجًا**)) ذُكورًا وإناثًا، قولُه: ((**أزواجًـا**)) فسَّـر المؤلف هنـا الأزواج بالذكُورِيَّة والإناث نعم بقرِينَةِ قولِه: ((**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**)) انتبهوا، فالأزواج هنا باعتبار الجِنْسَيْن الـذكر والأنـثى ويُؤَيِّـد تخصيص الأزواج هنا بالذُّكُور والإنَاث والأُنُوثَة قولُه: ((**وَمَا تَحْمِـلُ مِـنْ أُنْثَى**))، أمَّـا إذا نظَرْنَـا إلـى لَفْـظ أزْوَاج فـإن الأزواج معناهـا أصـنَاف، والأصـنَاف أعـمُّ مِـن الـذُّكُورَة والأُنُوثَـة فـإنَّه يشـمَل الشَّـقِيّ والسَّـعِيد والأسود والأبيض والطَّوِيل والقَصِير وغيرَ ذلك، لكن الذي جَعَـل المؤلـف يحمِل الكلام على الـذكورة والأنوثـة فَقَـط لِقـولِه: ((**وَمَا تَحْمِـلُ مِـنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**)) فاللهُ عزَّ وجَل بقُدْرَتِه وحِكْمَتِـه جَعَـلَ هـذه الذُّرِّيَّة التي خرجَت مـن هـذا الرجـل الواحـد جعلَهـم ذُكُـورًا وإناثًـا لِبَقَـاءِ النَّسْل؛ لأنه لا يمكن بَقَاءُ النَّسْل إلا بهذا، وإن كـان اللـهُ سـبحانه وتعـالى قادرًا على أن يُبْقِيَ النسل بدون ذلـك فـإنه يُقَـال: إنَّ البشـرية منهـا مـا خُلِق بلا أمٍّ ولا أب، ومنها ما خُلِق مِن أبٍ بلا أم، ومنها ما خلـق مِـن أمٍّ بلا أب، ومنها ما خلق بين أبوين: فالذي خُلِق بلا أم ولا أب؟

الطلبة: آدم.

الشيخ: ، ومن أب بلا أم؟

الطلبة: حواء.

الشيخ: ومِن أم بلا أب؟

الطلبة: عيسى، وسائرُ الناس بين أبَوَيْن من ذكرٍ وأنثَى، طيب يقـول عـز وجل: ((**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِـهِ**)) ((**مَـا**)) هـذه شَرْ

.... لفظي تحتَمِل .....
الطالب: .....
الشيخ: .... اللازم أو المـُتَعَدِّي؟
الطالب: اللَّازِم.
الشيخ: مِنَ اللَّازِم؟ والثاني مِن الـمُتَعَدِّي؟ صَح؟
الطالب: صح.
الشيخ: طيِّب، إذًا ((**مِن**)) حَرْفُ جَرٍّ زائِد، ((**أُنْثَى**)) فَاعِل ((**تَحْمِـل**)) مَرْفُوع بضمة مقدرة على آخره منع مِن ظُهُورِها التَعَذُّر كذا؟ ((**أُنْثَى**)) فاعِل مَرْفُوع بضمة مُقَدَّرة على آخره مَنَع مِن ظُهُورِها التَعَذُّر.
الطالِب: ِاشْتِغَالُ المحل.
الشيخ: ما في اشْتِغَال، .....
الطالب: تعذر.
الشيخ: طيب التعذر لكنَّه الواقع مِن حَيثُ اللَّفْظ مجرُور لَفْظًا.
طيِّب ((**أُنْثَى وَلا تَضَعُ**)) أي الأُنْثَى ((**إلَّا بِعِلْمِه**)) حَال أي: مَعْلُومَـةً لَهُ "شُوف ((**ما تحمل من أنـثى**)) أي أنثَـى تحمِـل مِـن بنِـي آدَم ولَّا مِنْهُم ومِن غيرهم؟ مِنْهُـم ومِـن غيرِهِـم، مَـا .. وَلا تَضَـعُ إلَّا بِعِلْمِـهِ، وهـذا كقولِه تعالى: ((**وَمَا تَسْقُطُ مِـنْ وَرَقَـةٍ إلَّا يَعْلَمُهَـا**))[الأنعـام:59] فاللهُ عزَّ وجل يعلَمُ ما تحْمِلُ كـلُّ أنثَـى نعـم، فـي ابتِـدَاءِ الحَمْـل وتطَـوُّرِ الحَمْل ومَآلِ الحَمْل وكل ما يتَعَلَّقُ به، ((**وَلا تَضَعُ إلَّا بِعِلْمِـهِ**)) فـأوَّل ما يَنْشَأ الحَمْل في الرَّحِم معلومٌ عِنْد الله، وإذا وضَعَتْ فهـو معْلُـوم عنـد الله عز وجل، طيب وقول المؤلف: " حَال " وش معنى حـال؟ يعنـي أنَّ الجارَّ والمجرُور في موضِع نَصْبٍ على الحَال.. ((**إلا بِعِلْمِه**)) قال: إلَّا مَعْلُومَةً لَه، ويمكن أن نقول: لا حاجة لهذا التَأوِيل بل نقول: إنَّ الباء هنـا للمصاحَبة والمقارنة أي لا يحصُل الحمْل ولا الوطْء إلا يكُونُ بعِلم الله عز وجل، ونُضِيف إلَى ذَلك أيضًا أنَّه بِعِلْمِه وإرَادَتِه، .... أنَّ فيها دليلًا علـى أنَّ مَن أثبـت العِلْـم لَـزِمَ أن يُثْبِـتَ الإرْادَة ولِهـذا قـال أهـل السُـنَّة بالنِّسْـبَة للقَدَرِيَّة قالوا: ناظِرُوهُم بالعِلْم قَالَ الشَّافعيّ وغيره: " ناظِرُوهُم بالعِلْمِ فإن أنكَرُوه كفروا، وإذا قَبلوه خُصِمُوا " إن قـالوا: إنـه مـا يعْلَـم .... وإن قالوا: يَعْلَم خُصِمُوا، لأنَّهم إذا عَلِمُوا ذلك فإما أن يَقَعَ الشيء علـى خِلَافِ معْلُومه أو على وفاقِه، فـإن كـان علـى وفـاقِه فبـإرادَتِه، وإن كـان علـى خِلَافِه ..... نعم.
الطالب: .....
الشيخ: هو المكر.
الطالب:..... ولَّا اسم؟
الشـيخ: اي هـو اسـم مثـل هـو قـائِم .. هـو قـائِم، والجملـة خـبرُه لكـن .....التوكيد، يعني لما قال: ((**وَمَكْرُ أولئك هو يَبُور**)) كأنَّه قال: مَكْرُ أولئك مكْرُ يبور، نعم

((**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِـي كِتَـابٍ**)) ((**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ**)) ((**ما**)) هـذه نافيـة أيضًـا بـدليل قـولِه: ((**إلا في كتاب**)) ودليلٌ آخر: رفعُ الفِعْلِ ..
((**ما يعمَّرُ مِن معمـر**)) أي مَـا يُـزَادُ فـي عُمُـرِ طَويـل العُمُـر ((**ولا ينقص من عمره**)) أي ذلك الـمُعَمَّر أو مُعَمَّرٌ آخَر ((**إلا في كِتَاب**)) " قولُه: ((**يعمر من معمر**)) معنى التَّعْمِير الزِّيَادَة في العُمُر المعنى: لا يُزَادُ في عُمُر أحدٍ ولا يُنقَصُ في عمره إلا في كتاب { يا ياسر ....
الطالب: صلحت ..... }
الشيخ: طيب وقوله: ((**من معمر**)) (مِن) هَذِه زَائِدَة داخِلة على نَائِبِ الفاعِل، فنقول في (مُعَمَّر): نائب فاعل مرفُوع بضمَّة مقدرة على آخرِه .. لاشتِغَالِ المحَلّ بحركة حرف الجَر الزائد، وقولُه: ((**ولا ينقص مـن عمره إلاَ في كتاب**)) هنا يقول: ((**مِن عُمُرِه**)) قال المؤلـف: " أي ذلك المعمَّر، أو مُعَمَّرٍ آخر " أمـا كـون الضـمير فـي قـولِه: ((**عُمُرِه**)) يعود على مُعَمَّرٍ آخَر فهذا لا إِشْكَالَ فيه؛ لأنه يكون معَمَّرًا ويكـون الثـاني ناقصًا، لكن الإشكال إذا قلنا: إن الضمير يعود على نفس المعَمَّـر فكيـف يكونُ مُعَمَّرًا وهو في نَفْس الوقْت منقُـوصٌ مـن عُمُـرِه؟ ((**وَمَا يُعَمَّـرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ**)) هـذا محَـل إشـكَال فيما يظهَر ولّا لا؟ ...
الطالب: أي نعم.
الشـيخ: طيـب ((**ومَا يُعَمَّـرُ مِـنْ مُعَمَّـرٍ**)) فـي نفـس العمـر ((**وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ**)) إذا قلنا: الضمير يعودُ على ذلك المعمَّر صار يعـود على إيش؟ على... فيكون ..... معمرًا منقوصًا من عُمُـرِه، إذا قلنـا: إنـه عائد علـى {يرحمُـكَ اللـه} مُعَمَّـرٍ آخَـر ((**وَمَا يُعَمَّرُ مِـنْ مُعَمَّـرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ**)) أي مِن عُمُـر مُعَمَّـرٍ آخـر، لا .. الأول صـارَ النقـص يعود على شخصٍ آخر، فعندنا زيد معمر وعمر منقُوص مِن عمرِه وهذا لا إشكال فيه، لكن الإشكال الأول اختَلَـف المفسِّـرُون فـي تـوجيهِه فقـال بعضُهم: ((**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ**)) إنَّ النقـص هنا في مقابِل الزِّيَادةِ لأن الإنسانَ كلما تَقَدَّم يومًا في الدنيا نقص عُمُـرُه باعتبار آخِر عُمُرِه مثلًا أنا لي .. عشر سنوات إذا صار له أحدَ عَشر وقُـدِّر أنَّه سَيَمُوت في عِشرين سنة نقَص ولّا لا؟ كلَّما زادَ مِـن وجْـهٍ نقَـص مـن وجْهٍ آخر فالمعنى: أنه يُكْتَبُ نقصُه كما تكْتَبُ زِيَادَتُه فيقالُ مثلًا: يُحسَـب مثلًا فلان بلَغ مِن العُمُر عشـر سـنين ونقَـصَ مـن عمـره يعنـي مـن آخـر عمُره عشَر سِنِين، بلغ أحَدَ عشَر ونقص مـن عمـرَه إحـدى عشَـر فبقـي تِسْع وهكذا، وإلى هذا ذَهَبَ بعْضُ التَّابِعِين، ولكنَّ آخرين مِـن أهـل العِلْـم مِنَ المفَسِّرِين قالوا: أنَّ هذا فيمَا أخبَر به النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: (**مَن أحَبَّ أن يُبْسَطَ له فـي رِزْقِـه ويُنْسَـأَ لَـه فـي أثَـرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه**) .. أنَّ الإنسان ينقُصُ عمرُه ويُزَاد بحسَب صِلَةِ الرحِـم،

يصير (ما يُنقَصُ مِن عمره) إذا لم يصِلْ رحِمَه، و(لا يُـزَادُ فـي عمـره) إذا وصلَه، والمعنى على هذا التفصيل أنَّ زِيادَةَ العلم أو نقصَـه مكتُـوبٌ عِنْـد اللهِ عز وجـل، مكتـوب فمـن قُـدِّرَ لـه أنَّ عمـرَه سـيطُول بصِـلَة الرحـم فسوف يُقَدَّرُ له أن يَصِل رحِمَه، ومَن قُدِّر له أن ينقص عمرُه في قطيعـة الرحـم فسـوف يكـون قاطعًـا لرحِمِـه؛ لأن الأسـباب مثبُوتَـة أو لِأَنَّ المـُسَبِّبَات مَثْبُوتَةٌ بأسبابِها معلُومـةٌ عِنْـدَ اللـه أفهمتـم؟ وهـذا يُزِيـل عنـا الإشكَال الذي أوردَه بعضُ العلماء في هذا الحـديث وحـاولوا أن يُفَسـروا زيادة العُمُر بالبَركَة في عُمر الإنسان؛ لِأَنَّ الله إذا أنزل برَكَةً فـي العُمُـر وإن كان قَصِيرًا صَارَ أحسَن أو صَار خيرًا مِن عُمُرٍ طَويل بلا برَكَـة، ولكـن تقَدَّمَ لَنا أن هذا لا يُخْرِجُهم مِن الإشْكَال لِأَنَّ البرَكَة أيضًـا مكتُوبَـة أو غيـر مكْتُوبة؟

الطالب: مكتُوبة.

الشيخ: مكتُوبة، وكذلك نزعُها مكتُوب، فلا يخرجُنا ذلـك مـن الإشـكال، لا يخرجُنا مِن الإشكال إلَّا أن نقول: إن عمر الإنسان المـُطَوَّل بسبب صِـلَةِ الرَّحِـم قـد كُتِـبَ وقـد كُتِـبَ أن يَصِـلَ رَحِمَـهُ، إذًا مـا الفائـدة مِـن قـول الرسول: **(مَن أَحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رِزْقِه ويُنْسَأَ لَـه فـي أَثَـرِه)**؟ الجواب أن ... هو الحث على صِلَة الرحم، كما أننا نقول: من أَحَبَّ أن يدخُلَ الجنة فليعمل عمَلًا صالحًا لا يقول قائل: إذا كانَت الجنَّـة المكتوبـة فكيف ..يعمل؟ وكيف إذا عَمِل كُتِبَتْ له الجَنَّة؟ نقـول: هـي مكتوبـة مِـن قَبْل أن يعمَل لكن قد كُتِبَتْ له الجنة وكُتِب أن يعمَلَ له عملَها وعلى هـذا كلِّنا بحسب تقديرات الله عز وجل فإنه لا ينْقُص هذا في العُمُر، الإشكَال وَارِد على الجَمِيع ولكن الجواب عنـه يَسِـير وهـو يقـال: إن هـذا مكتـوبٌ نتيجَةً لهذا السَّبَب وهو معلومٌ عند الله، أما عندَنا فليـس بمعْلُـوم، طيـب إذًا يكون أحسن الاحْتِمَالَات ... الآيـة أنَّ المـراد مـن عُمُـر أيِّ مُعَمَّـر وأيّ إنسَان قد يُزَادُ في عُمُـرِه لسـبب مـن الأسـباب وقـد يُنْقَـص مـن عُمُـرِه لسَبَبٍ آخَر.

قال: ((**إلا في كتابٍ**)) (كِتَاب) فِعَال بمعَنْى مَكْتُـوب كفِـرَاش بمعنـى مفْرُوش وغِـرَاس بمعْنَـى مَغْـرُوس وبِنَـاء بمعنـى مَبْنِـيّ، فَكِتَـاب بِمَعْنَـى مَكْتُـوب فمـا هـو هـذا الكتَـاب؟ قـال المؤلِّـف رحِمَـه اللـه: " هـو اللَّـوْح المحْفُوظ " اللَّوْح المحفوظ ... محفُوظٌ مِن عدة أوجه: محفوظ أن يَنَالَه أحد، لأنَّه خاصٌّ بتقدِير الله عز وجل، محفُوظٌ من أن يُغَيَّر أو يُبَدَّل، ولهـذا ما كُتِبَ في اللَّوْحِ المـْحفُوظ فإنَّه سَـيَكُون كمـا قـال اللـه تعـالى للقلـم: **(اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِن إلي لِيَوْمِ القِيَامَة)** وكذلِك أيضًـا محْفُـوظ عـن الخَلل بحيث لا ... مَا لم يُكْتَبْ فيه ولا يتخَلَّف ما كُتِـبَ فيـه، يعنـي لا يَقَـع فيه السَّهْو فهو .. لكل وَجْهٍ ((**إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**)) هَيِّـن ((**إنَّ ذلك**)) المـُشَارُ إليه كُلُّ ما سَبَق الزِّيَـادَة فـي العمـر والنقـص و الكتـاب كُلُّه يَسِير على الله أي هَيِّنٌ عليه وإن كان عند المخلوقين صعْبًا وعَسِـيرًا

لكنه عند الله سهلٌ ويسير لأن الله عزَّ وجل إذا أرادَ شَيْئًا قال له: ((**كن فيكون**)).
ثـم قـال تعـالى: ((**وَمَـا يَسْـتَوِي الْبَحْـرَانِ**)) مـا .. و((**يسـتوي**)) بمعنى يتساوى ويتماثَل ((**البحران**)) وهذا مُجْمَـل، والبحـرُ هـو المَـاءُ الكثير، فكل ماءٍ كثِير يُسَمَّى بَحْرًا، البَحْرَان هُنَا مُجْمَـل فَسَّـرَه عـزَّ وجـل بقولِه: ((**هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**)) ((**هـذا عذب فرات**)) العَذْب معناه: الحُلْوُ المـُسْتَسَاغ شُرْبُه، والفُـرَات يقـول المؤلِّـف .. تفسـيرِه: "شـديدُ العذوبـة ((**سائِغٌ شَـرَابُه**)) أي شُـرْبُه" ((**سَائِغٌ**)) سَهْل ومُيَسَّر لأنَّه حُلْو عذب وليس فيه ما يُكَدِّرُه بوسـاخَة أو حَرارَةٍ زَائِدَة أو بُرُودَةٍ زَائِدَة المهم أنَّه عَذْبٌ فُرَات سائِغ شرابه.
الثاني: ((**وهذا مِلْحٌ أجاج**)) شَدِيدُ الملوحَة " مِلْح شَدِيد المُلوحَـة هـل يسْتَوِيان؟
الطالب: لا يستويان.
الشيخ: لا، وهل هذا يُرَادُ به الحقِيقة أو هو مثلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى للمـؤْمِن والكافِر؟ قيل: إنَّه يرَادُ به الحقِيقَة بدليلِ قـولِه: ((**وَمِنْ كُـلٍّ تَـأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّـا**))، وقيـل: إنـه يـرادُ بـه مَثَـل ضـربَه اللـه تعـالى للمُـؤْمِن والكافِر، فَالمؤْمِن بمنزِلَة العذْب الفُرَات، والكَافِر بمنزِلَة المِلْـحِ الأُجَـاج، ولكن لدينا قاعِدة قاعِدة في الكلام أنَّه إذا دارَ الأمرُ بين أن يكون حَقِيقـة أو غير حَقِيقَة وجب أن يحمل على الحقِيقَة، فهو إذًا حقيقة، ويؤَيِّدُهُ أيضًـا قولُه: ((**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا**)) فإنَّ مِثْلَ هذا الترشـيح يـدُلُّ على أنَّه حقِيقة وليس بمجَاز، على أننا نقول: إنَّه لا مجازَ فـي القـرآن ولا في غيرِه كما مرَّ علينا كثيرًا، ولكن مَـعَ هـذا لا بـأسَ أن ننتقـل مِـن نفْـي اتصالٍ بين هذَيْن البحرَيْن ونفي اتِّصَالٍ بين كُلِّ شَيْئَيْنِ متغَايِرَيْن، يعنـي لا مَانِعَ مِن أن يَنْتَقِل الذِّهْن من انتفـاء التَّسَـاوِي بيـن هـذين المَـحْسُوسَيْن إلى انتفاء التساوي بيْن الأُمُور المـَعْقُولة .. ، قال: ((**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا**)) ((**مِن كُـلٍّ**)) متعلِّـق بقـولِه: ((**تـأكُلُون**)) ((**لَحْمًـا طريًّا**)) هو السَّـمك " الطَـرِي معنـاه الـذي لـم يَتَغَيَّـر بِنَتَـن وهـذِه مِـن خَصَائِص السَّمَك أنَّه لو مَات فَإنَّه طَـرِي كمـا قـال اللـهُ تعـالى: ((**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**))[المائدة:96] قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: " صَيْدُهُ مَا أُكِلَ حَيًّا وطعامُه ما أُكِل مَيِّتا ".
ثانيًا: مِن فوائِد هذا المثل ((**وَتَسْتَخْرِجُونَ**)) مِن الـمِلْح وقِيـلَ: مِنْهُمَـا ((**حِلْيَـةً تَلْبَسُـونَهَا**)) و" هـي اللُّؤْلُـؤ والمرجـان " كمـا قـال تعـالى: ((**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**))[الرحمن:22] وقد اختَلَفَ النَّاس هل هذا لا يخـرُج إلا مِـنَ المـَالِح أو يخْـرُج مـن المـَالِح والعَـذْب؟ فـأكثَرُ المفَسِّرِين على أنَّه لا يخرُج إلَّا مِن المـَالح وحَمَّلُوا قوله تعالى: ((**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَـانُ**)) علـى أنَّ المـراد مـن مجْمُوعِهِمَـا لا مِـن جَمْعِهِمَا مِن مجْمُوعِهِمَا لا مِنَ الجَمِيع، فهنا إذا قُلْنَا: عنـدنا بَحْـرَان عَـذْب

ومالِح يخرُج منهما لؤلؤ ومرجان، منهما أي مِن المجمُـوع لا مِـن الجمِيـع بحيث يعني كُلَّ واحد، ولكن الصحيح أنَّه يخرُج من الجميع لأن هذا ظَـاهِرُ القرآن والله سبحانه وتعالى أعلَم بما خَلَق كونه يخرُج منهمـا، وقـد ثَبَـتَ الآن أنَّه يخرُج اللؤلؤ والمرجان مِن هذا ومن هذا، ولهذا قـال المؤلـف: " وقِيلَ: منهما " أي، نعم.

((**حِلْيَةً تلْبَسُونَها**)) وذكر اللُّبْـس؛ لأنَّـه غايَـة مـا يُنْتَفَـعُ بـه فـي هَـذِهِ الحِلْيَة، وإلَّا مِـن المعلـوم أنَّ مَـن يَسْـتَخْرِج هـذه الحِليـة يتخـذُها تجـارَة، وتجارَةُ اللؤلؤ والمرْجَان فيما سَبق وإلى الآن لم تزَلْ تجارَةً قويَّـة، لكـن هؤلاء التجار الذين يَتَّجِرُون بها وش الغرض مِن ذلـك؟ اللُّبـس؛ لِأنَّ الـذي يشتَرِيها منهم يريدُ بها اللُّبْس، طيب وهـذا يقُـول لَّـك: تكَسُّـب وسـنبِيعها على من؟

الطالب: يلبسُها.

الشيخ: يلبسُها، فَذَكَرَ في الآيَة .. بحرَين مَنْفَعَة ظـاهِرة ومَنْفَعَـة باطِنَـة، كِسْوَةٌ للبَدَن في بَاطِنِهِ وكِسْـوَةٌ للبَـدَن فـي ظـاهِرِه، كسـوةُ البـدن فـي الباطِن؟ أكْل اللحم فإنَّمَا أكْل اللحم كِسْوَة للبدَن في باطِنِه، ولِهـذا قـال لآدَم: ((**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى**))[طـه:118]ولـم يقُـل: ولا تَظْمَأ بل قال: ((**ولا تعرى**))؛ لأنَّ الجُوع عُـرْيُ البَـاطِن والعُـرْي عُـرِيّ الظاهر طيب ثم نقُول: ذَكَر اللـه لباسَـيْن اللِّبَـاس البَـاطن بأكْـلِ اللَّحْـم، واللِّبَاس الظَّاهِر بهذِه الحِلْيَة.

((**ومِن كُلٍّ**)) ((**وَتَسْتَخْرِجُونَ**)) نعم، ((**وَتَرَى**)) تُبْصِر ((**الْفُلْكَ**)) السُّفُنَ ((**فِيهِ**)) في كُلٍّ منهما ((**مَوَاخِرَ**)) " نعم قـال: ((**وتـرى**)) أي تُبْصِر " الخطاب لِمَن لِكُلِّ مَن يَتَـوَجَّه إلَيْـهِ الخِطَـاب، والرؤيَـةُ هنـا بَصَرِيَّة، رُؤْيَة بَصَرِيَّة فإِنَّ مَن يُشَاهِد المواخِر فـي البِحَـارِ تمْخَـر المـاء أي تَشُقُّه، وقوله: ((**فِيهِ مَوَاخِرَ**)) قالَ المؤلِّف: " في كُلٍّ منهمـا " أشـارَ المؤلـف رحِمَـه اللـه مـن الإشـكَال .. لأنـه هُنَـا قِيـل: ((**وما يَسْـتَوِي البحرَان**)) ثمَّ قـال: ((**وترى الفُلْـكَ فيـه**)) ومقْتَضَـى السـياق أن يكون التَّعْبِير هكذا: وترى الفُلْكَ فيهمَا. ولكن الضَّمير .. إلى أي البحرَيْـن وإنَّما يعُود على ((**كُلّ**)) و(كل)كلمة لفْظُها مُفْرَد فعَادَ الضمِير في هذه الآية على (كُل) باعتبار إيش؟ باعتبار اللفـظ لأنَّـه مفـرد، ومِـن هنـا قـال المؤلف: " في كُلٍّ منْهُما " انتِه فزَالَ الإشكال، طيب وقولُه: ((**مواخر**)) قال: " تَمْخَر المـاء أي تشُقُّه بِجَرْيِها فيه مُقْبِلَة ومُدْبِرَة بريحٍ واحِـدة " وهذا مِن نعْمَةِ الله عز وجل أن سَخَّرَ الفلـكَ لنـا تجـري علـى هـذا المـاء وتمْخَر عُبَابَ الماء حامِلَةً أنـوَاعَ الأرْزَاق، وحامِلَـةً البَشَـرَ الكـثير، ولـذلك ترَوْنَ الفُلْك الآن تُعْتَبَرُ بَلَدًا كَامِلًا إذَا دَخَلْتَها وإذا هي كالبَلد، هذا مِن نِعْمَـةِ الله سبحانه وتعالى فـذكر .. ثلاثـة أنـواع: الأولـى: أكْـل اللحـم والثـاني: الحِلْية، والثالث: البَوَاخِر التِي تَعْبُر أو تَشُقُّ المـاء مـن نَاحِيَـةٍ إلـى أُخْـرَى لِتَنَقُلَ الأرْزَاقَ والآدَمِيِّيـن، وتأمَّـل قـولَه هنـا: ((**تستخْرِجُون حليـة**))

و((**تأكُلُون**)) ((**وترى الفُلْكَ فيه مَوَاخِر**)) لأَنَّ السَّمَك أكلُـه هَيِّـن ما يَحْتَاج إلى كُلْفَة فَذَكَرَ الأَكْل مُبَاشَرَة، اللُّؤْلُؤ والمرْجَان يَحْتَاج إلى كِلْفَة وإلى تَعَب لأنه يحتاج إلى غَوْص وآلات وطُول نَفَس أو حَمْل أشْـيَاء ثُعِيـن على التَنَفُّس ولهذا قال إيش؟ ((**تَسْتَخْرِجُون**)) أي تطْلُبون ...، الفُلْك قال: ((**تَرَى الفلك فيه مواخر**)) لأَنَّ مشـاهدَتَها بـالعين وهـي تعُـبّ تَشُقُّ الماء مِن أعْظَم يعني ... مِن أعْظَم آيَاتِ الله عز وجل.

قال تعـالى: ((**لِتَبْتَغُوا مِـنْ فَضْلِهِ**)) ((**لتبتغُـوا**)) تَطْلُبُـوا ((**مِـن فَضْلِهِ**)) تعـالى بالتِّجَـارَةِ ((**وَلَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ**)) اللـهَ علـى ذلـك " يعني سَخَّرَ الفلْك وجعلَها مواخر في هـذا البحْـر لِأَمْرَيْـن أولًا ((**لِتَبتغوا مِن فَضْلِه**)) أي تطْلُبُوا الـرِّزْق حيـن تحْمِلُـه هـذه البَـوَاخِر، و.. الآن مـا الذي يحمِل إلينا مثلًا الأرْزَاق مِن أمْرِيكَا ومِن اليَّابَان و.. الأخـرى البعِيـدة إلَّا .. في هذه البواخِر التِّي تَحْمِل الأشْيَاء الكثيرة، هذا مِن فضْلِ الله عـز وجلّ ولـذلك قـال: ((**لِتبتغوا من فضـله**))، أمـا قـولُه: ((**ولعلكـم تشكرون**)) فإنَّ (لعَلَّ) هنا لا ندري معناها حتى نسْتَعْرِض المعاني التي تأتِي لها (لعل)، (لعل) تأتي للتَرَجِّي وتأتِي للتَوَقُّع وتـأتي للإِشْـفَاق وتـأتي للتَّعْليل، فلأيِّ المعَانِي كانت في هذه الآية؟

الطالب: التعليل.

الشيخ: التعليل، يعني لِأَجْـل أن تَشْـكُرُوا اللـه عـز وجـل، إذا رَأَيْتُـم هـذه البواخر تمْخُرُ الماء وتَأْتِي بالأَرْزَاق مِن ناحية إلى ناحية فإنَّ هذا يسْتَوْجِب أن تَشْكروا الله سبحانه وتعالى على هذه النعْمَة، والشُّـكْر قـال العلمـاء في تفسيره: " هو القِيام بطَاعَةِ المـُنْعِم اعترافًا بالقلْب وتَحَدُّثًا باللِّسَـان وطَاعَةً بالأَرْكَان " فمواضِعُه ثلاثة: القلب واللسان والجوارح، ولهذا قـال الشاعر -يا فهد؟

الطـالب: أفـادتْكُمُ النَّعْمَـاءُ مِنِّـي ثَلَاثَـةً يَـدِي ولِسَـانِي والضَمِيرَ المـُحَجَّبَا

الشيخ: أفادتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يعني العطف من هذه الثلاثة

أفادتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي ولِسَانِي والضَمِيرَ المـُحَجَّبَا

فهذا الشُّكر يكون فـي هَـذه المواضِـعِ الثَلَاثَـة، والحمْـد يكُـونُ باللسـان، الحمْد يكون باللسان، فمُتَعَلِّق الشُّكْر أعَمّ وسبَبُه أخَصّ، ومُتَعَلَّـق الحمْـد أخَصّ وسببُه أعَمّ، لأنَّ الحَمْد يكونُ في مُقَابَلَةِ النِّعْمَة، ويكونُ في مُقَابلَـةِ كَمَال المحمُود، فهو أعَمّ مِن حيث المـُتَعَلَّق، بخِلَاف الشُّـكْر فـإنَّه أخَـصّ يعني هو في .. نعم مُتَعَلَّـق ... ، الشـكر أعـمُّ فـي المتَعَلَّـق وأخَـصّ فـي السَّبَب والحمْد بالعكس.

قال: ((**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**)).

الطالب: الفوائد.

الشيخ: الفوائد قال الله تبارك وتعالى، الفوائد ..... في الدرس الجديد؟

الطالب: .....
الشيخ: الآن أحسن؟ ....
الشيخ: وقال الله سُبْحَانَه تعالى: ((**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِـنْ تُـرَابٍ**)) إلـى آخِرِه هذه ... في هذه الآية الكريمة بَيَانُ قُدْرَةِ الله سـبحانه وتعـالى فـي ابْتِدَاءِ خلْقِ بني آدم بأن خَلَقَهُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ إلى آخِرِه.
ومِن فوائدِها أيضًا: أنَّ اللهَ بحِكْمَتِه ورحْمَتِـه جعـلَ بنـي آدَم أَزْوَاجًـا ذكَـرًا وأُنْثَى وذلِك لِبَقَاءِ النَّسْلِ وحُصُولِ الـمُنْعَة.
ومِن فوائدِها: إحَاطَةُ عِلْمِ اللهِ بكُلِّ شَيْء؛ لقـولِه: ((**وَمَا تَحْمِـلُ مِـنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**)) .
ومِن فوائدِها: إثباتُ القُدْرَة للهِ عَزَّ وجَلَّ، مِن قـولِه: ((**وَاللَّـهُ خَلَقَكُـمْ مِنْ تُرَابٍ**)) لأَنَّ الخَلْقَ لا يَكُون إلا بعد عِلْمٍ وقُدْرَة.
ومن فوائِدِها أيضًا: أنَّ الأعمَار الطَّوِيلَ منهـاً والقصـير كُلُّـه مكْتُـوب عنـدَ اللهِ عز وجل في كِتَاب.
ومن فوائدِها: إثباتُ مرتَبَتَيْن مِن مَرَاتِبِ القَدَر وهما: العِلْم والكِتَابَة.
ومن فوائدِها أيضًا: سُهُولَةُ هذا الشـيء علـى اللـه سـبحانه وتعـالى وهـو الخَلْق والكِتَابة نعم، لقوله: ((**إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**))، طيب فيهـا المرتبة الثَّالِثَة مِن مَرَاتِب القَدَر
الطالب: الخلق.
الشيخ: وهي الخَلْق، إذًا فيه ثَلَاث مراتـب العِلـم والكتابـة والخَلْـق إيـش بعده؟ المشِيئَة، .. والمشيئة، يمكن نأخُذها من الآية، كيف ذلك؟
الطالب: يخلُق ما يشاء.
الشيخ: .. ((**مِن تُرَاب ثم من**)) وهَذَا لا يكُـونُ إلا بالمشِـيئَة؛ لأَنَّ اللـهَ لم .. هذه، فَتَكُون فـي الآيـة إذًا إثْبَـات مراتِـب القـدَر الأربعـة العِلْـم ثـم الكِتَابَة ثُمَّ المشِيئَة ثم الخَلْق وقَدْ جُمِعَتْ هَذِه المـَراتِب الأَرْبَـع فِـي بَيـتٍ ....
الطالب: .....
الشيخ: عِلْمٌ كِتَابَة مولانَا مَشِيئَتُه وخَلْقُه وهو إِيجَادٌ وتَكْوِين
هَذِهِ مرَاتِبُ القَدَر الأَربَعَة طيب.
ثُم قال تعالى: ((**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ**)) إلى آخِرِه في هذه الآية مِن الفوائِد أوَّلًا: أنَّ الأَشْيَاءَ المخْتَلِطَـة لا يُمْكِـن أن تكـون مُتَسَـاوِيَة؛ لقـولِه: ((**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ**)) إلى آخِرِه، يتَفَـرَّعُ مـن هـذه الفائِـدَة أنَّـه لا يُمْكِن التَّسْوِيَة بيـن الرَّجُـل والمـرْأة فـي الحُقُـوق ولا فـي غَيْرِهـا، نعـم، لِماذا؟ لأَنَّ تَقْوِيمَ خِلْقَةِ المرْأة مُخْتَلِـف عَـن تَقـويم خِلْقَـة الرَّجُـل، ولهـذَا جَعَلَ اللهُ لِلـ.. أعمالًا تلِيقُ بها ولِلرَّجُل أَعْمَالًا تَلِيقُ به فقد سـألَتْ عائشَـةُ النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام: " هل عَلَى النِّسَـاءِ جِهَـاد " قـالَ: **(عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لا قِتَالَ فيه الحَجّ والعُمْرَة)** وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **(لن يُفْلِح قومٌ ولَّوْا أَمْرَهُم امْرَأة)**، وَمَنَـعَ النـبيُّ صـلَّى اللـه عليـه

وسلم مِن تزْوِيجِ المرأَةِ نفسَها، إلى آخِـر مـا تعرِفُـون مِـنَ الفُـرُوق بيـنَ الرَّجُلِ وبين المرأة، وفي المِـيرَاث جَعَل لِلمرْأة نِصْفَ الرجُل إذا كانَ مِن جِنْسِها كالإِخْوَة والأَعْمَام والأَخْوَال.

الطالب: .....

الشيخ: كالإِخْوَة طيب، والأعمام.

الطالب: .....

الشيخ: الإِخْوة .. والأعمَام.

الطالب: .....

الشيخ: لأن العمَّة لا ترِث، العمـة لا تَـرِث يعنـي لـو هَلَـكَ هَـذا عَـن عمِّـه وعَمَّتِه مَا وَرِثَتِ العَمَّة، العَمَّة لا تدخُل، أي نعم، طيب نكمِّل الفَوَائِد، ...

الطالب: كيف يقولون: من بَحْرٍ واحد .. ومِن كُلٍّ تأكُلُونَ؟

الشيخ: .....

الطالب: .....

الشيخ: ... ظاهِر القُرْآن، .. ظاهر القُرْآن مِن هذا ومِن هذا، أمـا مسألة السَّمَك فَهُمَا جمِيعًا ما فِي إشْكَال ولا أحَد يقُـول: مِـن واحـد، لكـن اللِّـي فِيـه إشْـكَال فِـي مَسْـأَلَة اللؤلـؤ والمرجـان هـل يخـرُج فـي ال.. أوْ لا؟ وسـيأتِينَا إن شَـاءَ اللـه فِـي الفَوَائِـد، ... أيْضًـا أنَّـه لَيـسَ الـمُرَاد اللُّؤْلُـؤ والمَرْجَان فقط، قد يتَحَلَّى الناس مما يخرج من .. وغيره.

ولا ..... لِأَنَّ إِخْوَة يُوسُف أعْقَل مِن أن يُوَجِّهُوا خِطَابًا لأبيهم يريـدون أن يذهب إلى الجُدْرَان يسأل، نعم، لكن ((**إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَـةِ**))[العنكبوت:31] المراد بالقَريـة المسَـاكن ولَّا لا؟ مَسَـاكِن القَـوْم، .... القرْية، فأنتَ تَرَى الآن أنَّ هَذِه الكَلِمَـة صَـارَتْ فـي موضِـعٍ لَهَـا مَعْنًـى لا تحتَمِلُ المعنَى الآخَر في الموْضِع الآخَر، فالسِّيَاق لَهُ دَوْرٌ كَبِير في مَعْرِفَة المـُرَاد بالكَلَام، طيب، أخَذْنَا الفَوَائِد الآن؟ ما كَملناها؟ وش وقفنا عليه؟

مِن فَوائِد هذِه الآية الكريمة: بَيَانُ قُدْرَةِ اللهِ سبحانه وتعـالى حيـث جَعَـل مِن هذا الماء هذين الصِّنْفَيْن المتَبَاعِدَيْن همـا بحـرَان مِـن المـاء أحـدُهما ((**عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ**)) والثَاني: ((**مِلْحٌ أُجَاجٌ**)) فَهُمَا شـيْءٌ واحِد ومع ذلك يختلفوا هذا الاختلاف.

ومِن فوائد الآية الكريمـة أيضًـا: أنَّ المـاءَ العـذْب يكـونُ سَـائِغ الشُّـرْب، وعَكْسُه المـَاءُ المالِح ويَتَفَرَّع على ذلك أنَّه لا ينْبَغِـي لِلإِنْسَـان أن يشْـرَبَ مالا يَسْتَسِيغُهُ لأَنَّ ذلك يُؤَثِّرُ علَيْه وَيَضُرُّه، كَمَا أنَّه لا مَانِع مِن أن يَتَنَاوَل ما تَشْتَهِيهِ نفسُه وإن كان في بعضِ الحالات ضرَرًا عليه، وقد ذكرَ ابنُ القيم رحمه الله في زادِ المعَاد أنَّ لِطَلَبِ النَّفْس الشَّيْء أثَرًا كَبِيـرًا فـي انْتِفَـاءِ مَضَرَّتِه، وضَرَبَ لِذلك مثَلًا .. الميْتَـة خَبِيثَـة مُضِـرَّة فـإذَا اضْـطُر الإنسَـانُ إليها واشْتَدَّتْ حَاجتُه .. صارَتِ النَّفْسُ تَقْبَلُه وتَسْتَسِـيغُها ثـم تهضِـمُها فلا تَضُـرُّهَا، لأنهـا لـو كـانَت تَضُـرّ - أي الميْتَـة - تضُـرُّ المضـطَرَّ ضـرَرَ غيـرِ المضطَرّ لكانَ حلُّها له يتضَمَّن قَتْلَ نَفْسِـه، ولـذلك لـو اضـطُرَّ إلـى أكلِـه

وليس عنده إلا سُمّ لم يحِلَّ له أن يأكُلَ السُمّ واضِح؟ وضـربَ مثلًا لِـذلك أيضًا بقِصَّة صُهَيْب الرُّومِي كان أرْمَـد يعنـي ... عينـه مِـن رَمَـدٍ كـان بِهـا فجيءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بِتَمْر فأكَلَ منه النبي عليه الصـلاة والسلام وذهَبَ صهيبٌ لِيأكُل فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: (**إنَّكَ أرْمَد**). والمعرُوف أن الذي في عينِـه رمَـد لا يأكُـل التَّمْـر - فقـال: " يـا رسولَ الله! أمضَغُه مِن الجانِب الآخر " كيف؟ مثلًا إذا كانت عينُه اليمنى فيها رَمَد يمضغُه من الجانب الأيسر، فضَحِك النبي عليه الصَّلَاة والسَّـلَام وقال له: **(كُلْ)**. قـال: لأنَّ نَفْسَـه الآن كَـانَتْ تطْلُبُـه طلبًـا قويًّـا وهـذا الطلـب يُزِيـل ضـرره، فـالمهِم أنَّ الشَـيْء الـذي لا يُسْتَسَـاغ لا ينبَغِـي للإنسانِ أن يَتَنَـاوَلَه ويُكْـرِهَ نفسَـه عليـه، ولهـذا قيـل: " كُـل مـا يشْـتَهِي بطنُك، ولا تأكُلْ ما يشـتَهِي فَمُـك " مـا أدري هـل يصـلُح هـذا ولَّا لا؟ نعـم يصْلُح لأنَّ بعض الناس يتلَذَّذ بنوْع مِن الطعام لكنَّ باطنَه لا يقبَلُه تجده إذا أكل يبدا يقرْقِر بطنُه وربما يُسْهِل نقول: هذا لا تأكـل لـو اشـتهيت .. لأن هذا ضَرَر عَليك، نعم.

ومِن فوائد الآية الكريمة: بيانُ نعمةِ الله سبحانه وتعالى على عِبـادِه بمـا يستخرِجُونَه مِن هذه البحارِ مِنَ اللحوم؛ لقـوله: ((**وَمِنْ كُـلٍّ تَـأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا**)) بدون مَشَقَّة وبدون تَعَب مـا .. ومـع ذلـك يكـون السـمك مِن أحسن اللحوم، وكذلك نعمةُ الله عز وجل فيمـا نسـتخْرِجُه مِـن هـذه البحار مِن إيش ؟ الحُلِي التي نلْبَسُهَا.

ومِن فوائد الآية الكريمة: بيانُ الفرق بين كمال اللحوم مِـن هـذه البحـار وكمال الحُلِي لأنه في اللُّحوم قال: ((**تأكُلُون**)) ولم يذكُر العلاج الـذي نتوَصَّل به إلى هذا الأكل؛ لأنه سَـهْل هَيِّـن لا .. لكـن فـي الـحِ ليـة قـال: تستخرجون)) لأنها تحتَاج إلى مَشَقَّةٍ وعَنَاء.

ومِن فوائد الآية الكريمة: بَيَـانُ قـدْرَةِ اللـهِ عـز وجـل بِحَمْـلِ هـذا الفُلْـك الثَّقِيل الممْلُوء بالبضَائِع على مَتْنِ الماء ومع ذلك يستطيع أن يدْفَعَ المـاء ويمخَرَهُ؛ لقولِه: ((**وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ**)) وإلَّا فَـإنَّ المـاء ثقيـل .... هَيِّن ولهذا عندما يسْبَح الإنسان في الماء يحتَاج إلى قُوَّة حـتى يـدفَع على الماء لكن هذه السفن تمخَر الماء ولا يظْهَرُ [كذا] أثـرُ هـذه النعمـة إذا تَذَكَّر الإنسَان السفنَ القديمة التي تجرِي بالرِّياح نعم.

ومِن فَوَائِدِ الآية الكريمة: بيَانُ نعمة الله تعالى علينا بنيْلِ مـا نطلُبُـه مـن فضلِه بواسطة هذه البواخِر؛ لقولِه: ((**لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**)) .

ومِن فوائدِها: أنَّه ينبغي للإنسان أن يفْعَلَ الأسْبَاب التي يَتَوَصَّلُ بِهَـا إلـى المقْصُـودِ؛ لِقـولِه: ((**لِتَبْتَغُوا مِـنْ فَضْـلِهِ**)) أمَّـا أن يقُـولَ الإنسَـان: أبِي[أي: أبْغِي] أبقَى في بيتي ورزقِي يأتِيني ويقول: إنه مُتَوَكِّل على الله هل نُوَافِقُه على قولِه؟ لا، نقول: إذا كُنتَ مُتَوَكِّلًا على الله لا تكُن مُتَوَاكِلًا، فَـرْق بيـن التَّوَاكُـل والتَّوَكُّـل، .. هـذا النـبي عليـه الصـلاة والسلام سيِّدُ الـمُتَوَكِّلِين ومـع ذلـك كـان يفْعَـلُ الأسْـبَاب الجالِبَـة للخَيْـر

الدَّافِعَة للشَرّ أليس كذلك؟ طيِّب إذًا ابْتَغِ مِن فضْلِ اللـه وافعَـلِ السـبب فَإِنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ ذَهَبًا ولا فِضَّـة وإنَّمـا يـأتِي الـرِّزْق بِطَلَـب الإِنسَـان، والأَمْرُ أظْهَر مِن أن يحتَاجَ إلى أمْثِلَة وإلَّا ف.... مِن أقـرب مـا يكـون، لـو قال قائل: إذا كان اللهُ قد قدَّرَ لي ولَدًا فسيأتِيني ولَن أتزَوَّج، نقول: هـذا كلام رجُلٍ مجنُون، نعـم مجنـون، كيـف يمكـن أن يأتِيَـك الوَلَـد وأنـت لـم تتزَوَّجْ؟ نعـم مـا عَلِمنـا أن الأولاد تنبُـت مِـن ال.. أبـدًا وإنمـا تـأتي بفعْـلِ أسبابِها بالزواج مثلًا، طيب هذا تبع أيضًا الرِّزْق يحتاج إلى طَلَب .....

ومن فوائدِها: وجوب شُكْرِ نعمَةِ لله سبحانه وتعالى لقــولِه: ((**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)) فـإنَّ اللـهَ جعَـلَ هـذه النِّعَـم وسـخرَّها .... لِنَقـوم بشُـكْره سبحانِه وتعالى وقد مرَّ علينا كثيرًا بأنَّ الشـكر موضِـعُه اللسـان والقَلـب والجوارح. ثُم قال الله سبحانَه تعالى مُبَيِّنًا كَمَالَ قدرتِه ونعمتِه أيْضًا قال: ((**يُولِجُ**)) يُدْخِلُ ((**اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ**)) فَيَزِيـد ((**وَيُولِـجُ النَّهَـارَ**)) يُدخِلُه في الليل فَيَزِيد " انْتَبِه لِكَلام المؤلِـف هَـل يُوَافِـقُ الظَّـاهِر ولَّا لا؟ ((**يُولِجُ فِي اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ**)) فيزِيد " وش اللي يزيد؟

طلع النهار زاد الليل، وإن كان يعود على أقرب مذكور وهو النهار فيزيد فهذا فيه نظر لكن توجيهه)(**يولج الليل في النهار**)(أن شيئا من الليل يكون جزءا من النهار هذا توجيه، أن شيئا من الليل يكون جزءا من النهار، فإذا كان شيء من الليل جزءا من النهار معناه زاد النهار، يعني كأنه يقول مثلا دخل الليل في النهار فصار نهارا، دخل الليل في النهار فصار نهارا، وحينئذ وش اللي يزيد؟ النهار، والعكس بالعكس، لكن الظاهر من الآية الكريمة أنه يُدخِل الليل في النهار فيكون جزءٌ من النهار ليلا، الآن لو قلت: أدخلت هذا في الساقية في هذه الأرض، تعرفون الساقية ولّا لا؟ الخرجة في الأرض الجزء الذي دخل من الساقية جعل الأرض ساقيةً، إذًا أدخلتُ الليل في النهار جعلت جزءا من النهار ليلًا وحينئذ يكون الليل هو الذي يطول، إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل لا شك أنه دال على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى؛ لأن الخلق لو اجتمعوا كلُّهم على أن يولجوا جزءا يسيرا من الليل في النهار أو بالعكس ما استطاعوا أبدا، ثم هذا الإيلاج أيضا إيلاج بالنظام، اش معنى بنظام؟ أي أنه يأتي شيئا فشيئا حتى تتكيف طباع البشر بهذا الإيلاج ما ظنكم لو أنه جاء الليل بنهايته دفعة واحدة يعني مثلا اليوم صار الليل ثمان ساعات وخمسة وثلاثين دقيقة، في الليلة القادمة صار اثني عشر ساعة وخمس دقائق، ماذا تكون حال الناس؟

الطلاب: مضطربة.

الشيخ: تضطرب لكنه سبحانه وتعالى يولجه شيئا فشيئا، هذا من جهة الاضطراب، من جهة أخرى لو ولج هكذا دفعة أنتم تعرفون أنَّ سبب طول النهار قُرْب الشمس من مسامتة الرؤوس، وإذا قربت الشمس من مسامتة الرؤوس فلا بد أن تكون شديدة الحرارة، معنى ذلك أن يكون اليوم هذا في عز الشتاء واليوم اللي يليه في عز الصيف، وهذا ضرر عظيم، لكن الله سبحانه وتعالى يولجه شيئا فشيئا وهذا من تمام القدرة والحكمة والرحمة، أيضا إيلاج الليل في النهار وبالعكس له تأثير عظيم على الجو؛ لأنه ينقلب من بارد شديد على طول الزمن إلى حار شديد على طول الزمن أيضا، ألم تعلموا أن هذه الحرارة الشديدة تقتل من الجراثيم الضارة ما لا يعلم به إلا الله عز وجل، ولهذا لنضرب مثلا بسيطا كلنا نشاهده: البعوض إذا اشتد الحر مات ... ولهذا أكثر ما يكثر في الزمن الذي بين الحر والشتاء، الشتاء كذلك شدة البرودة تقتل الجراثيم، تعيش على الحرارة ولا يعلم بها إلاّ الله عز وجل، ومن

ثـم قـال العلمـاء: إن أكـثر أهـل الأرض أمراضـا هـم الـذين علـى خـط الاستواء وما قاربه لماذا؟ لأنه ليس عنـدهم شـتاء يقتـل أو صـيف حـار يقتل أيضا وهذا أمر مشاهد، أي نعم، طيـب إذًا إيلاج الليـل فـي النهـار فيه عدة حِكَم ولهذا ... ((**يولج الليل فـي النهـار ويولـج النهـار في الليل**)).

((**وسخر الشمس والقمر**)) أي ذللهما لعباده، أنا الآن عندي شُغل عند ... في الإذاعة .. برنامج نور على الدرب عندكم حـد إلـى السـاعة تسعة وربع .. نمشي في التفسير ولّا نأخذ الحديث؟

الطلبة: نمشي في التفسير

الشيخ: نمشي في التفسير؟ طيـب ((**وسخر الشـمس والقمـر**)) الشمس معروفة والقمر معروف، سـخَّرَهما أي ذلَّلهمـا، ذلَّلهمـا لِمَـن؟ لمصالح العباد، فإنَّ في الشمس والقمر من المصـالح العظيمـة للعبـاد ما يعرِفه أهل العلم بهذا الشأن، مصالح عظيمة، هذه الشمس والقمـر ما بيَّن الله لنا ثِقَلَهما ولا حجْمَهما؛ لأن ذلك ليـس بـالعلم النـافع الكـبير لنا؛ فالجهل به لا يضر والعلم به من فضول العلـم إن لـم يشـغلك عمـا هو أهم منه فاشتغِلْ به، إنما بيَّـن المصـالح الـتي تـترتب علـى تسـخير الشمس والقمر قـال: ((**وسخر الشـمس والقمـر**)) فبالشـمس يكون النهـار والليـل ولّا لا؟ ويكـون أيضـا نضـج الثمـار، وتكـون الأنـوار العظيمـة، مـا رأيكـم مثلا مـاذا يتـوفر للعـالَم مـن الطاقـة بعـد خـروج الشمس؟ كثير لا يحصى؛ لأنها تُوَفِّر الكهرباء، وتوفر أيضا تليين الأشـياء تحتـاج إلـى تليـين وإلـى حـرارة، ثـم إنـه فـي الأزمنـة الأخيـرة صـاروا يستنتجون من حرارة الشمس طاقة كبيرة عظيمة، أمـا القمـر فسُـخِّر لنا أيضا بما يحصل من نـورِه فـي الليـل، وبمـا يحصـل منـه مـن العلـم بالحسـاب وعـدد السـنين ومـا إلـى ذلـك، وإن شـئتم المزيـد مـن هـذا فراجعـوا كتـاب مفتـاح دار السـعادة لابـن القيـم رحمـه اللـه ذكـر مـن مصالح الشمس والقمر أشياء عديدة كبيرة، وذكر غيرُه أيضا ذلك لكـن يجد الإنسان الفـرق بيـن بحـث ابـن القيـم مثلًا وبحـث العلمـاء علمـاء الطبيعـة؛ لأن علمـاء الطبيعـة ينظـرون إلـى هـذه الأشـياء مـن زاويـة مظلمة حالكـة مادِّيَّـة محضـة لا يـتربى فيهـا الإنسـان تربيـة دينيـة، ولا يعرف بها قدرة الله ونعمته، لكن إذا تكلم مثـل ابـن القيـم رحمـه اللـه في ذلك .. أن هذا دائما برحمة الله وقدرته وحكمته فيجد الإنسـان مـع علمِه بهذا الكم من العلوم يجد مع ذلك خشيةً لله عز وجل وتعظيما له

ومحبة له.
قال " ((**كل**)) منهما ((**يجري**)) في فَلَكِه ((**لأجل مسمى**)) يوم القيامة " كُلٌّ من أين؟ من الشمس والقمر، يجري يعني يسير في فَلَكِه، لأجل مسمى، الفلَك شبَّهَه ابن عباس رضي الله عنه بفلكَةِ المغزل، فلكة المغزل عبارة عن قُرْصٌ في أعلاه، نعم، وفي أسفله عود ينطوي عليه الحبل الذي يُغزَل، يمكن شاهده بعضكم، نعم هذه تدور؛ لأن المرأة اللي تغزل تبرمه هكذا حتى يدور ويحكم ...، الفلك هذا للشمس فلك تدور به وللقمر فلك يدور به.
وفي إسناد الجريان إلى كلٍّ منهما دليل على أنهما يسيران بذاتهما ويدوران على الأرض، وهذا شيء مشاهد أن الشمس تدور على الأرض وكذلك القمر، وما ادعاءُ علماء الهيئة من أن الأرض هي التي تدور والشمس لا تدور حول الأرض فإننا نكذبهم حتى يقوم لنا دليل حسي ما يكون لنا حجةً أمام الله عز وجل في الخروج عن ظاهر كلامه، وإلا فالواجب علينا نحو هذه الأمور ألا نخرج عن ظاهر كلام الله؛ لأن الله تعالى هو الخالق، والخالق أعلم بما خلَقَ من غيره، مُسَلَّم هذا ولّا لا؟
الطلاب: مُسَلَّم.
الشيخ: مسلم، ولأن كلام الله عز وجل أوضح الكلام وأبينُه فلا يمكن أن يكون فيه شيء من التعقيد لا اللفظي ولا المعنوي، بل هو واضح في المعنى ظاهر، ولأن كلام الله عز وجل أصدق الكلام فلا يمكن أن يخبرَنا الله عز وجل بأمرٍ لم يكن، أو بأمر يكون الواقع على خلافه، ولأن الله عز وجل أحبُّ أحدٍ يكون البيان إليه، يعني أنه يحب البيانَ لعباده أكثر من أي أحد، واقرَأْ قولَه تعالى: ((**يبيِّن الله لكم أن تضلوا**)) وما أشبهها من الآيات الدالة على أن الله عز وجل يريد أن يبيِّن لعباده ما يهتدون به، فإذا كان سبحانه وتعالى هو أحب مَن تكلم بالبيان أو هو أحب من يكون البيان إليه أحب وهو الله عز وجل، فإنَّ الله تعالى لا يمكن أن يقول في كلامه ما ليس فيه بيان لنا، إذًا فنحن نكذِّبهم ونقول: كذبتم أن يكون تعاقُب الليل والنهار مِن أجل دوران الأرض، بل تعاقب الليل والنهار من أجل دوران الشمس على الأرض، ولا غرابةَ في ذلك؛ هم يقولون كيفَ أن الكبير يدور على الصغير؟ وما في مانع نحن معكم بأن الشمس أكبر من الأرض لكن ما المانع من أن يكون الجزء الكبير أو الجرم الكبير هو الذي يدور على الصغير، ونحن

إذا نظرنا إلى القرآن وجدنا أن الله سبحانه وتعالى يضيف هذه الحركة إلى الشمس نفسِها، وكذلك إذا نظرنا إلى السُّنَّة ففي القرآن يقول الله تعالى: ((**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال**))، وفي القرآن يقول الله تعالى: ((**إني أحببت حب الخير عن ذِكْرِ ربي حتى توارت**)) أي الشمس ((**بالحجاب**))، وفي القرآن يقول: ((**سخر الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمى**)) هذه ستة مواضع، نعم ((**والشمس تجري لمستقر لها**)) مثل ((**كل يجري لأجل مسمى**)) كلها تدل على أنَّ هذه الأفعال تقع من الشمس، لو كان هذا يأتي بدوران الأرض لقال: وترى الشمس إذا طلعوا عليها؛ لأن إدارة الأرض فنحن الذين نطلع على الشمس ماهي بالشمس اللي تطلع علينا، وأما قولهم: إن هذا خطابٌ للناس بما يشاهدونه بأعينهم والأمر على خلافه يعني إذا طلعت حسب رؤية العين وفي الواقع أننا نحن الذين نطلُع عليها فبماذا نجيبهم؟ نقول: هذا خلاف أمر الله، ولا يمكن أن نحيد عن هذا الظاهر إلا بدليل محسوس يمكننا أن نحتَجَّ به أمام الله عز وجل؛ لأن الله سيحاسبنا يقول: لماذا عدلتم عن كلامي إلى كلام غيري؟ والخطاب من الله سبحانه وتعالى:)(**إذا طلعت تزاور عن كهفهم**() تزاور هي أي تميل، ولو كان ذلك بدوران الأرض لكان الأرض هي التي تميل، ()**وإذا غربت**() لو كان هذا بدوران الأرض لكان الأرض هي التي تغرُب عن الشمس، أما في السُّنَّة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: (**أتدري أين تذهب؟**) أتدري أين تذهب؟ أسند الذهاب إليها، عندما غربت، ولو كانت الأرض هي التي دارت حتى اختفت الشمس لكان يقول: أتدري أين تذهب الأرض. مثلًا، والحاصل أنه يجب علينا وجوبًا أن نأخذَ بظاهر القرآن وأنَّ الشمس هي التي تدور على الأرض وأنَّه بدورانها يحصل اختلاف الليل والنهار، هذا الواجب، ولا يجوز أن نحيدَ عن هذا أبدًا إلا إذا قام الدليل الحسي على خلاف ذلك فإنه حينئذ يتعين التأويل، وصرفُ الكلام عن ظاهره؛ لأننا نعلم علمَ اليقين أنَّ القرآن لا يخالِف الواقع، أما شيء يقولونه بأوهامهم ويقدِّرُونه فإننا لا نوافقهم على ذلك، ولا يسع المؤمن أن يحيدَ عن ظاهرِ كلام الله لمجرد قولهم أبدًا، أما مسألة الأرض هل تدور أو ما تدور فنحن نقول: لا نصدِّق ولا نكذِّب فيمكن أن يكون لها دورَة ومع

ذلك للشمس دورة، هم يقولون إذا أقررتم بدوران الأرض لزمكم أن تقولوا: إن الشمس ثابتة، فنقول: ليس ذلك بلازم يمكن يكون للشمس دورة وللأرض دورة أخرى ولا مانع من ذلك، ولكن مع هذا نقول: إنَّ الكلام في دوران الأرض من فُضُول العلم الذي لا ينبغِي للإنسان أن يُضِيع وقتَه به إلا رجلًا يحتاج إلى معرفة ذلك كما يُذْكَر أنهم يحتاجون إليه في الصواريخ الموجَّهَة وما أشبه ذلك مما هو معروف عند أهله فحينئذ إذا احتاج إليه فلا حرج أن يبحث فيه، أما إذا لم يحتج إليه فنقول: هذا ضياع وقت، وما الفائدة مِن أن تعلم أنها تدور أو لا تدور؟ احمد الله أنَّ الله جعلها قرارًا سواء كانت تدور أو لا تدور، نعم.

وقال: ((**كل يجري لأجل مسمى**)) يحتمل أن تكون اللام للعاقبة أي كل يجري حتى ينتهي لهذا الأجل، ويحتمل أن تكون اللام بمعني إلى كما جاءت به في موضع آخر ((**كل يجري إلى أجل مسمى**))، وعلى كل حال فهي تدل على أنَّ لهذا الجريان غايةً، وهو كذلك، هذه الغاية فسرها المؤلف بقوله: " يوم القيامة " وقوله: ((**أجل مسمى**)) أي معيَّن عند مَن؟ عند الله سبحانه وتعالى، وهو معلوم عنده وليس معلومًا عندنا، إذًا فهذه الشمس والقمر ليستا أبديتَيْن لكنهما دائِبان كما قال تعالى: ((**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين**)) أي مستمِرَّيْن لكن لهما أجل ((**كلٌّ يجري لأجل مسمى**))

((**ذلكم الله ربكم له الملك**)) الإشارة تعود إلى ما ذُكِر مِن التسخير والجريان انتبه! أقول: ()**ذلكم**() تعود إلى ما ذُكِر من التسخير والجريان، أو تعود إلى الفاعل في قوله: ()**سخر**()؟

الطالب: الفاعل.

الشيخ: إذًا ذلكم المسخِّر الله فالمشار إليه الآن مفرَد مذكَّر، والمخاطب جماعة ذكور، وهنا نسأل: ماذا يُرَاعى في اسم الإشارة وكاف الخطاب؟ هل يراعَي المخاطَب أو المشَار إليه؟ نقول: أما اسم الإشارة فيُرَاعَى فيها المشار إليه، وأما الكاف فيراعَى فيها المخاطَب، عرفت؟ فإذا أشَرْتَ إلى رجُلَيْن مخاطِبًا جماعَةَ إناث يا ياسر! أشرْتَ إلى ذكرين مخاطِبًا جماعة إناث ماذا تقول؟

الطالب: هذان.

الشيخ: لا.

الطالب: ذانِكُنَّ.

الشيخ: نقول: ذانكـن، ذانِ هـذا تخـاطب ذكرَيـن، كُـنَّ تُخـاطِب جماعـة إناث، ذانِكُنَّ، في القرآن: ((**قالت فـذَلكن الـذي لُمْتُنَّنِـي فيـه**)) لكن هنا في الآية المشـار إليـه مفـرد مـذكر، نعـم المشـار إليـه مفـرد مذكر، طيب خَـاطِب جماعـة ذكـور مُشِـيرًا إلـى جماعـة إنـاث. يـالَّا يـا عيسى!

الطالب: تلكم.

الشيخ: تلكم صح؟ تلكم أو أولئكم؟ طيب يصلح هـذا وهـذا، طيـب هـل الأفصح في المخاطَب أن يكون الضمير علـى حسَـب المخـاطَب يعنـي جماعة ذكور إذا كان المخـاطب جماعـة ذكـور، وجماعـة إنـاث إذا كـان المخاطب جماعة إناث، ومثَنَّى إذا كان المخاطب مثنـى، مفـرَد مفتـوح إذا كان المخاطَب مذَكَّرًا، مفرد مكسـور إذا كـان المخـاطَب مؤنثـا؟ أو الأفصح أن يكون بلفظ الأفراد دائما؟ .. نقول: فيه ثلاث لغات: أولًا: أن يكون باعتبار المخاطَب مطلقًا هذا واحد، ثانيًـا أن يكـون بالفتـح دائمًـا، ثالثًا. أن يكون بالفتح دائما يعني للمفـرد بفتـح للمفـرد، ثالثًـا أن يكـون بالفتح لمفرد في المـذكر، وبالكسـر لمفـرد فـي المـؤنث مطلقًـا، كـم هـذه؟ ثلاث لغـات ... زيـن ولّا؟ طيـب اللغـة الأولـى وهـي المشـهورة الفصحى: أن تكون الكاف بحسـب المخـاطَب مطلقًـا: تخـاطِب مفـردًا مذكر تقول: ذَلِكَ، مفردة مؤنثة: ذلكِ، مثنَّى ذلكما، جماعة ذكور ذلكـم، جماعة الإناث ذلكُنّ، هذا الأفصح، ثانيًـا: أن تجعلَـه مفـردا مفتوحًـا فـي المذكَّر مطلقًا فتقول: ذلكَ سواءٌ كنتَ تخاطِبُ مفردًا أو مثنـى أو جمـع لكن بشـرط أن يكـون مـذكرًا، وتقـول فـي المـؤنث ذلـكِ سـواءٌ كنـت تخاطِب واحـدة أو جماعـة أو مثنـى، الثـالث أن تجعلَـه مفتوحًـا بصـيغة المذكَّرَ دائمًا أيًّا خاطبت فتقول: ذلك سواءٌ كنت تخاطب رجلًا أو امـرأة جماعة أو مثنى أو مفرد، نعم، هنا يقول الله عز وجـل: ((**ذلكـم اللـه ربكم**)) المشار إليه في الآية)(**ذلكم**() المشار إليه ما نوعه.

الطلاب: ...

الشيخ: المشار إليه مفرد ايش بعد؟ مذكر، والمخاطَب جماعة لأن الله يخاطِبُ الناس جميعًا ((**ذلكم الله ربكم**)) الربّ يطْلَـق علـى معـانٍ كثيرة في اللغة العربية منها: الخالق المالك المدَبِّر فالربوبية معنـاه أنَّ الله سبحانه وتعالى خالِقٌ مالِك مدَبِّر ولهذا قال: ((**لهُ الملك**)) جملة خبرية قُدِّمَ فيها الخبر للدلالة على الحصر يعني: لـه وحـده الملـك دون غيره، الملْكُ المطلق الشامل لله وحده، ملْكُ الذَّوَات والأعْيَـان، ومُلْـك

التصرف في هذه الأعيان، فهو مالك لكل مخلوق، وهو المتصرف في كلِّ مخلوق، طيب فإذا قلت: كيف يصِحُّ الحصر مع أنَّ الله عز وجل أثبتَ الملْكَ لغيرِه فقال: ((**إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانكم**)) وقال: ((**أو ما ملكتم مفاتحه**)) وقال: ((**والذين يبتغون الكِتَاب مما ملكت إيمانكم**)) فأثبتَ الملكَ لغيره وأن تقول: إن هذه الجملة فيها حصر فالجواب من وجهين: الوجهُ الأول أنَّ مُلْكَنا ليس ملكًا مطلقًا بل هو مُلْك مقيَّد بحسب الشريعة فأنا مثلًا مالك لهذا الحقيبة لكن لا أملك أن أتلفها هل أملك أن أتلفها؟ أبدا؛ لأن حرام علي أن أتلفها، مالك لهذه البعير مثلا لكن هل أن أملك أن أعذبها هل أملك أن أجرحها، ... والله ودي أجرح البعير هذا ما أملك هذا إلا بإذنٍ من الشرع، ولهذا لما أذِن الشرع بالوسم وسم البعير مع أنه مؤذ لها مؤلم جاز، ولَمَّا أذِن بإشعار الإبل والبقر في الهدي جاز، تعرفون الإشعار؟ الإشعار أن يُشَقَّ السنام بالسِّكِّين في الهدي حتى يسِيل الدَّم على الشَّعْر والجِلد، وش الفائدة من هذا؟ الفائدة يُعرَف أن هذه هدي ولذلك نحن نُشْعِرُها الإبل والبقر ونقلِّد الإبل والبقر والغنم، الغنَم ما فيها إشعار فيها تقليد فقط، نعم، وكأنٍ ياسرًا يقول ما هو التقليد، التقليد أننا نضَع عليها قِلَادَة في العنق نعلِّق فيها النعال القديمة المتقَطِّعة وآذَان القِرَب، .. معروفة، القِرْبة واحدها قِرْبة، آذان القِرَب يعني قطع القرب يتعلق بها، نعلقه على هذه البعير أو البقرة أو الشاة لماذا؟ ليعرف أنها هدْي؛ لأن النعال المتقطعة وقطع القرب تدل على ايش؟ الرثاثة والفقر إشارة إلى أن هذه للفقراء لكن قصدنا أن ملكنا – نعود إلى الأصل – أنَّ ملكنا للشيء مقيَّد ولَّا مطلق؟

الطلاب: مقيد.

الشيخ: مقيَّد أي نعم، ثانيًا أنه مُلْك قاصِر يعني ليس شامِلًا، فأنا مثلا أملك هذه الحقيبة لكن أنت لا تملكها، وأنت تملك هذا الكتاب وأنا لا أملكُه، إذًا فهو ملك قاصر لا يتعدى، أما مُلْك الله عز وجل فإنه مُلْك مطلق يتصرف في ملكه كما يشاء وهو ملك عامٌّ شامل أليس كذلك؟ الله عز وجل ينزل الأمراض وينزل الجروح في مخلوقاته ولَّا لا؟ أليس ... الإنسان يظهر فيه جروح تؤلمه وتزعجه وآلام في أعصابه وفي عظامه لو أن أحدا من المخلوقين أراد أن يفعل ذلك لكان ممنوعًا ولا يجوز لكن الله عز وجل له أن يفعل ما شاء ((**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**))، إذًا الله هو الرب وهو الذي له الملك وهذا الملك ..

شامل للأعيان والذوات وشامل للتصرف فيها، ومنه التصرف في الحكم فالأحكام الشرعية لا تُتَلَّقى إلَّا من الله عز وجل ويجب أن نؤمن ونطبق جميع أحكام الله سواءٌ كان ذلك في العبادات أو في المعاملات أو الأحوال يجب أن نطَبِّقَ الجميع، فإن قال أحد من الناس: العبادَة حَقُّ الله فهي بيني وبينه ولا أتجاوز ما شرَع، والمعاملة حقّ الإنسان له أن يتجاوز الشرع فيها فأنا لي أن أعدِل عن شريعة الله إلى حُكم الطواغيت يجوز ولَّا لا؟

الطلاب: لا يجوز

الشيخ: انتبه يا أخ! ... العبادة حقُّ الله خاص ... البيع والشراء .. لمصلحة فأي من البيع والشراء يتفق مع المصلحة والكسب فلي أن أفعلَه ربا غش مكر كل شيء، واش عليكم مني؟ هذا تصرف لنا، المسجد لله والوطن للشعب أو للجميع ما عليكم منا، نقول: ((**ذلكم الله ربكم له الملك**)) ليس لأحد ملك؛ الملك لله عز وجل يتصرف في هذا الملك كما يشاء حِلًّا وحرمة وإيجابا ولا أحد يدخُل في ذلك، والذي يقول هذا ويعمَل بالشرع في العبادات وينكر الشرع في المعاملات نقول: إنه كافر مرتد عن الإسلام لا يجوز إقراراه على هذا الشيء؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ((**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقا**)) فالإيمان ببعض الرسل دون بعض كالإيمان ببعض الشريعة دون بعض؛ لأن الأول تجزئة في الرسل وهذا تجزِئة في المرسل به ولا فرق، فالذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض هو في الحقيقة كافر في الجميع لأننا نقول: لو سلمتَ أنه من الله وأنه شرعه ما كفرت به، فإذا كفرتَ به فهو كفر بالجميع، وشرْعُ الله تعالى لا يتبعض، ومن هنا نأخذ خطورة الأمر في كثير من بلدان المسلمين الذين يُحَكِّمون فيما بينهم غير شريعة الله ويرَوْن أن هذه القوانين الوضعية الطاغوتية أفضل من شرع الله، وأقْوَم لمصالح عباد الله مما شرعه الله، نسأل الله العافية، وهذا بلا شك نقص في عقولهم وذهابٌ لأديانهم، كيف يكون هذا الوضع الطاغوتي المحدَث المبْنِيّ على العقل القاصر أفضَل وأنفع للعباد من شرع الله عز وجل الذي شرعه لعباده وهو أعلم بمصالحهم وأحكم لِمَا يرشدهم، أيّ إنسان عنده عقل فضلًا عن أن يكون عنده إيمان لا يمكن أبدا أن يدور

في فِكْره أن هذه الأحكام الوضعية المخالفة لشرع الله خير لعباد اللـه من شرع الله إلا مخبَّلًا ومجنونًا والعياذ بالله، وما ذلك بغريب على بنـي آدم كالذين كانوا يعبدون الأحجار في الجاهلية مِثْلُ هـؤلاء فـي السـفه، هؤلاء أيضًا عبدوا آراء غيرهم وقدَّمُوها على شريعة الله، طيب والقـول بأن الدين لله والوطن للخلْق صح؟

الطالب: لا، غير صحيح.

الشيخ: هذا خطأٌ ظاهر، يقال: الدين لله والبلاد لله ((**إنَّ الأرض للـه يورثها من يشاء من عباده**)) ما هي لك، الأرض لله والشـعب للـه والدين لله وكل شيء هو لله، وإذا كـان للـه فـالواجب علينـا أن نسـير على هدي الله، والله الموفق. نعم

.. الواو إما استئنافية ولَّا عاطفة من بـاب عطـف الجُمَـل بعضِـها علـى بعض ()**الذين**)(مبتدأ وجملة)(**ما يملكون**)(خبره، وقوله: ((**الـذين تدعون مـن دونـه**)) قـال المؤلـف: " تعبـدون " لأن الـدعاء عبـادة والعابد لله عز وجل تتضمَّنُ عبادَته الدعاء كالصلاة مثلًا فيها دعاء وهـي عبادة، وقد تكون دعاءً بلسان الحال؛ لأنَّ العابد ماذا يريد؟ الفوز بالجنة والنجاة من النار فهو وإن لم يقـل: أسـألك الفـوز بالجنـة والنجـاة مـن النار فهو لا يريد إلا ذلك، إذًا ... بلسان الحـال ولهـذا نقـول: إنَّ الـدعاء عبادة قال الله تعالى: ((**إن الذين يستكبرون عن عبادتي**)) بعـد قوله: ((**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**))، فـدلّ هـذا علـى أنَّ الـدعاء عبـادة، هنـا يقـول: ((**والـذين يـدعون مـن دونـه**)) قـال المؤلف: " يعبدون " يعبدون إمَّا بالعبادة فعل كالركوع للصنم والسجود للصنم والذبح له والنَّذْرِ له وما أشـبه ذلـك، أو يـدعونه دعـاءَ مسـألة لا دعـاء عبـادة فيـأتون إلـى الصـنم وإلـى القـبر ويسـألونه حاجـاتِهم ويسـتغيثون بهـم، فشـمل قـوله: ((**يدعون**)) دعـاء المسـألة ودعـاء العبادة، وقلت: إن دعاء العبادة دعاءُ مسألة لكن بلسان الحال، طيـب، كيف يدعون هؤلاء؟ أقول: يدعونهم يدعون هذه الأصنام علـى وجهيـن: إما بدعاء مسألة وإما بدعاء عبادة، ودعاءُ العبادة دعـاء بلسـان الحـال، قال: " ((**من دونه**)) أي غيرِه وهُمُ الأصنام " الأصنام تارة يعبِّر اللـه عنها بصيغة المؤنث وتارة يعبر عنها بصيغة المذكر هنا عبر عنها بصـيغة المذكر العاقل ((**الذين يدعون**)) هذا للمذكر العاقـل، وإنمـا وصـف هذه مع أنها جماد ميتة للتَّنَزُّل مع هؤلاء العابدين لها وذِكرِها على أكمل حال يعتقدونها فيها، يعني هي مع كمالها على زعمكم كونهـا مـن ذوات

العقل لا تملك شيئًا، قال: ((**ما يملكون من قطمير**)))(**مِن**) (زائدة ولهذا نقول: قطمير مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد أي ما يملكون قطميرًا، نعم، القطمير يقول: " لِفافة من ورق " وسبق لنا أن في النواة ثلاثة أشياء يضربُ بها المثل في الحقارة: قطمير، ونقير، وفتيل، قال: ((**مِن قطمير**)).

ويدل على هذا - أنهم لا يملكون شيئًا - قوله: ((**إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم**)))(**إن**)(هذه شرطية، وفعل الشرط تدعوهم وهو مجزوم بحذف النون، وجواب الشرط لا يسمعوا دعائكم وهو مجزوم أيضًا بحذف النون، يعني هذه الأصنام إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم، لو تدعون هذه الأصنام إلى يوم القيامة ما سمعوا؛ لأنها جماد قال الله عز وجل: ((**ولو سمعوا**)) قال المؤلف: " فرضا " ((**ما استجابوا لكم**)) ما أجابوكم، يعني لو سمعت هذه الأصنام دعائكم ما استجابت لكم، أي ما أجابتكم، سواءٌ قلتم: يا لات! يا عزى! يا يعوق! يا يغوث! يا نسرًا! لو سمِعَت هذا الدعاء هل تجيبكم تقول: نعم ماذا تريدون؟ لا، ولا تعطيكم المطلوب أيضًا، حتى لو سكتت ما .. لكم شيء ولهذا قال: ((**ما استجابوا لكم**)) يشمل الاستجابة بالقول بأن تقول هذه الأصنام: ماذا تريدون؟ والاستجابة بالفعل وهي إيصال المطلوب إلى هؤلاء الطالبين، لا تستجيب لا هذا ولا هذا، وقال المؤلف: " ((**استجابوا لكم**)) أي أجابوكم " مثل قوله تعالى: ((**فاستجاب لهم ربهم**)) أي أجابهم، نعم، ((**فليستجيبوا لي**)) أي فليجيبوني، وأمثال هذا كثير، فالاستجابة هنا بمعنى الإجابة، أي أن هذه الأصنام لا تجيب، ((**ويوم القيامة**)) شف زد على ذلك " ((**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**)) بإشراككم إياهم مع الله أي يتبرَّؤُون منكم ومن عبادتِكُم إياهم " إذًا انتفى عنها إجابة الدعاء، ومع ذلك ليتهم سلِموا من شرِّها، يوم القيامة في هذا الموقف العظيم المشهور ((**يكفرون بشرككم**)) ويتبرَّؤُون منكم وهذا غاية ما يكون من الخذلان لأن يوم القيامة الناس فيه أحوجُ ما يكونون إلى النصر والعزة وهؤلاء الأصنام يوم القيامة تُذِلُّهم، كما قال الله تعالى: ((**ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا**)) يقول .. إبراهيم: ((**وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودةَ بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعَن بعضكم**

بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)) في هذه الآية دليل .. أن هذه الأصنام لا تملك نفعًا لعابديها هذي واحدة، ثانيًا وتزيد عابديها ذُلًّا وخُذْلَانًا في الموضع الذي يكونون فيه أحوج ما يكونون إلى العز والنصر، ((**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**))

ثم قال: ((**ولا ينبِّئُك مثل خبير**)) ولا ينبئك أي يخبرُك بأحوال الدارَين ((**مِثْلُ خبير**)) عالم وهو الله تعالى،)(**ولا ينبئك**)(هذه الجملة الخبرية منفية يعني لا ينبئك أحدٌ بأخبار هؤلاء سواء في الدنيا أو في الآخرة وقول المؤلف رحمه الله: في الآخرة بأحوال الدارين، يشمل ... فسرها على ما هي عليه، يعني لا ينبئك بأحوال الدنيا والآخرة وما يكون لهؤلاء العابدين من هذه الأصنام لا ينبئك أحد مِثْل مَن هو خبير بالأحوال، ولو سُئِلْنا من الخبير بالأحوال لقيل: الله، وهذه الجملة سارت مسْرَى المثل عند العرب: إذا أرادوا أن يؤكدوا الشيء قالوا: لا ينبئك مِثْلُ خبير أو أحيانًا يقولون: على الخبِيرِ سقطت، يعني أنك وصلت إلى العلم اليقين الذي يصدُر عن خِبرة، إذا كان لا ينبئنا مِثْلُ خبير وهو الله وقد أنبأنا بحال هذه الأصنام مع عابدِيها فهل يليق بنا ونحن عقلاء

يستفاد من هذه الآية الكريمة بيانُ قدرة الله عز وجل فـي إيلاج الليـل في النهار والعكس، وذلك لأنَّ أحدًا من الخلق لا يستطيع أن يفعل ذلك مهما عظمت قوته.
ويستفاد من الآية بيان رحمتِه بعباده؛ لأن في هذا الإيلاج مـن المصـالح والمنافع ما لا يحصل مع عدمه، وقـد ضـربنا لكـم مثلًا فيمـا سـبق فـي من؟
الطلاب: اللي على خط الاستواء.
الشيخ: أي نعم، الذين على خط الاستواء الـذين لا يزيـد عنـدهم النهـار والليل ماذا يكون عنـدهم مـن الأمـراض والفتـور فـي الأجسـام وعـدم النشاط.
ومن فوائدها أيضًا نعمـة اللـه عـز وجـل بتسـخيره الشـمس والقمـر .. لعباده ((**وسخر الشمس والقمر**)).
ومنها أيضًا بيان هذه الآية العظيمـة بـل هـاتين الآيـتين العظيمـتين مـن آياته وهما الشمس والقمر، والليـل أيضًـا والنهـار قـال اللـه تعـالى: ((**ومن آياته الليل والنهار والشـمس والقمـر**))، وظهـور الآيـات فيهما واضح لما فيهما من تمام الحكمة والقدرة والرحمة.
ومن فوائد الآية الكريمة أن الشمس والقمر يجريان أي يسيران ففيهـا رد علـى أربـاب الهيئـة الجديـدة الـذين يـدعون أن الشـمس والقمـر لا يجريان على الأرض ولا يدوران عليهـا ونحـن قلنـا: إنـه يجـب علينـا أن نتمسك بهذا الظاهر ما لم نجد دليلًا يقينيًّا يدل على أن هذا الظاهر غير مراد وحينئذٍ لنا مساغ في مخالفة هذا الظاهر.
ومن فوائد الآية الكريمة أن كل شـيء مضـبوط ومحكـم ومُقَـدَّر لأجـل محدود لا يزيد عليه ولا يتأخر لقـوله: ((**لأجل مسَـمًّى**)) طيـب هـذا الأجل .. تسير عليه الشمس والقمر هل، يقول المؤلف إنه يوم القيامة ويمكن أنه نجعله أعم فنقول: يسيرَان إلى أجَلٍ مسمى حتى في الفلَك فمثلًا الشمس تنزِل على مدار الجدي في أيام الشـتاء، ثـم تتنقـل منـه شيئًا فشيئًا إلى أن تصل إلى مدار السـرطان لا يمكـن أن تتجـاوز هـذا ولا هذا؛ لأنها تسير إلى أجل معين كل يوم محدَّد مكان الطلـوع وزمـان الطلوع، وهذا لا شك أنه سيرٌ إلى أجل مسمى نعم.
ومن فوائد الآية الكريمة أيضًا أنَّ فاعل هذه الأشياء هو اللـه لقـوله: ((**ذلكم الله ربكم**))، ولا يستطيع أحد أن يفعل ذلك ففيه إبطالٌ لقـول أهل الطبيعة الذين يقولون: إن اختلاف الليل والنهار والشمس والقمـر

كان بمقتضى الطبيعة طبيعة الأفلاك
فيُـرَدُّ عليهـم بقـوله تعـالى: ((**ذلكـم**)) أي الفاعـل لهـذا ((**اللـه ربكم**)).
ومن فوائدها أيضًا عموم مُلْكِ الله لكُلِّ شيء؛ لقـوله: ((**الملـك**)) و(**الـ**)(هنا للعموم، وضابط **الـ** التي للعموم أن يحِـلَّ محَلَّهـا **كـل** فـإذا صح أن يحل محلها **كل** فهي للعموم، ((**إنَّ الإنسان لفي خسـر**)) اجعل بدلَها
الطالب: إن كل إنسان لفي خسر
الشيخ: إن كل إنسان لفي خسر ((**خلق الإنسان ضـعيفًا**)) اجعـل بدلها (كل) خُلِقَ كل الإنسان ضعيفًا، فإذا كانت (الـ) يحل محلهـا (كـل) فهي للعموم، وهنا ((**له الملك**)) هـل يصـح أن يحـل محلهـا (كـل)؟ نعم، نقول: له كُلّ ملك.
ومن فوائدها أيضًا اختصاص الله تعالى بالملك؛ لقوله: ((**له الملك**)) حيث قدَّم الخبر وحقُّه التأخير، وقد ذكرنا في أثناء التفسير الجمـعَ بيـن هذه الآية وبين إثبات الملك لغيـرِ اللـه وبيَّنَّـا أنـه لا تعـارضَ بينهمـا؛ لأنَّ الملك الذي لله له شأن والملك الذي للآدميين له شأن آخر.
ومن فوائـد الآيـة الكريمـة أن مـا يُـدعَى مـن دون اللـه لا يجلـب خيـرًا لداعيه بأي وجهٍ من الوجوه؛ لأنَّ اللـه نفـى عنـه كـل طريـق يمكِـن أن يصِل به الخير أو يندَفِعَ به الضرر قـال: ((**لا يسمعوا دعـاءكم ولـو سمعوا ما استجابوا لكـم**)) هـذا فـي انتفـاء الخيـر وعـدم إزالـة الضَّرَر والشَّرّ، زِد على ذلك أنَّه يوم القيامة يكفُرُون بشرك هؤلاء وهـذا ضرر أعظم.
ومن فوائد الآية الكريمة النـداء الواضـح علـى سَـفَهِ هـؤلاء المشـركين وجهُه أنَّهم يدْعُون مَن لا يصلُح دعاءه، يدعون ما لو سمع دعائهم علـى الفرض والتقدير لن يستجِيبَ له قال الله تعالى: ((**ومن أضل ممـن يدعو مـن دون اللـه مـن لا يسـتجيب لـه إلـى يـوم القيامـة وهم .. غافلون**)) ((**مَن أضل**)) يعني لا أحد أضل، وقال تعـالى: ((**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَن سـفِهَ نفسـه**)) ومـا ملـة إبراهيم؟ استمع إليهـا ((**ثم أوحينـا إليـك أن اتبـع ملـة إبراهيـم حنيفًا وما كان من المشركين**)) هذه ملة إبراهيم: التوحيد وعـدم الشرك، هؤلاء سُفَهاء يدْعُون ما لا يستجِيب ولا ينفَع بل يضُرّ طيب.
ومن فوائِد الآية الكريمة أنَّ مَن تعلَّق بغَير الله خَابَ أملُـه كيـف ذلـك؟

لأنَّ هذه الأصنام لا تنفعهم في الدنيا، ولا تنفعهم يـوم القيامـة إذًا خـاب أملهم ولَّا لا؟ خاب أملُهم، هم يقولون: إننـا نعبـدهم ليقربونـا إلـى اللـه زلفى ولكن ما قرَّبُوهم .. ما زادتهم إلا بعـدًا فـأملهم قـد خـاب والعيـاذ بالله وخسروا الدنيا والآخرة.

طيب، قوله: ((**ويوم القيامة يكفرون بشـرككم**)) مـا نـوع هـذا الكفر؟ التَّبَرُّؤ فيستفاد منه أنَّ هذه الأصنام المعبودة تتبرَّأ مـن عابـديها يوم القيامة، نعم، بل إنَّ الله عز وجل يجمع الأصنام وعابـديها ويلقِيهـم في جهنم ((**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنـم أنتـم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهة مـا وردوهـا**)) ولكنهـا ليسـت آلهة ما تنفع، طيب فإن قلت: قد يُبتَلى داعي هـذه الأصـنام فَتَسْـتَجِيبُ لـه ظـاهرًا بمعنـى أن يـدعُوَ الصـنم أن يشـفيَه مـن المـرض الفلانـي فيُشفَى، أو أن يجلِـب لـه الخيـر الفلانـي فيجلبـه، فمـا هـو الجـواب يـا حسين؟

الطالب: أن هذه قد حصلت عند دعاء الصنم ..

الشيخ: يعني الدعاء ما أفاد لكن الله عز وجـل جعـل هـذا الشـيء يقـع عند دعاءِه امتحانًا، امتحانًا لهؤلاء العابدين.

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة إثبـات البعـث؛ لقـوله: ((**ويومَ القيامـة يكفرون بشرككم**)).

ومنها إثبات ربوبية الله سبحانه وتعالى ((**ذلكم الله ربكم**)).

ومنها أيضًا إثبات عِلم الله وإحاطتِه بكـل شـيء؛ لقـوله: ((**ولا ينبئك مثل خبير**))، هل نأخذ منها الرد على الجبرية؟ نعم من قــوله: ((**إن تـدعوهم ...**)) نعـم، طيـب وهـل نأخـذ منهـا أنَّ هـذه الأصـنام مـن العقلاء؟

الطالب: لا.

الشيخ: لكن ذُكِرَت على سـبيل التَّنَـزُّل وعلـى ذكرِهـا بأكمـلِ أوصـافها عندهم وهو العقل.

ثم قال الله تعالى: ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**)) في كل حال ((**والله هو الغني**)) عن خلقه ((**الحميد**)) المحمود فـي صُنْعِه بهم " ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**)) هذا النداء عام للمؤمن والكافر والبَرّ والفـاجر والصـغير والكـبير والـذكر والأنـثى، الناس عمومًا، وصدَّر الله هذا الحكـم بهـذا الخطـاب الـذي هـو النـداء؛ لأجل التنبيه وبيان الاهتمام به، وفي الحقيقة أنه قد يقال: كلُّ أحد يعلم

أنه فقير إلى الله لكن هل نحن عملنا بمقتضى هذا العلم؟ لا ((**كلا إِنَّ الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى**)) فقرَّر الله تعالى هذه الحال الثابتة التي لا ينفَكُّ عنها إنسان وهي الفقر إلى الله مِن أجل أن يعمل بمقتضى هذه الحال فيرجع إلى الله عز وجل ولا يسأل إلا الله، ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء**)) الجملة هذه جملة اسمية مفيدة الحصر؛ لأنَّ طرفيها ايش؟ معرفتان ((**أنتم**)) هذا ضمير معرفة، ((**الفقراء**)) محلَّى بـ((**الـ**)) فهو معرفة، طيب، ((**أنتم الفقراء**)) طيب وغير الناس؟ أغنياء عن الله ولّا لا؟

الطلاب: لا.

الشيخ: لا، لكن لَمَّا كان الإنسان هو الذي قد يرَى نفسَه مستغنيًا عن الله حصَر الفَقْر فيه كأنه يقول: إن لم يكن أحدٌ فقيرًا إلى الله فأنتم فقراء ولا بد، وإذا كان الإنسان العاقل المدبر لنفسه فقيرًا إلى الله فما بالُك بالبهيمة أليست أشد فقرًا؟ بلى هي أشد فقرًا إلى الله عز وجل من الإنسان، لكنه خاطب الإنسان بذلك؛ لأنه هو الذي يرى أنه قد استغنى عن الله وأنه غني عن الله، بل بعضُ بني آدم عكَس القضية قال: ((**إنَّ الله فقير ونحن أغنياء**)) والعياذ بالله فعكَس القضية والواقع الذي تشهد به الفطرة.

قال: ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**)) **((إلى))** هذه للغاية أي أنَّ فقركم منْتَهٍ إلى الله عز وجل لا يسُدُّ عوزَكم إلا الله، ثم قال: ((**والله هو الغني**)) أي ضد الفقر والغنِيُّ أي المستغْنِي عن غيرِه كما قال الله تعالى في سورة التغابن ((**فكفَرُوا وتولوا واستغنى الله**)) فالله عز وجل ذُو الغِنَى الواسع ومع ذلك فإنَّ غناه مقرُونٌ بحمدِه ولهذا قال: ((**الغنِيُّ الحميد**)) فهو غنِيٌّ يُحمَد على غِناه؛ لأنه يجودُ به على غيرِه، لكن بنو آدم قد يكون الإنسان منهم غنِيًّا ولكن ليس حميدًا، فإذا كان غنيًّا وتسلَّط بغناه على غيره وفَخَر به على الناس ولم يقُمْ بما يجب عليه صار غنِيًّا: حميدًا ولّا لا؟ غير حميد، لكن الله عز وجل غنِيٌّ حميد، وكلمة حميد يصِحُّ أن تكون بمعنى اسم الفاعل ويصح أن تكون بمعنى اسم المفعول: اسم الفاعل لأنه سبحانه وتعالى حامِد، يحمَد من عباده كل مَن يستحِقّ الحمد منهم ولهذا يثْنِي على رسلِه وأنبيائه وعباده الصالحين والثناء عليهم هو الحمد، وهو أيضًا محمود على أمرَين: على ما له مِن كمال الصفات، وعلى ما له من كمال الإنعام، فهو محمود لكمال الصفات ومحمود لكمال إنعامه، وهنا

نقول: الحميد محمود لكمال غِناه وكمال جُودِه بهذا الغنى ولّا لا؟ لأنه ليس كل غني يكون محمودًا بالذي ما عنده مِن الغنى لكن الله عز وجل غنيٌّ حميد، وقوله: ((**والله هو الغني الحميد**)) هو مبتدأ، ايش؟

الطالب: ضمير فصل.

الشيخ: ضمير فصلٍ، وضمير الفصل له ثلاث فوائد يا ياسر! نعم له ثلاث فوائد

الطالب: الحصر والفائدة الثانية

الشيخ: وش معنى الحصر؟ اشرح لي هذي

الطالب: .... الله سبحانه وتعالى

الشيخ: ليس غيره، الله .. لا غير، كما نقول زيد هو الفاضل يعني لا غير، طيب هذا واحد. هذه فائدة الفائدة الثانية

الطالب: يفصل بين الخبر والصفة.

الشيخ: الفصل بين الخبر والصفة يعني التمييز بينهما، الثالث

الطالب: التوكيد.

الشيخ: التوكيد، إذا قلت: زيد هو القائم فهو أوكد من قولك زيدٌ قائم، ... فالفائدة إذًا فوائده ثلاث، ((**والله هو الغني الحميد**)).

ثم قال: ((**إن يشَأْ يذهبكم**)) جملة شرطية فعل الشَّرْط ((**يشأ يذهِبْكم**)) جواب الشرط ((**يذهبكم**)) يعني بالإذهاب ((**ويأْتِ بخلق جديد**)) يأتِ غريب أن تكون مكسورة وهي فعل مضارع؟

الطالب: مجزومة.

الشيخ: مجزومة بحذف .. يأتي لكن حُذِفَت الياء؛ لأنها معطوفة على مجزُوم يذهِبْكم، وقوله: ((**يأتِ بخلق جديد**)) بدلَكم " بخَلْق أي بمخلُوق أي بمخلوق بدليل قولِه: ((**ويأت**)) أي بمخلوقٍ جديد فهذا مصدَرٌ أريد به اسم المفعول أي بمخلوق كقوله عليه الصلاة والسلام: (**من عمل عملًا ليس علينا أمرنا فهو رد**)، وكقوله تعالى: ((**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**)) خلْق أي مخلوق، وقد يراد بالخلق المصدر كما في قوله: ((**ألا له الخلق والأمْر تبارك الله رب العالمين**)) لكن هنا المراد به اسم المفعول، قال تعالى: ((**ويأت بخلق جديد**)) أي بمخلوقٍ جديد غيركم، طيب كيف يذهبنا ويأت بخلق جديد؟ إذا أهلكنا من أين يأتي الخلق الجديد؟ يُخلَق قبل الإذهاب ولّا وش؟ طيب الآن قدَّرنا أنَّ ..

ذهب من أين يجي اللي بعـده؟ اللـه قـادر علـى أن يـأتي بخلـق جديـد مستقل هذا واضح، ثم هـو أيضًـا يمكـن أن يـذهب الموجـودين بعـد أن يأتي خلفُهم منهم، ولّا يكون نشـء الصـغار يعتبَـرُ خلقًـا جديـدًا بالنسـبة للكبار الذين هلكوا، وهذا كما قيل فـي بنـي إسـرائيل لَمَّـا امتنعـوا عـن دخول الأرض المقدسة وقالوا إنَّ فيهـا قومًـا جبـارين ابتلاهـم اللـه عـز وجل وقال: ((**إنها محرمـة عليهـم أربعيـن سـنة يـتيهون فـي الأرض**)) فضاعوا مـا بيـن مصـر والشـام مسـيرة شـهر جلسُـوا فيـه أربعين سنة ما اهتدوا إلى الطريق تائهين، قال بعـض العلمـاء ولاسـيما المعاصرين منهم: لأجل أن يفنَى ذلك الجيل المتغطرس الـذَّليل ويـأتي جيل ناشئ في الصحراء قويٌّ يريد أن يدخُل البلاد المقدسة؛ لأنه ناشئ في الصحراء يريد .. فعنده قوة وإرادة تـؤهله إلـى دخـول تلـك الأرض، لأن الجيل الأول المتغطرس المعاند فَنِي في هـذه .. هكـذا قـال بعـض العلماء ولا سيما المعاصرين منهم قالوا: إن الحكمة في أن الله تعـالى ضربهم بهذا التيه لأجل أن يفنَوا الكبار ويستجِد الصغار فالله أعلم، إنما الله عز وجل قادر على أن يمحو الناس ويذهبهم ويأت بخلق جديـد إمـا خلق مستقل أو من ذرية هؤلاء أو يفني من في هـذا الخلـق مثلًا يفنـي من فـي هـذا الأرض ويـأتي آخـرون يحتلـون الأرض ولّا لا؟ .. لهـا ثلاثـة وجوه الآن إما خلق جديد ومستَقل، وإما ذرية القوم الذين ذهبـوا، وإمـا قوم آخرون يأتون من بلاد أخرى ويحلُّون محل هؤلاء الذين ذهبوا، كمـا قال تعالى: ((**وإن تتولوا يستبدِلْ قومًـا غيركـم ثـم لا يكونـوا أمثالكم**)).

قوله: ((**ما ذلك**)) هـذه ((**مـا**)) حجازيـة لتمـام شـروط عملهـا؛ لأن اسمها (ذا) وخبرها (عزيز) لكـن دخـل علـى خبرهـا البـاء الزائـدة فـي الإعراب، ((**وما ذلك**)) أي إذهابُكم والإتيان -يا عبد الله- بخلق جديـد ((**وما ذلك على الله بعزيز**)) ((**على الله**)) جار ومجـرور متعلـق بعزيـز مقـدم عليـه، وقـوله: ((**بعزيـز**)) قـال المؤلـف: " شـديد " والصواب عزيز بمعنى ممتنع؛ لأن عزَّ تأتي بمعنى امتنع كما مَر عليكـم وتأتي بمعنى غلب وتأتي بمعنى قهر ... هنا تأتي بمعنـى العـزة والقهـر طيب هنا ((**بعزيز**)) أي بممتنع والمؤلف رحمه الله قال: بشـديد؛ لأن الشديد في حد ذاته ممتنع؛ لقوته وصلابته، إذا لم يكن عزيزًا على اللـه فهو سهل وعليه فنقـول: إنّ هـذه الصـفة مـن الصـفات السـلبية الـتي نَصْفُ الله تعالى بها مع إثبات كمال ضدها فنقول: ((**وما ذلـك علـى**

الله بعزيز)) لكمال سهولَتِه عليه فهو أمر هيِّن عليه سبحانه وتعالى أن يذهب هؤلاء ويأتي بغيرهم قال الله تبارك وتعالى: ((**وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**)).

ثم قال الله عز وجل مبينًا

الطالب: الفوائد

الشيخ: طيب الفوائد ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**)) ...

الطالب: ... أحسن. تقف في وسط آية .... قد تقف في الوسط وسط آية ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى**)) قد تقف في وسط الآية وإذا جاء الدرس القادم شرحت فوائد السابقة وتكون الآية هذي نصفين نقف في وسطها ثم نأتي بالفوائد ..

الشيخ: جميل هذا، .....

الطالب: أقول إذا خلى صفحات للفوائد وصفحات للشرح أحسن ....

الشيخ: والله أنا رأيي ... ثلاث آيات أربع آيات وشرحهن وبعدين خذ ما يستفاد من هذه الآيات، ممكن؟ اكتب كل الشرح ... ما يستفاد من هذه الآيات ... وينحل الإشكال.

قال الله تعالى: ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى**)) لَمَّا بيَّن سبحانه وتعالى ما يؤول إليه أمر هؤلاء الكفار وهدَّد من خرج عن طاعته بأنه قادر على أن يذهبهم ويأت بخلق جديد ذكَر براءة غير الوازرين من الوازرين يعني أن شرك هؤلاء المشركين لا يؤثر على أولئك المؤمنين الموَحِّدين قال: ((**ولا تزر**)) قال المؤلف: " نفس ((**وازرة**)) آثمة " ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى**)) ((**وازرة**)) أفادنا المؤلف بتقدير نفس أن وازرة صفة لموصوف محذوف تقديره نفْس وقوله: ((**وازرة**)) أي آثمة وهل المراد آثمة بالفعل أو أنها من ذوات الوِزْر والإثم، وهو المكَلَّف البالغ العاقل يعني أنَّ من يكون أهلًا لأن يَأْثَم إذا فعل لا يتحمَّل إثم غيره ويكون الفائدة من ذكر الوازرة أنَّ الصغير مثلًا لا يتحمل إثمًا لا له ولا لغيرِه بخلاف الكبير الذي يتحَمَّل الإثم فهل يتحمل إثْمَ غيره؟ يقول الله عز وجل: ((**ولا تزر وازرة**)) قال المؤلف: " آثمة أي لا تحمِل " ..كلمة ((**تزر**)) فسرها المؤلف بقوله: " أي لا تحمل " وهذا تفسير بالمراد لا بالمعنى المطابق للفظ؛ لأن المعني المطابق للفظ في ((**تزر**)) أي تأثم؛ إذْ أن الوزر هو الإثم ولكن مر علينا كثيرا أنّ تفسير القرآن قد يراد به التفسير المطابق

للفظ، وقد يراد بـه التفسـير بـالمعنى المـراد لا المطـابق للفـظ، أي لا تحمِـل وزر نفـس أخـرى، أفادنـا أيضًـا بقـوله: " وِزْرَ نفـس " صـفة لموصوف محذوف تقديرُه نفس أي أنَّ زيدًا لا يحمِل إثم عمرِو وهندًا لا تحمل وِزْر فاطمة مثلًا، واضح؟ كلٌّ يحمل وزره، قال الله تعـالى -مبينًـا ذلك في جملة تعتبر قاعدة-: ((**كلُّ نفسٍ بما كسـبَت رهينـة**)) ((**كل امرئ بما كسب رهين**)) أما مَن لَم يكسب شيئًا فليـس عليـه من إثـم الآخريـن شـيئًا، ولا يعـارِض هـذا قـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: (**مَن سَنّ في الإسلام سنة سيئة فعليـه وزرهـا ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**) لأن سنّه إياه يعتبر وزرًا؛ لأنـه هـو الذي شقّ الطريق له ومهد السـبل فلهـذا كـان عليـه وزرهـا ووِزر مَـن عمل بها إلى يوم القيامة، فالآية هنا لا تنافي الحديث.

قال: ((**وإن تدْعُ مثقلةٌ إلى حملها لا يُحمَل منـه شـيءٌ**)) " ((**إن تدع**)) نفـس ((**مثقلـة**)) بـالوزر ((**إلـى حملِهـا**)) منـه أحـدًا ليحمل بعضه ((**لا يُحمَل منه شيء**)) ... ((**مثقلة**)) بماذا؟ بالأوزار ((**إلى حملها**)) لِيُحمل عنها بعضُه ((**لا يُحمَل منه شـيء**)) وجملـة ((**لا يُحمَل منه ..**)) جواب الشرط، الشرط قـوله: ((**إن تدع**)) وهـو مجزومٌ بحذف الواو والضمة قبله دليل عليـه، و((**لا يحمـل**)) هـذا هـو جواب الشرط و((**شيءٌ**)) نائب فاعل يعني أنَّه كما أن الغيـر لا يَحْمِـل على الغير وزرَه فإنه حـتى وإن دُعِـي واسـتُنجد ليحمِـل أو يخفـف عـن الوازر شيئًا لم يمكن ذلك، في الدنيا ربمـا يؤخـذ الإنسـانُ بتبِعـة غيـره، في الدنيا أيضًا إذا استغاث بك إنسانٌ قد حمل شيئًا ثقيلًا هل تنجـدُه ولّا لا؟ تنجدُه، لكن في الآخرة لو دعت نفس مثقلة إلى حملِها ليحمل أحـد منه شيئا فإنها لا تُجاب إلى ذلك ((**وإن تدع مثقلة إلـى حملهـا لا يحمَل من شيء**))، وقوله: ((**شيء**)) نكرة في سياق النفي فتَعُمّ القليل والكثير، وقوله: ((**مثقلة**)) هي أيضًا نكـرة فـي سـياق النفـي فتعُم أيّ مثقلة مهما كانت هذه المثقلة فإنها إذا دعت أحدًا مـن النـاس أن يحمِل عنها من أثقالها لا يحمَل منه شيء.

ثم قال: ((**ولو كـان ذا قربـى**)) " ((**ولـو كـان**)) المـدعُوُّ ((**ذا قربى**)) قرابة كالأب والابن " قوله: " ((**ولـو كـان**)) المـدعو " ألا يمكن أن نقول: ولو كان الداعي؟ يمكن لكن متلازمان؛ لأنَّ المـدعو إذا كان قريبًا من الداعي كان الداعي قريبًا له لكن أيُّهما أنسب مـن حيـث السياق ((**وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل من شـيء ولـو**

كان ذا قربى))؟
الطلاب: المدعو.
الشيخ: لكن هو إن تدع مثقلة .. هو الداعي، ((**وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى**)) نقول: المدعو أقرب؛ لأنه لو كان المراد الداعي لكان -والله أعلم- الأنسب أن نقول: ولو كانت ذا قربى لأنه قال: ((**إن تدع مثقلةٌ**)) ومعلوم أن ضمير المؤَنَّث ولو مجازًا يكون؟ أجيبوا! ضمير المؤَنَّث ولو كان مجازًا يكون
الطالب: مؤنّثًا
الشيخ: يكون مؤنّثًا، ولّا لا؟ قال ابن مالك:
وإنما تلزم فعلَ مضمَر *** متَّصِل أو مُفهِم ذات حِر
واضح؟ إذًا ((**وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كانت ذا قربى**)) صَح ولو كانت الداعية، لكن لما قال: ((**ولو كان ذا قربى**)) مذكر عُلِم أنَّ الفاعل غير الداعي ... وقوله: ((**قربى**)) أي قرابة ومنه قوله تعالى: ((**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى**)) أي القرابة، وقوله تعالى: ((**قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى**)) فالقربى هنا بمعنى القرابة، لو أن الأب استنجد بابنه يوم القيامة أن يحمِل عنه من أوزاره أجاب؟ لا ما يُجيب بل ((**يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه**)) ليش؟ ((**لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**))، طيب ((**ولو كان ذا قربى**)) قال .. المؤلف رحمه الله تعالى: " وعدم الحمل في الشقين حُكْم من الله " قوله: " عدم الحمل في الشقين " أين الشقان؟ قوله: ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى**)) أي لا تحمل ((**وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء**))، وإذا كان من الله فإنه لا يمكن أحدًا أن يحمِل عن أحدٍ شيئًا ولو رضي فلو أنّ أحدًا قال لشخص: آثامُك عليَّ. يمكن يكون هكذا؟ ما يصح؛ لأنَّ الذي لا يُحَمِّل هو الله فالحكم من الله عز وجل، لو أن أحد استنجَدَ بأحد أن يحمِل عنه ووافق على نجدته له ذلك ولّا لا؟
الطلاب: ليس له ذلك.
الشيخ: لا؛ لأن هذا حكمٌ من الله عز وجل، هذا الفعل في قوله: " وعدم الحمل في الشقين حكم من الله " أي فليس لأحدٍ أن يتجاوزَه يعني الحكم، ولهذا قال الله تعالى: ((**وقال الذين كفروا للذين**

آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم)) قال الله تعالى: ((**وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وإنهم لكاذبون**))، يعني يقولون ذلك ولكن هم ليسوا بصادقين في هذا التحمل ((**وإنهم لكاذبون**)) ثم قال: ((**وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم**)) لا بالتزامهم ولكن لأنهم هم الأسوة والقدوة فكانوا يحملون أثقالَهم وأثقال من أضلوهم.

قال الله تعالى: ((**إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب**)) ((**إنما تنذر**)) هذه الجملة فيها حصر طريقُه ((**إنما**)) والحصر يا حجاج ما هو؟

الطالب: حصر الشيء في الشيء.

الشيخ: ما معنى حصر الشيء في الشيء؟

الطالب: ((**إنما**)) أداة حصر.

الشيخ: .. ما معنى الحصر؟

الطالب: هو يعني أن يحصر

الشيخ: الشيء في الشيء. ما معنى حصر الشيء في الشيء؟ .. وكررت الأمر

الطالب: إثبات الحكم في الشيء..

الشيخ: إثبات الحكم في المذكور -وإن شئت فقل في المحصور فيه- ونفيه عما سواه، ((**إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب**)) كأن يقال: ما تنذر إلا الذين يخشون ربهم، و((**تنذر**)) من الإنذار وهو الإعلام المقرون بالتخويف، هذا الإنذار الإعلام المقرون بالتخويف، وإن شئت فقل: الإعلام المراد به التخويف، لأنه يقال ... يظهر من هيئة الكلام والسياق مثلًا أنه للتخويف، فمُنْذِر الجيش يقول: واصباحاه! بس فيعرف الناس أن هذا إنذار للجيش، إذًا الإنذار معناه الإعلام المرَاد به التخويف فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول الله له: ((**إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب**)) وقوله: ((**يخشون ربهم**)) الخشية هي الخوف النابع عن تعظيم المخوف والعِلم به قال الله تعالى: ((**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء**)) وقولنا: إنه الخوف النابع عن تعظيم المخوف ليشمل من كان خائفًا ولو كان هو قويًّا يعني معناه القوي قد يخاف منه آخرون فتكون هذه خشية، فإن خاف الضعيف من قوي فهو خوف ولهذا نقول: إن الخشية أعظَم من الخوف قال الله تعالى: ((**إنما يخشى الله من عباده العلماء**))،

وقـول ..: ((**الذين يخشون ربهـم**)) أي يخـافونه خوفًـا نابعًـا مـن تعظيمهم له مع علمهـم بـأنه مسـتحق للتعظيـم، وقـوله: ((**يخشَون ربهم بالغيب**)) الغيـب ضِـد الشـاهد والمعلـوم، أي: " يخـافونه ومـا رأوه " فأفادنـا المؤلـف بـالغيب أفادنـا أن قـوله (بـالغيب) حـالٌ مـن المفعول به أي يخشون ربهم حال كونِهم غائبًا عنهم لم يـروه، انتبهـوا! هذا أحد الوجهين في الآيـة، الـوجه الثـاني يخشـون ربهـم حـال كـونهم غائبين ... حال كونهم غائبين عن غيب فيكون الجار والمجرور حالًا مـن الفاعل؛ لأن مِن الناس مَن يُظهِر خشية الله أمام الناس لكنَّه إذا غـاب عن الناس لم يخْشَ الله هل يُمدَح هـذا علـى خشـيته؟ لا؛ لأنـه مرائـي لكن الذي يخشى ربَّه بالغيب هذا هو الذي يُمدَح فإن قلـت: هـل يمكـن أن تُحمَل الآية على المعنيين ويكون هؤلاء الذين مـدحهم اللـه يخشـون الله لأنهم ... يخشون الله في حال الغَيبة على الناس؟ فـالجواب: نعـم وهذا مِن بلاغة القرآن أن يُعبِّر بتعبيرٍ صالحٍ لمعنييـن لا يتنافيـان فهـؤلاء القوم يخشون الله تعالى وهم لم يروه ولكنهم يخشـونه كـأنهم يرونـه؛ لأنهـم يخشـونه فـي الغيـب والشـهادة، وقـد قـال النـبي عليـه الصـلاة والسلام: (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تـراه فـإنه يـراك**)، وقـوله: ((**إنمـا تنـذر الـذين يخشـون ربهـم بالغيب**)) لا ينافي أنه مُنذِرٌ لجميـع النـاس ((**إنَّا أرسـلناك بـالحق بشيرًا ونذيرًا**)) ((**إن أنت إلا نذير**)) وما أشبه ذلـك مـن الآيـات الدالة على عموم إنذارِه لماذا؟ لأنَّ المراد بالإنذار هنا الإنذار النـافع أي إنما يؤَثِّر إنذارُك للذين يخشَـوْن ربهـم بـالغيب أمـا مَـن لا يخشـى اللـه بالغيب فإنه وإن أُنذِر لا ينتفِع بالإنـذار ولهـذا قـال المؤلـف رحمـه اللـه مشيرًا إلى ذلك: " لأنهم المنتفعون بالإنذار " لأنهم أي الـذين يخشَـوْن ربهم بالغيب المنتفعون بالإنذار فلهذا خَصّ الإنذار بهـم، إذًا الحصـر هنـا -حصر الإنذار في الذين يخشون ربهم بالغيب- المراد به حصـر الانتفـاع به أو حصر نفعه إنما يكون لمـَن .. أما مَن لا يخشى الله فإن هـذا لا .. ((**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جـاءَتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**)) ...

قال الله تعـالى: ((**وما ذلك علـى اللـه بعزيـز**)) مـا معنـى هـذا، مُصَرَّف! ((**وما ذلك**)) المشار إليه ..

الطالب: ....

الشيخ: أحسنت، أي ممتنع، .. صح أي أنه سهل كامـل السـهولة قـوله:

((**وما ذلك على الله بعزيز**)) من أي الصفات يا فهد؟
الطالب: ..الصفات السلبية

يخشون فهي على صلة الموصول، وهنا قال: يخشون - وأقاموا الصلاة فعطف الماضي على المضارع؛ لأن الخشية مستمرة في الأعمال كلها إقامة الصلاة وغيرها، وقوله: ((**أقاموا الصلاة**)) قال المؤلف: " أداموها " والحقيقة أن إقامة الصلاة أعمُّ مما قال، ففي تفسيره قصور؛ لأن إقامة الصلاة تشمل إتمامَها وإكمالَها والمحافظة عليها والمداومة عليها، واستمع إلى قوله تعالى: ((**قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون**)) هذا من إقامة .. ثم قال: ((**والذين هم على صلواتهم يحافظون**)) هذا أيضًا من إقامتها يحافظ عليها ويحرص عليها، على واجباتها ومكملاتها وأوقاتها، وقال في سورة السائل: ((**الذين هم على صلاتهم دائمون**)) وفي آخرها قال: ((**والذين هم على صلاتهم يحافظون**)) فإقامة الصلاة يشمل كل ما فيه إكمالها وإتمامها وإدامتها، فهو أعم مما قال المؤلف، وقوله: ((**الصلاة**)) يشمل الفرض والنفل؛ لأن)(**الـ**)(تفيد العموم أي أقاموا كل صلاة، والصلاة معروفة هي في اللغة الدعاء، وفي الشرع التعبُّد لله سبحانه وتعالى بأقوال وأفعال معلُومة مفتَتَحة بالتكبير مختَتَمة بالتسليم، قال: ((**ومَن تزَكَّى فإنما يتزكى لنفسه**)) الجملة هذه شرطية وفعل الشرط فيها تزَكَّى وجوابُه ((**فإنما يتزكى لنفسه** ...)) وقال:)(**ومن تزكى**)(قال المؤلف: " تطهر من الشرك وغيره " تزكى أي: تطهر من الشرك وغيره؛ لأن الزكاة تفيد معنى الطُّهْر والمراد بالتزكي هنا هو ما دل عليه قوله تعالى: ((**قد أفلح من تزكى**)) وقوله: ((**قد أفلح من زكاها**)) أي مَن زكَّى نفسه أي طهَّرَها من الشرك، وقول المؤلف: " وغيره " كإرادة السوء مثلا والمعاصي وإرادة المساوئ للخلق وغير هذا مما يجب على الإنسان أن يطَهِّر نفسَه منه تطهيرًا عامًّا، هل يدخل في ذلك أداء الزكاة؟ نعم يدخل في ذلك؛ لأن أداء الزكاة تطَهُّر من البخل ومن .. فهي داخلة في قوله: ((**ومن تزكى**))، وقوله عز وجل: ((**فإنما يتزكى لنفسه**)) والمراد بهذا الحثّ على التزكي لأنك إذا تزَكَّيت فإنما تنفع نفسك؛ لأن ومن لم يتزكى فضررُه على نفسه، فأنت إذا تزكيت فالذي ينتفِع بتزكيك أنت نفسُك، فالله عز وجل لا ينتفع بطاعتك، أما غير الله فقد ينتفع بطاعتك لا لِأَن حسناتِك له، ولكن قد ينتفع بطاعتك بالقدوة بك وبما يحصُل مِن علم أو غير ذلك مما هو داخل في التزكية، وقوله: ((**فإنما يتزَكَّى لنفسه**)) أي فعليه أن

يحرص على التزكي ((**وإلى الله المصيرُ**)) المصير بمعنى المرجِـع كما قال المؤلـف والجـار والمجـرور متعلـق بمحـذوف خـبر مقـدّم، و(**المصير**)(مبتدأ مؤخر، وهذه الجملة تفيد الحصر؛ لأنه قُدِّم فيها الخبر وحقُّه التأخير يعني: إلى الله وحـده المصـير أي المرجـع، هـل هـو فـي الدنيا أو في الدنيا والآخرة؟ في الدنيا والآخرة، إلـى اللـه المصـير فـي الدنيا والآخرة، فمرجع الأمور كلها إلى اللـه عـز وجـل لا فـي الـدنيا ولا فـي الآخـرة، الأحكـام الشـرعية مرجِعُهـا إلـى مـن؟ إلـى اللـه ((**وما اختلفتم فيه من شـيء فحكمُـه إلـى اللـه**))، الأحكـام الكونيـة مرجعُها إلى الله ((**ولكن الله يفعل ما يريـد**))، الأحكـام الجزائيـة اللي تكون يوم القيامة مرجعها إلى الله، فمصـير كـل شـيء إلـى مَـن أبدع وأحدث كلَّ شيء فالذي أبدع الأمور وأحدثَها هو اللـه، إذًا مرجعهـا إلى الله، فمنه المبتدا وإليه المنتهى، قال المؤلف -تفريعًا علـى قـوله: ((**وإلى اللـه المصـيرُ**))-: " فيجـزي بالعمـل فـي الآخـرة " وهـذا إشارة من المؤلـف إلـى أنَّـه قصَـر المصـير هنـا للمرجـع يـوم القيامـة والصواب العموم، وعلى هذا فالله سبحانه وتعالى يجازي ويحكم قــدرًا ويحكم شرعًا بين عباده والفوائد الآن من

الطالب: ((**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**))

الشيخ: قال الله عز وجـل: ((**يا أيها النـاس أنتـم الفقـراء إلـى الله والله هو الغني الحميد**)) في هذه الآية فوائد كثيرة منهـا: أن جميع الخلق مفتَقِرُون إلى الله عز وجل مهما بلغوا فـي الغنـى والقـوة فإنهم مفتَقِرُون إلى الله لقوله: ((**يا أيها الناس**)) وهذا لفْظٌ عام لا يخرج منه شيء.

ومنها بيانُ شدة حاجة الناس إلى الله لقوله: ((**أنتم الفقـراء**)) ب(**الـ**)( )(**الفقراء**)(لو قال: فقراء لكان أهون لكن الفقراء معنـاه فـي جميع أحوالنا كلها مفتقرون إلى ربنا سبحانه وتعالى.

ومنها من فوائد الآية بيان غِنَى الله عن كل أحد؛ لقـوله: ((**والله هـو الغني**)).

ومنها أنَّ لله الغنى مطلق مـن جميـع الوجـوه يسـتفاد هـذا مـن قـوله: ((**الغني**)))(**الـ**)(الدالة على العموم والاستيعاب، فـإن قلـت: كيـف تقول: إن الغنى لله وحده هو الغني لأن ضمير الفصل يدل على الحصر ولعلنا ناخذ هذه الفائدة أوَّلًا.

ومن فوائدها أنَّ الغنـي الكامـل المطلـق خـاص بـالله سـبحانه وتعـالى

بدليل قوله: ((**هو الغني**))، فإن قلت: كيف تجمع بين هذا وبين ثبوت الغنى لغير الله في الكتاب وفي السنة قال الله تعالى: ((**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**)) وقال النبي عليه الصلاة والسلام (**تؤخذ من أغنياءهم وترد على فقراءهم**) فثبت بالكتاب والسنة أن البشر فيهم الغني، كيف ...؟ الجواب أنَّ غنى البشر غنًى محدود نسبي قاصر قابل للزوال كما أنه كان حادثًا، أما غنى الله فهو غنًى مطلق كامل أزلي أبدي، ... في الملك والخلْق والتَّدبير وما أشبه ذلك.

ومن فوائد الآية الكريمة ... الفقراء والغني فيها نوع كمال لله سبحانه وتعالى يتبيَّن به نقص البشر تجاه كمال الله، ونظيرُه قوله تعالى: ((**كُلُّ مَن عليها فانٍ**)) ثم قال: ((**ويبقى وجه ربك ذو الجلال**)) ((**كل شيء هالك إلا وجهه**)) فإنَّ وصفَ المخلوق بالنقص ثم إثبات الكمال لله هذا فيه دليل على كمال الله عز وجل وأن كماله واضح جدًّا لأنك إذا ذكرت عيبَ الآخر تبيَّن لك كمال مقابله.

ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ غنى الله سبحانه وتعالى مقرون بالحَمْد؛ لقوله ((**هو الغني الحميد**)) بخلاف غنى البشر فإنه قد لا يكون محمودًا، كيف لا يكون محمودًا؟ .. إما بالبخل وإما بكونه يأتي بدون استحقاق كالسُّرَّاق واللصوص قد يكون .. أغنياء لكن اكتسبوه على غير وجهه المباح، أما غنى الله فهو غنًى كامل يُحمَد عليه، طيب إذًا يُحمَد من جهة الغنى ومن جهة الكرم بما هو غني فيه.

ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسمين من أسماء الله وهما الغني والحميد، الغني يدل على صفة ما هي

الطلاب: الغِنَى.

الشيخ: والحميد يدل على صفة.

الطلاب: الحمد.

الشيخ: وهي الحمد، ومجموعهما يدل على صفة ثالثة وهو كمال الغنى... أنه قد يكون قد ينشأ من الجمع بين اسمين أو وصفين صفة ثالثة تحصُل باقترانهما ومثَّلَنا هناك بالعزيز والحكيم ... لأنه يحصل باجتماعهما وصف أكمل، طيب.

ثم قال عز وجل: ((**إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد**)) يستفاد من هذه الآية الكريمة تمام قدرة الله عز وجل حيث بيَّن أنه قادِر على أن يُذْهِبَنا ثم يأتي بخلق جديد.

ومن فوائدها إثبات المشيئة لله ((**إن يشأ**)).
ومن فوائدها التحذير من مخالفته تعالى ... بهذا التهديد التحذير من مخالفته
ومن فوائدها أيضًا أن الخلق حادِث ليس أزليًّا؛ لقوله: ((**إن يشأ يذهبكم**)) هذي .. ((**ويأت بخلق جديد**)) فيه أيضًا دلالة، طيب أما الأُولى فوجه الدلالة أن من قابلًا لعدم فهو قابل بالحدوث، وأما الثانية فهي قوله: ((**بخلق جديد**)) هل نستفيد منها ثبوت حدوث أفعال الله باعتبار المفعولات؟
الطلاب: نعم.
الشيخ: نعم، لأن كل مخلوق كائِنٌ بالخلق فإذا كان المخلوق جديدًا لزم أن يكون الخلق أيضًا جديدًا، فمثلًا خلْقُ الله للجنين في بطْنِ أمه حادث ولّا لا؟
الطلاب: حادث.
الشيخ: حادث، ضرورة أن المخلوق حادث، أما جنس فِعْل الله فهو أزلي، يعني الله تعالى لم يزَلْ فعالًا فهناك فرق بين وصْف الله تعالى بالفِعل على الإطلاق وبين وصف الله بالفعل مقرونًا بالمفعول، فالفعل المقرون بالمفعول لا شك أنّه حادث، والفعل المطلق أن الله لم يزل فعالًا لما يريد هذا أزلي، طيب هل نستفيد من ذلك جواز تهديد الإنسان بالأشياء المحسوسة ليستقيم على أمر الله؟ نعم لأن هذا تهديد من الله عز وجل لنستقيم على أمره، إذًا نقول: إن العقوبات الحسية وإن حَمَلَت على الاستقامة فإنها محمودة؛ لأنها من فعل الله، ولهذا أوجب الله علينا أن نحُدَّ الزاني ونقطع السارق ولّا لا؟ علشان ايش؟ أن يرتدع لا يقول قائل: إنك إذا فعلت ذلك فإنك قد حملت الناس على أن يترُكوا الأمر لا لله، لأن بعض الناس يقول: كيف هذا، كيف تقع في .. معناه أن الإنسان ما .. الزنا أو السرقة إلا خوفًا من العقوبة معنى ذلك أنك تحمل الناس على أن يدعوا المحارم لا خوفًا من الله ولكن خوفًا من العقوبة، فنقول: إن هذا فيه إصلاح، ووسيلة الإصلاح ما عليه من نية الذي يحاوَل إصلاحُه، طيب هل يستفاد منها جواز إعطاء الجائزة تشجيعًا لِمَن عمل صالِحًا ولّا لا، يعني بمعنى القياس العكس
الطالب: ...
الشيخ: لا توافقوهم ((**ودُّوا لو تدهن فيدهنون**)) لا تداهنوا، هل يؤخذ من هذه الآية جواز إعطاء المكافئات لمن يعمل عملًا صالحًا من

باب قياس العكس؟
الطالب: ....
الشيخ: طيب.
الطالب: ... أي بس بعيدة
الشيخ: أي بس بعيدة أي خبر مقدم وبس مبتدأ مؤخر!
الطالب: أي بس بعيدة أنَّ اللـه سـبحانه وتعـالى إنمـا عـاقبهم لفعلهـم المعصية ... إذا فعلوا الطاعـة أن اللـه سـبحانه وتعـالى يجـازيهم علـى ذلك.
الشيخ: يثيبهم على ذلك ألم يمـر عليكـم (**من أحـب أن يبسـط لـه في رزقه .. فليصل رحمه**)؟
الطالب: .....
الشيخ: أي لكن فيه تشجيع على كل حال أنا أردت أنـه هـل يمكـن أن تؤخذ من هذه الآية ... المكافئة على العمل ثابتة في السـنة وفـي غيـر السنة أيضًا، الرسول قال: (**من قتل قتيلًا فله سلبُه**) في الجهـاد في سـبيل اللـه وسـلبه مـا عليـه مـن الثيـاب ونحوهـا، وهـذه مكافئـة، والعلماء قالوا: يجوز أن يجعَل لِمَن دلَّهم على حصن أو مـا أشـبه ذلـك من الأمور التي فيها مصلحة للمجاهدين يجوز أن يجعل لـه جعلًا، وأنتـم مر عليكم أن للإمام أن ينفِّل السرية ولّا لا؟ فـي الرجعـة وفـي ..، كـل هذي من باب المكافئة على فعل الخير هذا ثابت، لكن أنـا قصـدي هـل نأخذه من الآية؟ نقـول: يمكـن أن نأخـذ مـن الآيـة علـى سـبيل قيـاس العكس، فإن قلت: أثبت لنا قياس العكس؛ لأننـا فـي شـك مـن إثبـات القيـاس أولًا. نقـول عنـدنا إثبـات قيـاس العكـس قـال عليـه الصـلاة والسلام: (**وفي بضع أحدكم صدقة**) يعني أن الرجل إذا أتى أهلـه فذلك صدقة الصحابة قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحـدنا شـهوته ويكـون له فيها أجر؟ قال: (**أرأيتم لو وضـعها فـي الحـرام أكـان عليـه وزر**) قالوا: نعم قال: (**كذلك إذا وضـعها فـي الحلال كـان لـه أجر**) عرفتم؟ طيب.
وفي الآية أيضًا دليل على كمال القدرة لقوله: ((**وما ذلك على الله بعزيز**)).
وفيها صحة تقسيم أهل السـنة لصـفات اللـه إلـى ثبوتيـة وسـلبية وقـد ذكرت لكم أنَّ بعـض النـاس شَـكَّ فـي كلمـة سـلبية وقـال: ينبغـي أن نقول: ...

ثم قال تعالى: ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى**)) إلى آخره. يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الإنسان لا يحمل آثام غيره لقوله: ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى**)) وينبني على هذه الفائدة ثبوت كمال عدل الله عز وجل حيث لا يحمِّل أحدًا وزرَ أحد.

ومن فوائدها أيضًا أنه لا يقبل التحميل إلا من كان أهلًا له لقوله: ((**وازرة**)) لأنَّ غير الوازرة لا تحمِل إثم نفسها فضلًا عن إثم غيرها، لكن الوَازرة تحمل إثم نفسها لا تحمل إثم غيرها.

ومن فوائدها أيضًا منع الاتكالية على الغير؛ لأن الإنسان قد يعمل وسيهيئ الله لي أحدًا يدعو لي أو يستغفر لي أو ما أشبه ذلك فنقول: هذا لا تعتمد عليه، طيب فإن قال قائل: ما الجواب عن قوله تعالى: ((**وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم**))؟

الطالب: ((**وليحملن أثقالهم وأثقالا**)) ... لأنهم هم قدوة في إضلال غيرهم، فباقتداء غيرِهم بهم يحملون أثقالهم.

الشيخ: لأنَّ أثقال غيرهم الحقيقة ناشئة عن أثقالهم، فصار كأنهم الذين عملوا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرُها ووِزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة**).

من فوائد الآية الكريمة. نشوف قياس العكس إذا كانت النفس لا تحمل إثم غيرها فهل تُلزَم بالواجب على غيرها أو تقوم ... غيرها.

الطالب: لا.

الشيخ: يعني معناه كما أنَّ الإنسان لا يحمِل إثم غيره بالمعصية، لا يحمل إثم غيره بترك الواجب، فإذا ترك أبوك أو ابنك أو خالك أو عمك واجبًا فليس عليك إثمه، الإثم على نفس هذا الرجل. طيب ونخلي البقية إن شاء الله في الدرس القادم وأنا .. للإخوان اللي هنا عندنا خصوصًا في العمارة لأنهم قريبين ألا يتأخروا عن الدروس يعني واحد أمام المسجد ... نقول يأتي ما صحيح هذا، .. طالب علم، أنا لا أعتبر الإنسان الذي يأتي للعلم بمجرد أن يُمضِي الوقت فقط لا أعتبره طالب علم ...

الشيخ: لأنه يقول إنّ التي للتوكيد ... اقرأ علينا، أنَّ الغير لا يحمل وزر الغير وإن دعاه إلى ذلك لقوله: ((**وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء**)) بخلافه في الدنيا فإنه في الدنيا إذا دعاك أحد أن تعينه على ما حمل أو أن تحمله عنه أجبته لكن في الآخرة لا ((**إن**

تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء))، وحتى ولو كان أقرب الناس إليك فلهذا قال: ((**ولو كان ذا قربى**)).
ومن فوائدها أيضًا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ..؛ لقوله: ((**إنما تنذر**)).
وأنه - وهي فائدة جديدة - لا ينتفع بإنذاره إلا من يخشى اللهَ عز وجل لقوله: ((**إنما تنذر الذين يخشون ربهم**)) إلى آخره.
ومن فوائدها أيضًا أنَّ الخشية التي هي محل الثناء ما كانت خشية في الغيب لقوله: ((**يخشون ربهم بالغيب**)) لأنَّ الخشية في الظاهر قد يكون الحامل عليها مراعاة عباد الله، لكن إذا كانت في الغيب فإن هذا دليلٌ واضح على أن صاحبها مخلص في خشيته لله عز وجل.
ومن فوائدها أيضًا فضيلة الصلاة وأنها أي الصلاة سبب للانتفاع بإنذار النبي صلى الله عليه وسلم كالخشية لقوله: ((**وأقاموا الصلاة**)).
ومن فوائدها أيضًا أنَّ الرجل وإن شئت فقل: أنَّ الإنسان إذا تزكى فإن نفع تزكِّيهِ لنفسه ولا ينال اللهَ من ذلك شيء؛ لقوله: ((**ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه**)).
ويتفرَّع عن هذه الفائدة أن أوامر الله عز وجل ليس من أجل مصلحة ينالها ... ولكن من أجل رحمتنا ومصلحتنا نحن، قال الله تعالى: ((**إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى**)).
ومنها الحث على تزكية النفس؛ لقوله: ((**ومن تزكى فإنما يتزَكَّى لنفسه**)) وكلّ إنسان عاقل إذا علِم أنَّ مصلحة العمل تعُود إليه فإنَّه سوف يهْتَمُّ به ويقوم به، فإذا علِمْت أن تزَكِّيك لنفسك حرصت عليه غاية الحرص، والتزكي كما أشرنا إليه يشمل تزكية القلب بتطهيره من جميع الشرك والشك والضغائن والأحقاد والبغضاء وما أشبه ذلك، وتزكيةَ الأقوال من قول منكر بأن يكون الإنسان لا يقول إلا خيرًا لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**)، وتزكية الأفعال أيضًا من فعل الفواحش والأفعال السيئة وما إلى ذلك مما يجب على الإنسان أن يتطهر منه.
ومن فوائد الآية الكريمة أيضًا كمال هذا الدين الإسلامي حيث حثَّ على تزكية النفس ظاهرًا وباطنًا: ظاهرا بالأقوال والأفعال، وباطنًا في القلوب.
ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ مرجع الخلائق إلى الله في أحكامهم

الكونية والشرعية والجزائية، أما الأحكام الكونية فواضح أنَّ المرجع إلى الله؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يرد قضاء الله الكوني ولّا لا، وأما الشرعية فكذلك؛ فإن العباد مربوبون متعبَّدُون لله عز وجل فكان مقْتَضَى ذلك أن يتمشوا على أحكامه الشرعية، وأما الجزائية فالأمر ظاهر فإنه لا يجازى العاملين على عملِهم إلا الله سبحانه وتعالى.

ومن فوائد الآية الكريمة منْع الرجوع إلى غير الله فيما هو مختَصٌّ بالله لقوله: ((**وإلى الله المصير**))، ولا يجوز أن نرجع إلى النُّظم الوضعية التي مِن وَضْع البشر وعندنا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال الله عز وجل -في الدرس الجديد- ((**وما يستوي الأعمى والبصير**)) يعني لا يستويان في إدراك المبصَرَات ليس المعنى نفيَ التساوي مطلقًا؛ لأن الأعمى قد يفضُل البصير في أمور أخرى، لكن لا يستويان في إدراك المرئيات أو المبصرَات ... تطابق الآية ((**وما يستوي الأعمى والبصير**)) وهذا ظاهر، الأعمى إذا قام يمشي وأمامَه حفرة أو حَجَر وقع في الحفرة وعثَر بالحجر، والبصير بالعكس، فلا يستوي هذا وهذا، أيهما أكمل؟ البصير وهذا مثَل حِسِّي يجب أن ننتقل منه إلى المثل المعنوي، وأما قول المؤلف: " المؤمن والكافر " ففيه نظر يعني كأنه يريد أن يقول إن الأعمى هو الكافر والبصير هو المؤمن، ولكننا نقول: لا، الآية يراد بها نفي المساواة في الأمور الحسية الظاهرة التي لا ينكرها أحد؛ إذ أنَّ الكافر والزنديق والمعاند والمستكبر لا يمكن أن يدَّعِيَ تساوي الأعمى والبصير، لكن قد يدَّعِي تساوي المؤمن والكافر.

طيب قال: ((**ولا الظلمات ولا النور**)) قال: ")(**ولا الظلمات**)(الكفر)(**والنور**() الإيمان " وهذا أيضًا فيه نظر والظاهر أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد الظلمات الحسية والنور الحسِّي؛ لأن نفي الاستواء بين هذين أمر لا يمكن إنكاره لأنه مُدرَكٌ بالحس، الظلمات لا تستوي والنور ولكن لا شك أنَّ المراد بذلك ظلمات الكفر ونور الإيمان يعني أنها إشارة إلى هذا، ولذلك جمَعَ الظلمات وأفرد النور؛ لأن سُبُلَ الكفر كثيرة وأما الإيمان فسبيله واحد قال الله تعالى: ((**وأنَّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**)) وقال تعالى: ((**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**))، وإنما كان الكفر ظلماتٍ؛ لأنَّ فيه

الجهل بالله عز وجل وبما يجب له، وفيه أيضًا أن الإنسان يسير على غير هدى ويسير في اتجاهات متعددة مُنحرِفة، قلبُه متَشَعِّب في كل واد ولهذا تجد الكافرين أشدَّ الناس قلقًا وأبعدَهم عن الثبات على الخط المستقيم بخلاف المؤمن؛ المؤمن مؤمن على خط مستقيم وعارف أنه يريد الوصول إلى مَن؟ إلى الله فتجده يحَوِّل جميع الأفعال إلى طريق واحد وهو الوصول إلى الله حتى أنه إذا لبس ثوبه يشعر بأنه ينال بذلك مرضاة الله، إذا أكل أو شرب أو نام أو سافر أو سكت أو تكلم أو أحجم كل ذلك يرى أنه في سبيل الله في طريق إلى الله، لكن الكافر متشعب ولهذا كان منهجه ظلماتٍ لأنه متشعب ما هناك هدف واحد يسعى إليه؛ أهدافه كثيرة مغرور بالدنيا مغرور في رؤسائه مغرور في الناس لا يهتم إلا برضاهم نسأل الله السلامة والعافية، .. يرضى الله عز وجل، فلهذا كان مستحِقًّا أن تُجعَلَ طريق الكافر على سبيل الجمْع لتشَتُّتِها وتفرُّقِها، كذا يا غانم؟ أنت معنا اليوم ولّا في ..؟ ... ودّك تستريح؟ طيب ثالثًا قال: ((**ولا الظل ولا الحرور**)) قال المؤلف: " الجنة والنار " يعيني المراد بالظل عند المؤلف الجنة والمراد بالحرور النار، ولكن -كما قلت- الظاهر أن هذا مثلٌ حِسِّيٍّ لا يمكن إنكاره، لكن يُنتقَلُ منه إلى أمر معنوي، الظل والحرور لا يستويان أيُّهما أحسن؟

الطلاب: الظل.

الشيخ: ما في شك الظل، فالظل معروف .. الفيء الذي تقلصت عنه الشمس هذا هو، وإن شئت فقل: الظل هو المكان الذي ليس فيه أشعَّةٌ للشمس، وإنما نقول ذلك؛ لأن الجنة ما فيها شمس وقد قال الله تعالى فيها: ((**وظل ممدود**)) مع أنه ليس فيها شمس، وأما الحرور فالحَرُور على وزن فَعُول وهو الهواء الحار، وبعضهم يقول: إنه الهواء الحار في النهار، والسموم الهواء الحار في الليل، وبعضهم يقول: كلاهما بمعنًى واحد فالحرور والسموم هما الهواء الحار وهذا معروف يكون في أيام الصيف وإذا كان معه شمس ازداد شدة في الحرارة، طيب الآن عندنا الأعمى والبصير والظلمات والنور والظل والحرور، على كلام المؤلف نقول: هذه المنفيات الثلاثة أو هذا المثل .. المواضع الثلاثة الأول يعود إلى ذات المؤمن والكافر، والثاني يعود إلى عمل المؤمن والكافر، والثالث يعود إلى مستَقَرّ المؤمن والكافر ولّا لا، فالأول نفي للذوات والثاني نفي للأفعال والمنهج

والثالث للمستَقر والمأوى، ((**وما يستوى الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور**))
الرابع ((**وما يستوي الأحياء ولا الأموات**)) المؤمنون والكافرون " فعلى كلام المؤلف يكون في الآية تكرار لأنه فسر بالأول الأعمى والبصير بالمؤمن والكافر وهنا قال: ((**الأحياء ولا الأموات**)) المؤمنون والكافرون " ولو أردتُ أن أسلك مسلكه لقلت: ((**الأحياء**)) ذوو العلم ((**و-الأموات**)) ذوو الجهل لقوله تعالى: ((**أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن هو في الظلمات ليس بخارج منها**))، ولأنَّ الله تعالى جعل الوحي روحًا تحيا القلوب والنفوس، ولكنني لا أسلك مسلكه إنما لو أردت أن أسلك مسلكه لقلت: العلماء والجهال،)(**الأحياء ولا الأموات**() العلماء والجهال واضح؟ لأنني إذا سلكت هذا المسلك فعندي على ذلك برهان وهو قوله: ((**أو من كان ميتًا** ...)) إلى آخره، إذا سلكْتُ هذا المسلك سلِمَتِ الآية من التَّكْرار، ونحن نعلم جميًا أن من القواعد المعروفة في الكلام أنه إذا دار الأمر بين حمل الكلام على التَّأسيس أو على التوكيد وجب حملُه على التأسيس؛ لأنه هو الأصل، الأصل في الكلام أن يكون مستقِلًّا مؤسسًا لا مؤَكَّدًا.
الطالب: ...
الشيخ: التأسيس يعني الأصل أساس يعني هذا معنى جديد غير المعنى الأول، فإذا قال قائل مثلًا: هذه الجملة مؤَكِّدة للأولى، وقال الثاني: هذه الجملة مستقلَّة بنفسها. فإنه يحمل على أنها مستقلة بنفسها.
الطالب: .. في الأول .. الكافر والمؤمن يعدين الكفار والمؤمنون يعني ما يصير
الشيخ: لا ما .. جمع ومفرد، طيب قال المؤلف رحمه الله تعالى، نعم أنا أقول: أنالأحياء والأموات يراد به الحياة الحسية والموت الحسي، كلٌّ يعرف الفرق بين الحي والميت ولّا لا، حتى الكفار يعرفون الفرق بين الحي والميت، ما يشابه هذه المعاني المحسوسة الأربعة من المعاني المعقولة فهو مثلُها ولّا مخالِفَ لها؟ فهو مثلها فالذي يماثل هذه الأشياء المحسوسة من الأمور المعقولة هو مثلُها، نعم. يقول: " وزيادةُ ()**لا**() في الثلاثة تأكيد " هذه الجملة أفادت أنَّ لدينا زيادة وأنَّ الفائدة من الزيادة التوكيد، أين الزيادة؟ ((**وما يستوي الأعمى والبصير**)) ما فيها شيء ((**ولا الظلمات ولا النور**)) هذه ثنتين

((**ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأمــوات**))
كم .... عشر؟
الطالب: خمس
الشيخ: طيب ()**ولا الظلمات**)(هذه واحدة)(**ولا النور * ولا الظل ولا الحرور**)( )(**ولا الأموات**)(خمسة لكن جعلها المؤلف ثلاثــة؛ لأن المتقابل فيها ثلاثة، شـوف الظلمـات والنـور هـذه .. أن تكـون واحـدة، والظل والحرور واحدة، والأحياء والأموات واحدة المهم أن زيادة ()**لا**) (في المواضع كلها سواءٌ قلنا ثلاثة أو خمسة هي للتوكيـد، إذ لـو قيـل: وما يستوي الأعمى والبصير والظلمات والنور والظل والحرور والأحيـاء والأموات. استقام الكلام لكن يؤتى بـ()**لا(**) الزائدة للتوكيد، وفيها أيضًا فائـدة ثانيـة وهـي عـدم السـآمة والملـل لأنهـا لـو حُـذفت لطـالت المعطوفات بعضها مع بعض فكُرِّرَ فيها عامـل النفـي ليكـون أبعـدَ عـن السآمة، فإن قلت: هل لذلك نظير في كتاب الله؟ قلنا: نعم لهذا نظيـر في مواضع كثيرة منها ما نقرأه في كل صلاة وهي ((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) إذ لو قال: غيـر المغضـوب عليهـم والضـالين استقام لكن زِيدت)(**لا**((للتوكيد.
قال الله تعالى: ((**إن الله يُسمِع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور**)) ((**إن اللـه يَسْـمَع مـن يشـاء**)) قـال المؤلـف: " هدايته " إيش؟ فيجيبه -أي الـمُسمَع- بالإيمـان، يعـن يـأن اللـه تعـالى يدعو إلى دار السلام كما قال في آية أخرى: ((**والله يدعو إلـى دار السلام**)) دعاء الله تعالى إلى دار السلام هل يسـمعُه كـل أحـد؟ أمـا من حيث الإدراك الحسي فإن كلَّ أحد يسـمعه، أمـا مـن حيـث الإجابـة فلا؛ مِن الناس من يجيب ومنهـم مـن لا يجيـب، ولهـذا قـال: ((**والله يــدعو إلــى دار الســلام ويهــدي مــن يشــاء إلــى صــراط مستقيم**)) فالله تعالى يسمع من يشاء يعني بمعنى

لِاتِّبَاع هؤلَاء الرُّسُل، ((**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**)) ((**مَ ا**)) هذه في الإعْراب نقول: إنها؟
الطالب: ...
الشيخ: لا، لها اسم أخصّ.
الطالب: حجازية.
الشيخ: حِجَازِيَّة واسـمُها الضـمير ((**أنت**)) والبـاء فـي ((**بِمُسْـمِعٍ**)) زائِدة للتوكِيد ((**بِمُسْمِعٍ**)) خبرُها منصـوب بهـذه الفتحـة مُقَـدَّرَة علـى آخِرِه منَعَ مِن ظُهورِها حركَةُ حرْفِ الجَرّ الزَّائِد ((**مَا أَنْـتَ بِمُسْـمِعٍ**))، وقولُه: ((**من في القبور**)) ((**مَن**)) هـذه مفعـول لـ((**مسـمع**)) لِأَنَّ ((**مسمع**)) اسم فاعِل ((**بِمُسْمع مَن في القبورِ**)) طيب قال المؤلـف: " أي الكفَّـار شـبَّهَهُم بـالموتى فيُجِيبُـون " يعنـي مـا أنـت بمسْمِعِهم.
الطالب: فلا يجِيبُون.
الشيخ: لا عندي فيَجُيبُون
طالب آخر: عندي فيجيبون.
الشيخ: إي الصواب عندي، الصحيح عندي، نعم، اللي عندي خَبَر؛ لأنها إذا كانت (فيجيبون) فيجب أن تُحْذَفَ النون؛ لأنَّه جواب النفي فـي قـولِه: ((**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِـي الْقُبُـورِ**)) أمَّـا النُّسْـخَة اللـي عنـد غـانم وإخوانِه فإنَّها مُنْفَصِلَة عمَّا قبلَها أي: فهم في عَدَم إسـماعِهم لا يجيبـون، على كل حال المؤلف رحمه الله يقول: ((**مَا أَنْتَ بِمُسْـمِعٍ مَـنْ فِـي الْقُبُورِ**)) قال: " أي الكُفَّـار " والـذي يظهَـرُ لـي أنَّ المـراد بـه المـوْتَ حَقيقة، فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يُسمِع الموتَى حقيقة كمـا قـال تعالى: ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**))[النمل:80] فلـو أنَّ الرسـول عليـه الصلاة والسلام ذَهَب إلى المقبرة مقـبرة الكفـار وقـال: يـا أيهـا النـاس اتَّقُوا الله واعبُدُوه وما أشْبَهَ ذلك هل يسْمَعُون هذه الموعِظَـة فَيَنْتَفِعُـون بها؟ لا، ما يسمعونَها فينتفعُون بها ولكنَّـا نقـول: ننتَقِـل مـن هـذا إلـى أنَّ الرسول عليه الصلاة والسـلام لا يُسْـمِع المـوتَى، نعـم، لا يُسْـمِعُ الكُفَّـار لِمَوْت قُلوبِهم لِأَنَّ قلوبَهم ميِّتَة، ومَن قلبُه ميت - والعياذ بـالله - فـإنَّه لا ينتفع بما يسمَع مِن المواعظ فكأنَّه لا يسْمَع
ثم قال: ((**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**)) فسَّر المؤلف ((**إِنَّ**)) بـ(ما) وهذا يَـدُلّ على أنَّ (ما) إيش؟ على أنَّ ((**إِن**)) نافِية وقد ذكرْنا فيما مَضَى أنَّ مِن علامَاتِ (إن) النَّافية الاسْتِثْنَاء بعدَها، نعم أن تُتْبَعَ بـ(إلَّا)، يعني ما أنـت إلا نذيرٌ نعم قال: " مُنْذِر لهم " والنذِير كما سبق هو المـُعْلِم إعلامًا يتضَـمَّن التَّخويف، فالإعلام المتضَمِّن التَّخْوِيف يُسَمَّى إنذارًا نعـم، وقـولُه: ((**إن أنـت إلا نـذير**)) هـل هـذا الحصْـر حَقِيقِـي أوْ إضَـافِي؟ إضـافي؛ لأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام نذِير وبشِير ولّا لا؟ لكن المقَام هنا يقتضـي أن يُذْكَرَ الإنذْار فقط؛ لأنَّه في مُقَارَعَةِ الكفار، ومقارَعَةُ الكُفَّار تحتَاجُ إلى

الإِنْذَار أكثر مما تحتاج إلى التَّبْشِير، وقولُه: ((**إن أنت إلا نذيرٌ**)) كيف يكون مقابلة بينها وبين الجملة اللي قبلَها؟ كأنَّه يقول: أنت لا تستطيع أن تُوصِل الهداية إلى قُلُوبِ الكافرين، ولكن تستطيع إيش؟ أن تُنْذِرَهم لأنَّ هذا هو المقام، مقامُك إنذار، أمَّا أن تُوصِل الهداية إلى قلُوبِ هؤلاء الكفار الذين يشْبِهُون الموتَى فهذا ليس إليك، وصدَقَ اللهُ عز وجل فإنَّ النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلَام مَا اسْتَطَاعَ أن يهْدِيَ أَقْرَبَ الناس إليه وأشْفَقَ الناس إليه وهو عمُّه أبو طَالِب ولَّا لا؟ وَشَاءَ اللهُ عَزَّ وجل أن يَهْدِيَ أَقْوَامًا مِن فَارِس والرُّوم مِن أبعَد الناسِ عن الرسولِ عليه الصلاة والسلام نَسَبًا ومَكَانًا؛ لِأنَّ الأمر بِيَدِ اللهِ عزَّ وجل ((**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**))[الغاشية 21:22] طيِّب ((**إن أنت إلا نذير**))

((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**)) ((**أرسلْنَاك**)) الإرسَال بمعنى الأمْر بالتَّبْلِيغ أو في قَضَاءِ الحاجة فمَثَلًا تقول: أرسلْتُ غلامِي يُخْبِر فلانًا بِكذا وكذا يعني أمرْتُه بالتبليغ، أرْسَلْتُ غلامي يَشْتَرِي كذا وكذا. أمرْتَه أن يشتري الحاجة لكنها منفعة يعني الدفع، وقوله: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ**)) هذه يحْتَمِل أن تَكُونَ البَاء للتَّعْدِية أي أنّنا أعطيناك حقًّا وأرسلناك به، ويحتمِل أن تكون وصْفًا للرسالة يعني أرسلناك رِسالةَ حَقّ، والمعْنى يخْتَلِف فعَلَى المعنى الثاني: يكون معنى الآية أن رِسَالَةَ النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَقّ، وعلى المعنى الأول يكون معنَاها أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم جاءَ بالحق، وإن كان المعنيان متلازمِين لكنهما مختلفَان مِن حيث المورِد، فعلى الأوَّل يكون مورد الوصْف نفْس الرسالة، وعلى الثاني يكون مورد ذلك -مورد الوصْف- المُرْسَل به، أفهِمْتُم الآن ولَّا لا؟ ((**أرسلناك بالحق**)) أي أعطَيْناك حقًّا تُبَلِّغُه للناس، ((**أرسَلْنَاك بالحق**)) يعني أنَّ رسالَتَنا إليك حَقٌّ فيكُون الوَصْف لإيش؟ للرسالة نفسِها، يعني: لست بكاذِب بل أنت صادِق هذا على جعْلِنَا الوصف عائدًا على الرسَالَة، أمَّا إذا جعلناه عائدًا على المرسَل به فالمعنى أنَّ ما جئت به ليس ببَاطِل بل هو صِدْقٌ في الأخبار وعَدْلٌ في الأحكام.

((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا**)) قال المؤلف: " بالهُدى ((**بشيرًا**)) مَن أجَاب إليه ((**وَنَذِيرًا**)) مَن لم يُجِبْ إليه " نعم ((**بشيرًا ونذيرًا**)) يعني أنَّك تُبَشِّر وتُنْذِر لكن تبشِّر بالخير مَن أجاب وتنذِرُ بالعُقوبة من لم يجِبْ وعصى، وذلك لأنَّ الشرْع يتضَمَّن أوامر ونواهي فمَنِ ارتَكب النواهي أو ترَك الأوامر واجَهْنَاه بماذا؟ بالإنذار، ومن فَعَل الأوامر واجتنب النواهي واجهْنَاه بماذا؟ بالبَشَارة.

((**بَشيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**)) ((**وإن**)) ما " يعني نافية ((**مِن أمة**)) ((**مِن**)) حرف جر زائدٌ زائدٌ، طيب، أو زائدٌ زائدًا، يجُوز، على أن تكون (زائدًا) حال مِن .. مفرد في (زائد) الأولى،

المهم أنه زائدٌ لفظًا زائِدٌ معنى، و((**أُمَّة**)) مبتـدأ، وجملـة ((**خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**)) نعم، خبر، ما مِن أمَّة ما هي الأمة؟ هي الطائفة مِن الناس الـتي على مَنْهَجٍ واحد طائفة على مَنْهَجٍ واحد ودِينٍ واحدٍ أو قوْمِيَّةٍ واحدة أومـا أشبه ذلكَ هذهِ الأمة، ليست كُل طَائِفَـة نسـمِّيها أُمَّـة فمثلًا أنتـم الآن مـا نُسَمِّيكُم أُمَّة إلَّا لِأَنَّكم على

الطالب: طريق واحد.

الشيخ: طريقٍ واحد لكن لو اجْتَمَع الجماعة في مكان مُتَشَتِّتِين كلّ واحـد له مَنهَج ما نقول: هؤلاء أمة، إلا إذا كانوا مِن قبيلة واحدة أوما أشبه ذلك. ((**بشيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا**)) سَلَفَ ((**فيها نَذِيرٌ**)) نَـبيٌّ ينذرها" يعني كل الأُمَم أرسلَ اللـه إليهـم نَـذِيرَهم لِمـاذا؟ لِتقُـومَ عليهُـم الحُجَّة؛ لأنَّه إذا لم يكُن لِلنَّاسِ نذِيرٌ فإن لهم حُجَّةً على ربِّهِـم يقولـون: يـا ربنا ما أرسـلْتَ إلينـا رسـولًا. كمـا قـال تعـالى: ((**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَـاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَـالُوا رَبَّنَـا لَـوْلا أَرْسَـلْتَ إِلَيْنَـا رَسُـولًا فَنَتَّبِـعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**))[طه:134] وقال تعالى: ((**رُسُـلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُـلِ**))[النساء:165] وسيأتِي إن شاء الله تعالى الكلام على ما في قـوله: ((**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ**)) مِن الإشْكَال والجواب عنْه.

قال تعالى: ((**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**)) في هذه الآيـة فوائـد منها: بلاغَةُ القرآن حيث يَنْتَقِل بِسَامِعِه وقارِئه مِنَ الأمثَـال الحِسِّـيَّة إلـى الأمْثَال المعْنَوِيَّة ذلك لِأَنَّ الأَمثَال الحِسـية لَا يَمْتَـرِي فيهـا أحـد ولا يمكـن لأحد أن يجادِلَ فيها؛ لأنَّك إذا قلت مثلًا: هذه لَمْبَة وهذا نُور ما أحـد يُنَـازِع فيها فانتقَل من المحسوس إلى المعْقُول المعْنِى.

ومِن فوائد الآية الكريمة: فضِيلَةُ البَصَـر لأنَّ نفـي الاسـتواء بيـن الأعمـى والبصير معناه تفضيل من؟ البصير ولهذا أكثِروا من دعاء الله عـز وجـل: اللهم مَتِّعْنَا بأسماعنا وأبصارِنا وقوتِنا أبقيتنا[كذا]، نعم.

وكذلك أيضًا نقول فـي ((**وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّـورُ**)): فـإن فيهـا مِـن بلاغة القرآن ما في قوله: ((**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**))، وفيها الانتقال مِن المثل الحسي إلى المثل المعنوي طيب.

فيها أيضًا: تفضِيل النور على الظُّلْمـة لأنَّ نَفـي الاسـتواء فيهمـا معنـاه: تفضِيل النور على الظُّلْمة.

ومنها أيضًا: إذا انْتَقَلْنا مِن المثل الحسي إلى المعنوي أنَّ طريق الهـدى واحد، وطُرُقُ الضلال متفرقة؛ لقـوله: ((**الظلمات والنـور**)) وذكرْنـا شاهدًا مِن القرآن على هـذا وهـو قـولُه تعـالى: ((**وَأَنَّ هَذَا صِـرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ**)) [الأنعام:153]، وقال تعالى: ((**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَـى النُّـورِ وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا أَوْلِيَـاؤُهُمُ الطَّـاغُوتُ**))

[البقرة:257] فيه طاغوت يجرهم إلى نـوع مـن الكفـر والفِسْـق نسـأل الله العافية.
ومنها أيضًا: أنَّه لا يستوي الظِلّ والحَرُور وهذا مثل حسي انتقَل منه إلى المثل المعْنَوي وهو ظِلّ الجنة وحَرُّ النَّار لا يستويان، أيُّهما أفضل؟
الطالب: ظلُّ الجنة اللهم اجعَلْنَا منْهُم وإياكم
الشيخ: طيب ومِن فوائد الآية الكريمة أيضًا: التَّحْذِير مِن عَمَلِ أهلِ النـار لأنَّ نفي الاستواء بين الظل والحرور أمْرٌ معلوم، وتَأذِّي الإنسانِ بالحرُور أيضًا أمرٌ معلوم، ففيه التحذير مِن عَمَلِ أهل النـار، هـل يؤخـذُ مِـن الآيـة الكريمة أنَّه لا حَرَجَ على الإنسان أن يطلُبَ الظِلّ نعم، وأن يطلُبَ النُّور؟
الطالب: نعم.
الشيخ: كذا؟ معلُوم؛ لأننا ما دمنا ذكرْنا أنَّ هذا النفي معناه تفضِيل النـور على الظلمات وتفضيل الظـل علـى الحـرُور فلا حَـرج علـى الإنسـان أن يطلُبَ الأفضل بل قد يحِبُ أحيانًا طيب، ولهذا لَمَّا رأى النبي عليه الصلاة والسلام زِحَامًا ورجلًا قد ظُلِّل عليه بصيام رمضان في السفر ما قـال: لا تُظَلِّلُوا عليه ولكن قال: (**ليس مِن البر الصيامُ في السفر**).
وقولُه: ((**وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ**)) فيها أيضًا ما سبق في .. وفيها فَضِـيلةُ العِلـم وهـو كـذلك وقـد قـال اللـه تعـالى: ((**قُلْ هَـلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**))[الزمر:9] والعِلْمُ جهادٌ في سبيل الله وإن شئتَ فقُلْ على الأصح: العلْمُ سِلاح للجهادِ في سبيلِ الله؛ لأنه قد يحمِلُ العلم مَن لا ينْتَفِعُ به ولا ينْفَعُ غيرَه، فهو سلاح لكـن إذا نفعْتَ نفسَك وغيرك صِـرْتَ مجاهـدًا بـه قـال اللـه تعـالى: ((**فلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**))[الفرقان:52] طيـب فـالعلْمُ سلاحٌ يَتَوَصَّلُ به الإنسان للجهادِ في سبيل الله طيب.
ومِن فوائدِها أيضًا قولُه: ((**الأحياء ولا الأموات**)) أنَّ فيها الحَثَّ على طَلَبِ العِلْم وأنَّه حَياةُ الأُمَّة كما أنَّه حيـاةُ الفـرْد فلا يمكِـن أن تحيـا الأمـة حياةً لا أقول: حياة .. بدون علم .... تحيا حياةً بهيمية بـدون علْـم لكـن لا يمكن أن تحيا حياةً طيِّبَة إلا بالعلم وكـلّ النـاس ينشُـدُون الحيـاة الطيبـة لكن ما طَيِّبُها؟ العلم إذا أثمَرَ ثمرتَه وهو الإيمان والعمَلُ الصالح قال الله تعالى: ((**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَجزِيَنَّه [كذا] حَيَاةً طَيِّبَةً**))[النحل:97]نعم.
يقول: ((**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَـنْ يَشَـاءُ وَمَـا أَنْـتَ بِمُسْـمِعٍ مَـنْ فِـي الْقُبُورِ**)) مِن فوائِدِها: أنَّ اللهَ عز وجل هـو الـذي بيـده مقالِيـدُ الأمُـور حتى أنت يا محَمَّد لا تستطِيع أن تُسْمِع أحدًا بل المـُسْمِع هو الله.
وفيه: إثبات المشيئة لله لقولِه: ((**مَن يشاء**)).
وفيه رَدٌّ على القدرية الذين ينكرون أن يكونَ لأفعال العباد مشيئةٌ للهِ عز وجـل لقـولِه: ((**إِنَّ اللَّهَ يُسْـمِعُ مَـنْ يَشَـاءُ**)) ولكـن هـذه المشِـيئَة المطْلَقة هنا -وفي كـل موضـع جـاءت مطلقـة- مُقَيَّـدَة بمـاذا؟ بالحِكْمَـة

لِقولِه تعالى: ((**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**))[الإنسان:30].
ومِن فوائدها: أنَّه ينبغِي لِلإنسَان بل يجِب على الإنسان أن يلْجَأ إلى الله عز وجل وحدَه في جَلبِ المنافع ودَفْع المضَارّ؛ لِقولِه: ((**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ**)) فإذا كان الإسْمَاعُ مِن الله فلا تسْأله مِن غيرِه لا تسألْه إلا مِن الله، ولهذا ينبغي لنا دائمًا أن نكُونَ داعينَ لله عز وجل ونحنُ نشعر بأنَّا مُفْتَقِرُون إلى الله وأنَّ الله سبحانه وتعالى قادِر على أن يُحَقِّقَ لنا ما نرْجُوه وما ندعُوهُ به، لا تعْتَمِدْ على نفسِك وتنْسَى الله، افزَعْ إلى اللهِ دائمًا في الدعاء في السجود وبين الآذانِ والإقامة وفي كل مواطِنِ الإجابةِ الزمنية والمكانية والحَالِية لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ((**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**))[البقرة:186] ثم اعْلَم أيضًا أنَّ الدعاء مع كونِك تطلُب الحاجة مِن الله هو نفسُه أيضًا عبادة تتَقرَّبُ به أيضًا، فتكسِب بهذا الدعاء تكسب فيه ثمرتين:
الثمرة الأولى: الثَّواب على هذه العبادة.
والثمرةُ الثانية: حصُول المطلوب أو دَفْع المكرُوه نعم.
ومِن فوائدِ الآية الكريمة: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لا يسْتَطِيع أن يُسْمِع مَن في القبور؛ لقوله: ((**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**)) فلو أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب إلى أهل المقبرة ودعَاهم وقال: يا أهل القبور! آمِنوا بالله ورسوله، يا أهل القبور اعمَلُوا صالحًا. يسمعون؟ لا يسْمَعون فإن قلت: ما الجوابُ عمَّا ثبت في الحديث الصحيح مِن أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وقَفَ على القتلى في بدْر مِن المشركين وجعَل يدعوهم بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدَ ربكم { أنت يا أخ! ....إمَّا تقَدَّم وإما تعال بالرقعة هذه عشان ما ..... }، أقول: ما الجواب عما ثبت في الصحيح مِن أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام وقف على قتلى المشركين في قلِيب بدر وجعل يدعوهم بأسمائهم وأسماءِ آبائهم يا فلان بن فلان **(هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا فإنِّي قد وجدت ما وعد ربي حقًّا)** فقال له عمر: " يا رسول الله! ما تكلم من أناس جَيَّفوا " أو كلام من هذا المعنى، فقال: **(ما أنتم بأسْمَعَ لِما أقُول منهم)** يعني أنهم يسمعون، فما هو الجواب؟
الطالب: لِقولِ قتادة رحمه الله: " إن الله أحياهم فأسمعَهم كلامَ النبي صلى الله عليه وسلم تنكيلًا وتخزِيَةً لهم ثم أماتَهم، وتقول عائشة: " إنَّ أهلَ القليب لا يسمعون الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن يخاطِبُهم الرسول لِمَا يجدُون من العذابِ في القبر ".
الشيخ: أمَّا ما ذكرْتَ عن عائشة فلاشك أن كلام الرسول ....ينتقده لأنه قال: **(ما أنتم بأسمع لِما أقول منهم)**، وأما ما ذُكِر عن قتادة

فمعنى كلامه أنَّه خاصٌّ بهؤلاءِ، نعم، فإن قلت: ما الجواب عما ثبتَ في الحديث الصحيح أيضًا مِن أنَّ الميت إذا دُفِن وتولى عنه أصحابه حتى إنَّه لَيَسْمَع قرْعَ نعالهم وهم ينصرفون عنه؟

الطالب: .....

الشيخ: هذا عند الدفن وأيضًا لا يلزَم من سماع قرْع النعال أن يَسمَعَ الكلام أو الدعوة، فإن قلت: ما الجواب عما رواه أبو داودَ وغيرُه وصحَّحه ابن عبد البر ووافقَه أو لم يخالِفْه ابنُ القيم مِن أنَّه ما مِن مُسْلمٍ يُسَلِّمُ على قبرٍ كان يعرِفُه في الدنيا إلا ردَّ الله عليه روحَه فرَدَّ عليه السلام؟ فالجواب أن يُقَال: هذا في حَالٍ مخصُوصة دَلَّ عليها الحديث، ولا يلزم مِن هذا إذا سَمِعَ السلامَ عليه وهو دعاءٌ له أن يَرُدّ السلام على مَن سَلَّم أن يَسْمَع كلَّ مَن تَكَلَّم عنده، فإن قلت: ما الجواب عمَّا قالَه الفقهاء مِن أنَّ الميِّت يتأذَّى بقولِ المُنْكَر عند قَبرِه أو فِعْلِ المنكر عند قبره؟ فالجواب أنَّ قول الواحد مِن الناس غير الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بحُجة وإنما يُحْتَجُّ له لا به، ثم على رأيهم رحمه الله يحمِلون معنى قولِه: ((**وما أنت بمسمعٍ من في القبور**)) أي: بِمُسْمِعٍ مَن تَدْعُوهُم إلى الإيمَان والعمل الصالح فإنَّك لا تسمعهم سماعًا يستجيبون له، لكنه سماع .... وهذا هو الجواب الأخير عن قول مَن يقول: إنَّ الموتى يسمعون ما يُقال عندهم وما يُخَاطبون به نقول: ((**وما أنت بمسمع من في القبور**)) أي سماعًا ينتفعون به ويستجيبون له نعم، والله أعلم، والواجِبُ على المؤمن نحو هذه الأمور الغيبيَّة أن يُؤمِنَ بما جاء به النصّ فقط والباقي يسأل بل يجِبُ عليه أن يقول: العلم عند الله فلا يجزِمُ بالنفي ولا يجزم بالإثبات، نعم له أن يجزم بالنفي ويجعل ما ثبت فيه الحديث من السماء مُخَصَّصًا لأنه قال: ((**وما أنت بمسمع من في القبور**)) وفي الآية الأخرى ((**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**)) .

ثم قال تعالى ((**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**)) مِن فوائد هذه الآية الكريمة: أنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس إلا مبلغًا ومنذرًا فليس في يده جلْبُ الهداية لأحَد ولا دفْعُ الضرر عنه لأنه قال: ((**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**)) يعني ما أنت هاديًا للناس أيْ هداية توفيق وإرشاد..، ولكنَّك منذر فأنت هاد هداية دلالة فقط نعم، يقول: ((**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**)).

ثم قال: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ**)) ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ**)) في هذا دليلٌ على أنَّ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم حَقّ وأنَّه ليس بكاذب؛ لأنَّه قال: ((**أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ**)).

ومِن فوائدِها أيضًا: أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام أهلٌ للرسالة إذا جعلنا ((بالحقّ)) حالًا من ((**نا**)) الفاعل أي إنا أرسلناك مُحقِّقينَ بذلك فيكون فيه دليل على أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أهلٌ للرسالة،

وهذا معلومٌ من أدلة أخرى كقوله: ((**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**))[الأنعام:124] لكن نريد أن نأخذها من هذه الآية.
ومنها أيضًا: أن ما جاءَ بـه النـبي عليـه الصـلاة والسـلام فهـو حـقّ ليـس بباطل فإذا نظرْتَ إلى أخبـارِه وجـدتها صـدقًا، وإذا نظـرتَ إلـى أحكـامه وجدتها عدلًا، وهذا هو الحق؛ لأن الحق بالنسبة للخبَر هو الصدق، والحـق بالنسبة للحُكْم هو العدل.
ومن فوائدها: أن رسالة النبي عليه الصلاة والسلام جمعَتْ بين البَشَـارة والإنذار لقولِه: ((**بشيرًا ونذيرًا**)).
ومن فوائدِها أيضًا: أنَّ الإنسان يجتمِعُ فيه خصلتان متضَادَّتَان في المعنى وإن كانتا مُتَّفِقَتَيْن في المـُراد: بشِير ونـذِير لأنَّ المـُبشِّر هـو الـذي يعِـدُ الناس بالخير ويفتَحُ لهم بابَ الرجاء، والمنـذر هـو الـذي يخـوفِّهم مِـن... فبينهما من حيث المعنى تفاضُل، وهما يجتمعا في عينٍ واحدة، هل ننتقل من هذه الفائدة إلى أنَّ الإنسان قـد يجتَمِـعُ فيـه خصـالُ إيمـان وخصـالُ كُفْر؟
الطالب: .....
الشيخ: لا مو متلازمان، ما هو متلازم إذا رأيتُ جيشًا مقبلًا على البلد فأنـا أنذرُهم ولا أبشِّرُهم، لكن إذا رأيت أن الجيش قد انصـرف فأنـا أبشِّـرُهم وعلى كل حال المعلوم من مذهب أهل السنة والجماعـة وهـو الحـق أنَّ الإنسان قد يجتمع فيه خصالُ إيمان وخصالُ كفر فيكون مؤمنًا مـن وَجـه وكافرًا مِن وجه كقولِه عليه الصلاة والسلام: **(اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النَّسب والنياح على الميت)** وقـال النـبيُّ عليه الصلاة والسلام أيضًا: **(سبابُ المسلم فسوق وقتالُه كفـر)** مـع أنَّ قتـالَه لا يخـرجُ مِـن الإيمـان؛ لقـولِه: ((**وَإِنْ طَائِفَتَـانِ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**))[الحجـرات:9] إلـى قـولِه: ((**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**))[الحجرات:10] وقولُه لا مـا وصـلنا ((**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**))
فيها أيضًا مِن الفوائد: أنَّ الأمرَ كُلَّـه للـهِ ليـس لأحـدٍ مشـاركةٌ فيـه حـتى أعظَمُ الناس منزلة لا يشارِكُ اللهَ تعالى فيمـا يختَـصُّ بـه لقـوله: ((**إنَّـا أرسلناك**)) ومعلومٌ أنَّ مقام المـُرسِل أعلى مِن مقام المـُرسَل سبحانه وتعالى: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِـالْحَقِّ بَشِـيرًا وَنَـذِيرًا**)) الخطَـابُ في قولِه: ((**إنا أرسلناك**)) للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، والإرسَال هو تحميل المرسَل شيئًا يبَلِّغُـه إلـى المرْسَـلِ إليهـم، والجملـة كمـا نشـاهد مُؤَكَّدة بـ(إنَّ) وتوكيد الجملة يدُلُّ على الاهتمام بها مِن أجل أن يُؤْمِنَ بهـا الإنسان إيمانًا كاملًا، يقول الله تعالى: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِـالْحَقِّ**)) البـاء هنا إمَّا أن تكونَ للتعدية تقول: وأرسلته بكذا لبيان المرسَل بِـه، وإمـا أن تكونَ للمصـاحبة والمؤلـف رحمـه اللـه يقـول: ((**بالحق**)) بالهـدى " وكأنَّه أخذَ هذا التفسير من قولِه تعالى: ((**هُوَ الَّـذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ**

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ))[التوبة:33] ولكن الصحيح فـي الآيـة أنَّ المـراد ((**بالحق**)) ضِدُّ الباطل فيشمل الصِّدقَ في الخبر والعدلَ في الأحكَام، أي بالصدق في الأخبار والعدل في الأحكام وليس الهدى فقط بلِ الهـدى والصَّلَاح والإِصلاح وغيرَ ذلك، أمَّـا فـي قـوله تعـالى: ((**بالهدى وديـن الحق**)) فنعم ممْكن أن نقول: المراد بالهدى هناك أن نقُول المـراد بـه العلْم النافع لأنَّه ذكرَ الهدى وذكرَ الدين فذكرَ العلـم والعمَـل أمَّـا هنـا فلا ينبغي أن نقْتَصِر على قولنا الحـق أي الهـدى، بـل نجعلُـه أعـمّ مـن ذلـك لِيشمل الهدى الذي هو العلم ويشمل دينَ الحق الذي هو الرُّشْد والصلاح والإصلاح، فالرسول عليه الصـلاة والسـلام قـد تضـمَّنَتْ رسـالتُه العلـومَ النافعة كلَّها والصلاح للخلْـق فـي معاشِـهم ومعـادِهم، ومـا جـاءَ بـه فقـد تِضَـمَّنَ الصـدق فـي الأخبـار والعـدل فـي الأحكـام، قـال تعـالى: ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِـيرًا وَنَـذِيرًا**)) ((**بشـيرًا**)) هـذه حَـال بمعنـى مُبَشِّر حالٌ مِن الكاف في ((**أرسلناك**))، قال المؤلـف: ((**بشـيرًا**)) مَن أجابَ إليه ((**ونذيرًا**)) مَن لم يُجِبْ إليه " والبَشَارة هي الإخبارُ بمـا يَسُـرّ، وقـد تُسْـتَعْمَل فـي الإخبَـار بمـا يسُـوء كمـا فـي قـولِه تعـالى: ((**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**))[التوبة:34]، وأمَّـا الإنـذار فهـو التَّخْويـف أي الإعلام بما يُخَوِّف، والنبيُّ عليـه الصـلاة والسـلام كـانت رسـالته بَشَـارَة وإِنْذَار؛ لأنها إمَّا أمرٌ يُبَشَّرُ فاعلُه بما يقتَضِيه ذلك الأمر، وإما نهـي يُخَـوَّفُ صاحبُه مِن ارتكابِه، فالشريعة كلها بَشَارة ونَذَارة، وقولُ المؤلـف رحمـه الله: ((**بشيرًا**)) مَن أجاب إليه ((**ونذيرًا**)) مَن لم يُجِبْ " قـد يُقـال: إنَّ الأولى إبقاءُ الآية على عمومِها أي بشيرًا لِمَن أجاب إليه ونذيرًا له في نفس الوقت لأنَّ مَن أجاب أيضًا يحتاجُ إلى إنذَار فيكونُ البَشارة والإنـذار شامِلة لِمَن أجاب ومَن لم يُجِب حتى مَن لَم يُجِب يُبَشَّر إن أجـاب طيـب ((**بشيرًا ونذيرًا**))

ثم قال: ((**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ**)) ((**إن**)) بمعنـى (مـا) فهي نافية وقد ذكرنا لها ضابطًا فيما سبق أي ذكرنا لـ(إن) النافية ضابطًا لكنه لا يُحيط بِجميعِ مواردِها وهو أنَّه إذا أتتْ بعدَها إلَّا فهي نافية مثل: ((**إن أنت إلا نـذير**))، ((**إِنْ هَـذَا إِلَّا سِـحْرٌ مُبِيـنٌ**))[المائـدة:110]، ((**إِنْ هَـذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ**))[ص:7] ((**إِنْ هَـذَا إِلَّا خُلُـقُ الأَوَّلِيـنَ**)) [الشعراء:137]، ومنها أيضًا هـذه الآيـة ((**إِنْ مِنْ أُمَّـةٍ إِلَّا خلا فِيهَـا نَذِيرٌ**)) وقولُه: ((**من**)) زائدَة زائدة، زائـدةٌ إعرابًـا زائـدةٌ معنـى فـإن قلت: كيف تكون زائدة زائـدة؟ قلنـا: لأنَّ (زاد) يُسـتعمَلُ لازمًـا ومتعـديًا فيقال: زادَ الطينَ بَلَّةً هذا مُتَعَدِّي، ((**فزادتهـم إيمانًـا**)) هـذا متعـدي أيضًا وتقول: زادَ المالُ هذه لازمة فمعنى زائـدة زائـدة يعنـي زائـدة هـذا مِن الناقص الذي هو الزيادة أي نعم، مِن الناقص الذي لا يتَعَـدَّى، وزائـدة الثانية مِن المتعدي طيب، و((**أمةٍ**)) مبتدأ مرفُـوع بضـمة مقـدرة علـى آخره منعَ مِن ظهورها اشتغالُ المحل بحركـةِ حـرفِ الجـر الزائِـد، ((**إِلَّا**

خلا فِيهَا نَذِيرٌ)) قـال المؤلـف رحمـه اللـه: ((**خَلَا**)) بمعنـى سـلَف، ((**فيها نذير**)) أي نبيٌّ ينذِرُها، والأمَّة هنـا بمعنـى الطائِفـة وتـأتي فـي القرآن على أربعةِ أوجه تكُون بمعنـى الطائِفـة كمـا هنـا، وتكـون بمعنـى الزَّمَن مثالُها ((**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**))[يوسـف:45] وتكُـون بمعنـى الـدين والمِلَّـة ((**وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِـدَةً**)) وتكـونُ بمعنـى الإمـام .. ((**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا**))[النحل:120]، ما مِن أُمَّـة ((**إلا خلا فيها نذير**)) أي سَلَفَ ومضى نـذيرٌ ينـذرُها وذلـك لِتقـومَ الحُجَّـةُ علـى العباد لأنَّ العقولَ مهما بلغَتْ لا يمكن أن تعرِف ما يجِبُ للهِ عز وجل مِن الحقوق كما لا يمكن أن تعرف ما يجِبُ له مِـن الأسـماء والصـفات علـى سبيلِ التفصيل، وإن كان العقْل يُـدْرِك أن الإنسـان لابُـدَّ أن يعبُـدَ خـالقَه ويدرِكَ أنَّ الخالق لابد أن يكُون متصفًا بصفاتِ الكمال، لكن علـى سـبيل الإجمال لا على سبيل التفصيل، فمِن أجلِ ذلك أرسلَ اللهُ الرسل لتقـومَ الحجة على العباد فما مِن أمة إلَّا خلا فيها نذير، قد تكون الأنبياء في وقت واحد في أمكنَةٍ متعددة وقد يكون الأنبياء في وقت واحد في مكَان واحد، أما أن يوجَد مكَانٌ واحد لم يكُن فيـه نـبي فهـذا لا يمكِـن، لا بُـد أن تكـونَ جميعُ الأمم قد بُعِثَ إليها الرُّسُل، ونظيرُ هذا قولُه تعالى: ((**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّـاغُوتَ**)) بَعَثْنَـا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

يُستفاد مِن هذه الآية الكريمة عدةُ فوائد منها ثُبُـوتُ رسـالةِ النـبي صـلى الله عليه وسلم على وجْهٍ مؤكدٍ لا مِرْيَةَ فيه مِن قولِه: ((**إنا أرســلناك**)).

ومنها: فضِيلةُ النبيِ صلى الله عليـه وسـلم لكـونِه رسـولَ ربِّ العـالمين فإنَّ الرسالة مَقامٌ عظيم لا ينالُها إلا مَن هو أهلٌ لها كما قال اللـه تبـارك وتعالى: ((**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَـالَتَهُ**))[الأنعـام:124] ويقـول الله عز وجل: ((**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**))[البقرة:253] وهم أي الرسل مفضَّلون علـى مَـن سـواهم مِن الخلق ففي الآية فضيلة ومنقَبَةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومنها: بيانُ ما يشتمل عليه دينُ الرسولِ عليه الصلاة والسلام مِن الحـق الذي ضدُّه الباطل، والباطِل إن كان في الأخبار فهو الكذِب، وإن كان في الأحكام فهو الجَوْر والظُّلْم، وعليه فرسالةُ النبي صلى اللـه عليـه وسـلم متضَمِّنَةٌ للحق في الأخبار وفـي الأحكـام، ففيـه بيـان أيضًـا فضـيلة هـذه الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم.

ومِن فوائد الآية الكريمة: أن كلَّ مـا كـان حقًّـا فـإنَّ الشـريعة جـاءَتْ بـه سواءٌ نصَّتْ عليه بمعناه الخاص أو بالمعنى العـام، ومِـن ثـمَّ أثبـتَ بعـض الفقهاء أو بعض الأصوليين ما يسَمَّى بالمصـالح المرسـلة وجعلوهـا دليلًا مستقلًا، والصواب أنها ليست دليلًا مسـتقلًا، لأنَّ هـذه المصـالح إن شَـهِدَ الشرعُ لها فهي مِن الشرع ولا حاجَةَ إلى أن نجعلَها دليلًا مسْتَقِلًّا، وإن لَم

يشهَدْ لها فليست بمصلحَة وصاحبُها الـذي زعمَهـا مصـلحَة يُعْتَبَـرُ واهمًـا، فكونه أن يثبت دليلًا خامسًا يسَمِّيه المصالح المرسـلَة هـذا خطَـأ لِمـاذا؟ لِمَا قلتُ لكم الآن وهو أنَّ هذه المصلحة إن شـهِدَ لهـا الشـرع فهـي مِـن الشرع دلَّ عليها الكتاب والسنة، وإن لم يشهدْ لها فليسـت بمصـلحة فلا تُعْتَبَـر، طيـب ولـذلك أيضًـا زعْـمُ بعضِـهم إحـداثَ دليـلٍ سـادس وهـو استِصْحَابُ الحال بمعنى أنَّ الأمرَ يبقَـى علـى مـا كـان عليـه حـتى يتبَيَّـنَ ارتفاعُه وانتفاؤُه، هذا أيضًـا ليـس بصـواب يعنـي لا يصِـحّ أن نجعلَـه دليلًا مستقلًا لِماذا؟ لأنَّه قد دَلَّتْ عليه السـنة فقـد شُـكِيَ إلـى الرسـول عليـه الصلاة والسلام الرجل يُخَيَّل إليه أنَّه يجد الشيء في الصـلاة فقـال: **(لا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا)** إذًا نبنِي على إيـش؟ علـى بقَاءِ الأصْل واستصْحَابِ الحال وحينئَذٍ لا يَحتاجُ أن نجْعَلَ هذا دليلًا مستقلًا وإنَّما جعَلَ بعض العلماء هذين الدلِيلَيْن مُسْتَقِلَّيْن؛ لأنَّ الإنسان يَنْقَدِحُ في ذهنه أنَّ هذا شيءٌ منفصِل عن دَلالة الكتاب والسنة فيذهَب ويجعلُه دليلًا مستقلًا، وإلَّا فلو تأمَّل لوجَدَ أنَّ ذلك موجودٌ فـي الكتـاب والسـنَّة وأنَّـه لا حاجةَ إلى أن نُثْبِتَه دليلًا مستقلًا، ولقد تجَرَّأ بعض المتأخِّرين على الـدليلِ الأول وهو المصَالح المرسلة حتى أدخَلَ فيـه مـا شَـهِدَ الشَّـرعُ ببطلانِـه، ومِن ذلك قولُهم بإجازة الرِّبَا البَنْكِيّ وأنَّه يجُوز؛ بِناءً على ما توهمـوه مِـن المصالِح المرسلة، وقالوا: إنَّ اقتصَادِيَّاتِ العـالم فـي العصْـرِ الحاضـر لا تَتِمّ إلا باستعمالِ هذه الطريقَة، فالألْفاظ والأسَالِيب إذا جاءت علـى غيـرِ ما جاءَ في الكتاب والسنة يحصُـل بِهـا مفسَـدَة فهُنـا أدخلُـوا شـيئًا شَـهِدَ الشرع ببطلانِه وإذا شهِدَ الشرع ببطلانِه فإنَّنا نشهد أنَّه ليس فيه مصلحَة وأنَّ المصلحةَ الموهومةَ منه يخلُفُها مفاسد كثيرة فلهذا نحنُ نرى ألَّا

فلنَجْعَـلْ دليلًا مسـتقِلًّا وإلَّا فليـس مِـن الشـرع وليـس فيـه مصْـلَحَة، والمصَالح الموهُومة فيه إذا كانت مُخَالِفَة للشرع لابد أن يخلُفَهـا مَفَاسِـد كثيرة، طيب.

مِن فوائدِ الآية الكريمة أنَّ رسالَةَ النبي عليه الصلاة والسلام تتَضَمَّن مِن حيثُ الجَزَاء أَمْرَين: هما البَشَارة والإِنذَار، البَشـارة لمـن أطـاع والإنـذَار لمن خالَف سواءٌ كانت تلك الطاعَة عامَّة أو فـي بعـض الأشـياء، وكـذلك نقول في المخالفة.

ومِن فوائدِ الآية الكريمة أنَّ مآلَ الناس إمَّا إلى جنة وإمَّا إلـى نـار وليـس ثَمَّةَ دارٌ ثالِثَة لِأَنَّ البَشَارَةَ بالجَنَّة والإنذار بالنار وليس هناك دَارٌ ثالِثَة يصِلُ الناس إليها.

ومِـن فوائـد الآيـة الكريمـة الـترغيب فـي طاعـة الرسـول عليـه الصـلاة والسلام في قولِه: ((**بشيرًا ونذيرًا**)) والتخوِيف من مخـالفَتِه لِقـولِه: ((**بشيرًا ونذيرًا**))

ومِن فوائد الآية الكريمة لُطْفُ اللـه تعـالى بعبـادِه بإرسـالِ الرسُـل إلـى جميـعِ الخَلْـق ((**وإن مِن أُمَّـة إلَّا خلا فيهـا نـذير**)) وقـد بيَّـن اللـهُ سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ((**وما أرسلناك إلا رحمـة للعـالمين**)) يعني إلَّا لِنرحمَ بك العالمين وليس الرسولُ نفسُه هو الرحْمـة، ولكنَّـه أُرسِل لرحمة الخلق ليرْحَمَ الله الخلق برسالتِه.

ومِن فوائد الآية الكريمة أيضًا بُطْلَان الاحتجاج بالقـدَر علـى مَعصـيةِ اللـه لقولِه: ((**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**)) ولو كان الاحتجَاجُ بالقَـدَر على المعاصي والمخالفات لو كان ثابتًا لـم يرتَفِـع بإرسَـالِ الرسـل؛ لأَنَّ القدر لا يرتفع بإرسالِ الرسل، فالرسل أرسلَهم الله تعالى إقامةً للحجـة على الخلْق ورحمةً بهم أيضًا، لِهذا ولِهذا.

ومِن فوائد الآية الكريمة بيانُ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ليـس ببـدعٍ مِن الرسل حتى تُنْكَرَ رسالته ويقال: كيف جاء هـذا الرجـل برسـالة مِـن عنـد اللـه ((**وإن من أمة إلا خلا فيهـا نـذير**)) ويشـهَدُ لهـذا قـوله تعالى: ((**قل ما كنت بدعا من الرسل**)).

ومن فوائد الآية الكريمة قُصُور العقول عن معرفة مـا يجِـبُ للـهِ تعـالى؛ لأَنَّها لو استقَلَّت بذلك ما احتاجَت إلى إرسال الرسل.

ومنها أيضا بُطلانُ ما ذهـب إليـه المتكلمـون مِـن أهـل البـدع الـذين بنَـوْا عقيدتَهم على ما يقتضِيه العقل وقالوا: ما اقتضى العقل إثباتَه لله أثبتْنَاه سواءٌ كان مذكورًا في الكتاب والسنة أم لم يُذْكَر، وما نفاه العقـل وجـبَ

علينا نفيُه وإن ذُكِرَ في الكتاب والسنة، وما لم يدُلّ العقل على نفيه وإثباتِه فإنَّنا نَتَوَقَّف فيه وأكثرُهم قالوا: ننفيه لأنه لا بد مِن دلالة العقل على إثباتِه، فإذا لم يدُلَّ على إثباته وجبَ نفيُه لعدَم وجود الدليل، يلّا يا عبد المنان! .. في هذه الفائدة؟

الطالب: ....

الشيخ: وإثباته، وما لا يقتضي إثباته ولا نفيه؟

الطالب: يتوقفون فيه ...

طيب تُؤخَذ مِن قولِه: ((**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**)) ووجْهُ ذلك أنَّه لو كانت العُقُول هي المرْجِع ما احتِيجَ إلى إرسَال الرُّسُل

ثم قال الله تعالى: ((**وإن يُكذِّبُوك**)) أي أهْلُ مكة هذا تفسير للواو في قولِه: ((**وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم**)) يعني فليس ببِدْع أن يكذِّبك قومُك؛ لأنَّ الذين مِن قبلِهم كذَّبُوا الرسل كقوله تعالى: ((**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا**))[الأنعام:34] يعني ليس الأمر مُقْتَصِرًا على أنه التَّكْذِيب فقط بل تكذيب وأَذِيَّة بالقول وأذِيَّة بالفعل بل أعظَمُ من ذلك القتْل فإن كثيرًا مِمَّن أرسَل الله إليهم الرسل قتلُوهم، يقول: ((**وإن يكذبوك**)) أي أهلُ مكة " لماذا نخصُّهم بأهل مكة؟ الصحيح أنَّه ليس خاصًّا بأهل مكة بل أهل مكة وغيرهم الرسول كذبَه أهل مكة وكذَّبه أهل الطائف وغيرهم مِن المشركين، فالصواب العموم ((**إن يكذبوك فقد كذَّب الذين من قبلهم**)) (الذين) وش تُعْرِبونه؟

الطلبة: فاعل.

الشيخ: فاعل، و أين المفعُول؟ محذوف أي: فقد كذَّب الذين مِن قبلهم رسلَهم، قال: ((**جاءتهم رسلُهم بالبينات والزبر** [كذا] **والكتاب المنير**)) ومع ذلك كفروا جاءتهم رسلُهم بالبينات الباء هذه للمصاحبة ويحتَمِل أنها للتعدية يعني: أتَوْا بالبينة التي تُبَيِّن صدقَهم، وقولُ المؤلف: المعجزات هذا هو تعبير كثيرٍ من المتأخرين ولكنَّ الصواب أن يقال بالآيات وأنَّ (البينات) هذه صفة لموصوف محذوف تقديرُه: بالآياتِ البيناتِ أي الظاهرة، والآياتُ التي جاء بها الرسل حسبية ومعنوية، فمِن الآيات الحسية ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام مِن العصا واليد وغير ذلك، ومِن الآيات المعنية ما جاء به مِن التوراة، وكذلك عيسى وغيرُهما مِن الرسل كلُّ رسول لم يأتِ إلا بِبَيِّنَة، وقد ثبتَ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنَّه ما من رسول أرسلَه الله إلا آتاه مِن الآيات ما يؤمِنُ

على مثله البَشَر، وإنما كان كذلك؛ لأنه ليس مِن الحكمـة ولا مِـن الحُجَّـة ولا مِن الرَّحْمة أن يُرْسَل رسولٌ إلى الخلق يستبيحُ دمـاءَ المخـالفين لـه وأموالَهم ونسائَهم بدون بَيِّنَة، حتى لو فُرِض أنَّ أحدًا كـذَّبَه وهـو لـم يـأتِ ببيِّنة لكان المكذِّبُ معذُورًا؛ لأنَّ البينة على المدِّعِي فكان مِن حكمة الله ورحمتِه وإقامة حجَّتِه أن يجعَل مع الرسل آيات تشـهَد بصـدق مـا جـاءُوا به، وقد ذكر أهل العلم رحمهم اللـه أنَّ الآيـات الـتي جـاءَت بهـا الرسـل ولاسيَّما الآياتُ الحسـية تكـونُ مناسِـبَةً لمـا كـان فـي عصـرِهم أو لأبـرزِ الأمور في عصرِهم، وضربوا لذلك مثلًا بأنَّ موسى عليه الصلاة والسـلام جاءَ بالعصا واليد؛ لأنَّه اشتهر في عصره وبرز في عصرِه صـناعَةُ السِّـحْر فجاءَ بأمر فوقَ ما تجِيءُ به السَّحَرة، السحرة إنما يُمَوِّهُون ويُخَيِّلُون وهو جاء بالحقيقة، وألقَوْا حبالهم وعصيهم فإذا هو يُخَيَّلُ إليه مِن سحرهم أنها تسْعَى، يُخَيَّلُ إليه ولكنَّه ليس بحقيقـة هـو ألقـى عصَـاه فصـارت حقِيقَـةً فعليَّة تلقف ما يأفِكُون، قالوا: وعيسـى عليـه الصـلاة والسـلام أتـى فـي وقـتٍ ترَقَّـتْ فيـه صـناعَةُ الطـب فجـاء بـأمرٍ يعجَـزُ عنـه الأطبـاء ولا يستطيعُونه جاء بإبراءِ الأكمَه والأبرَص وإحياءِ الموتى وخلـقِ صـورة مـن الطين يَنفخ فيها فتطير يتكون طيـرًا حقيقيًّـا وهـذا يعجـز عنـه الطـب، لا يمكن لأيِّ طبيب يكونُ أمامَه رجلٌ ميت فيقول: قم فيقُوم أبدًا، لا يمكـن لأيِّ طبيب يأتي إلى المقـابِر ويقـف علـى القـبر ويقـول: اخـرُجْ فيخـرج، وعيسى يفعل ذلك كما قال الله تعالى: ((**وإذ تخرج المـوتى بـإذني**)) تخرِجُهم مِن مدافِنِهم، ولا يمكـن لأن إنسـان مِـن الأطبـاء أو غيـره أن يخلُقَ من الطير فينفخ فيه فيطير أبدًا، الأكمَه والأبرص لا يمكِن لأحـدٍ أن يبرِئَه مِن المرض الذي أصابه بمثل ما يُبْرِئُهُ عيسى عليه الصلاة والسـلام يُؤتَى إليه بذوي العاهات ويمسَح بيده عليه ويبرَأ يـزُول بـأنْ هـذا الـبرص الذي قد ملَأ الجِلْد أو أكثرَه يُمِرُّ يدَه عليه فلا تتعدى يدُه مكانًا إلا عادَ على طبيعتِه نعم، هذا لا يسْتَطِيع أحدٌ مِن الأطباء مهما بلغَ في الطِبّ أن يصِـل إلى هذا الحال، قالوا: ومحمد صلى الله عليه وسـلم أتـى إلـى قـومٍ قـد بلَغُوا في البلاغة ذُروتَها فجاء بكلامٍ لا يستطيعون مُبَـاراتَه أبـدًا وهـو كلام الله، وتحدَّاهم الله تعالى في عدَّةِ آيـات أن يـأتُوا بسُـورَة مثلـه أو بعشْـرِ سُوَرٍ مثله أو بحديث مثله فلم يستطيعوا، المهـم أنَّ جميـع مـا جـاءت بـه الرسل آياتٌ بينات.

يقول: ((**والزبر**)) قال: كصُحُفِ إبراهيم " الزُّبُر جمع زَبُور وهو ما يُزْبَرُ ويُؤْثَر يعني الكتاب، ولو أنَّ المؤلف قال: كزبُور داوود لكان أنسب للآيـة؛

لأن صحف إبراهيم ما ذكرَ الله أنها زبُرٌ لكن ذَكَر ((**وآتينا داوود زبورا**)).

((**والكتـابِ المنيـر**)) هـو التـوراة والإنجيـل " نعـم، الكتـاب المنيـر الصواب أنَّه ليس التوراة والإنجيل بل كُلُّ كتاب بعث الله به الرسول ينِيرُ الطريق لأمَّتِه فيَشْمَل التَّوراة والإنجِيـل والزبـور وصُـحُف إبراهيـم وغيـر ذلك ما مِن رسول أرسـلَه اللـه إلا معـه كتـاب ((**لَقَدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَـا مَعَهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْمِيـزَانَ**))[الحديـد:25] وقـال تعالى: ((**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِـدَةً فَبَعَـثَ اللَّـهُ النَّبِيِّيـنَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**))[البقرة:213] فلا يمكـن أن نقـول: إنَّ نوحًا عليه السلام أرسل بدون كتاب أبدًا، لابدَّ أنه أُرْسِل بكتاب لكن لا يلزم مِن كونه أرْسِـلَ بـه أن يُـذْكَر لنـا هـذا الكتـاب، قـال: ((**والكتاب والمنير**)) يقول المؤلف: " فاصبِر كما صبروا " هذه الواو حرف عطف والزُّبر معطوف على البينات بإعادَة حـرف الجـر، مثـل مـا قلنـا إمَّـا أنَّهـا للمصاحبة يعني: جاءوا مصطحبين هذا الأشياء أو أنَّها للتعدية كما تقــول: أتيتُ بدرهم أتيتُ بطعـام أتيـت بشـرابٍ ومـا أشـبه ذلـك، طيـب يقـول: فاصبر كما صبرُوا " وهل صبَرَ الرسول؟ نعم صبرَ صبرًا لا يصبِرُه إلا أولو العزم

قـال اللـه تعـالى: ((**ثم أخـذتُ الـذين كفـروا**)) بتكـذِيبِهم " البَـاء للسببية في كلام المؤلف (أَخذْتُ الذين كفـروا) لمـاذا أخـذَهم؟ للعقـاب فقومُ نوح أغرقَهم، وقوم هود أتلفَهم بالريح كـذا؟ وقـوم صـالح بالرَّجْفَـة والصيحة، وقوم لوط جعل عالي قراهـم سـافلَها، كـلُّ المكـذبين أخـذَهم الله ولهذا قال: ((**فكيف كان نَكِير**)) أي إنكَـارِي عليهـم بالعُقُوبـة والإهلاك أي هو واقِعٌ موقِعَه " يعني أنَّ الاستفهام هنا للتقْرير يعني فكان نكِيرِي أي إنْكَارِي عليهم بالعقوبة كان واقِعًا موقِعَه، ولهذا لو سُئِلْت كيف كان إنكارُ الله لهم؟ الجواب أن نقُول: كـان شـديدًا وكـان واقِعًـا مـوقعَه فهو مُطَابِقٌ للحِكْمة تمامًا وهو عِقَابٌ شديدٌ لم يُبْقِ منهم أحدًا

فـي الآيـة الكريمـة هـذه فوائِـد منهـا أنَّ تَكـذيب الرسـول عليـه الصـلاة والسلام ليس ببِدْعٍ مِن البشر فقد كـذَّبَتِ الأمـم قبلَـه ((**وإن يُكـذِّبُوك فقد كذَّب الذين من قبلهم**)).

ومنها عنايَةُ الله تعالى بالرسول صلى الله عليـه وسـلم بـذِكْرِ مـا يُسَـلِّيه ويُهَوِّنُ عليه الأمْر ولَّا لا؟، طيّب، وذِكْر المـُصِيبَة المماثِلـة تقْتَضِـي تَسـلِيَةَ الإنسان وتهوينَ الأمر عليه، ولهذا لو جئتَ إلى مريض وقلت: واللـه أنـت

اليوم طيب ومرضُك أهونُ مِن مرضِ فلان، فُلَان أصيبَ بمـرَض فيـه كـذا وكذا. يتسَلَّى ولّا لا؟ بلا شَكّ، وكذلك لـو أُصِـيبَ بحـادِث وقلـت: إنَّ فلان أصِيبَ بحادث أعظم يتسلَّى، إذًا ففيه عناية الله تعالى برسولِه صلى الله عليه وسلم حيث يذكُر له ما يُهَوِّنُ عليه المصائب ويسَلِّيه.

ومِن فوائد الآية إنذار المكَذِّبِين لِرَسُولِ الله صـلى اللـه عليـه وسـلم لِأَنَّ الله ذَكَرَ كيف كان عاقبة الذين مِن قبلهم وكان عاقبتُهم الـدَّمارَ والهلاك، وقـد أشـارَ اللـهُ إلـى هـذا فـي قـوله: ((**أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِـي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِـنْ قَبْلِهِـمْ دَمَّـرَ اللَّـهُ عَلَيْهِـمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**))[محمد:10] يعني لا تظُنُّوا أنَّ الدمار الذي لَحِـق المكذِّبِين في السابقين لا تظُنُّوا أنَّه خاصٌّ بهم بـل إذا كـذَّبْتُم أصـابَكم مـا أصابَهم.

ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ اللهَ عز وجل لم يترُكِ الرسُل هَمَلا بل آتـاهُم مِن البينات ما يُـؤْمِنُ علـى مثلِـه البشَـر؛ لقـولِه: ((**جاءتهم رسـلهم بالبينات**)).

ومنها أيضًا تمامُ حكْمَةِ الله عز وجل ورحمتِه وإقامَةِ حُجَّتِـه بمـاذا؟ تُؤْخَـذ مِن قـوله: ((**جاءتهم رسـلهم بالبينـات**)) لأنَّـه إنمـا أعْطَـى هـؤلاءِ الرسُل البَيِّنَات لِتَمَامِ إقَامَةِ الحجَّة والرحمة والحكمة.

ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ مِن أعظَمِ البينات ما جاءَت بـه الرُّسُـل مِـن الشَّرائع التي تضمَّنَتْها الكُتُـب، وجـهُ ذلـك التنصِـيصُ عليهـا مـع أنَّهـا مِـن البينات، انتبه، أيضًا هو تنصيصٌ أعيد معَهُ العامـل ((**بِالبينات وبِـالزبر**)) فكأنَّها مستقلة نعم.

ومن فوائد الآية الكريمة: أنَّ الكتُـب السـماوية متضَـمِّنَةٌ للنُّـور، وأنَّ كـل مَن أخذَ بها فقد أخَـذَ بنُـور يمشـي بـه فـي الظلمـات؛ لقـولِه: ((**الزبر والكتاب المنير**)).

ومنها أنَّ المفْرَد إذا أُرِيد به الجِنْـس صَـارَ عامًّـا لأنَّ قـولَه: بالكِتَـاب هـذا مُفْرَد، ولكن هل الكُتُب التي جاءَت الرسل واحدة؟ كِتَـابٌ واحـد؟ لا، بـل هي كتُبٌ كثيرة بحسَب الرسل.

((**ألم ترَ أنَّ الله أنزَلَ مِن السَّماء ماءً**)) إلى آخرِه، فيما سبَق: أنَّ الله أنزلَ مِن السماء ماءٍ فأخرجْنَا به إلى آخره، والاستفهام هنـا للتقريـر وهذا هو الغالب فيما إذا أتى حرفُ النفي أو إذا أتَت أداة النفي بعد همزة الاسـتفهام أن يكـونَ للتقريـر مثـل: ((**ألـم نشـرح لـك صـدرَك**)) ((**أليس ذلـك بقَـادِر علـى أن يحيـي المـوتى**)) ((**أليـس اللـهُ**

بكافٍ عبده)) وأمثال ذلك، فإذا أتت أداةُ النفي بعـد همـزة الاسـتفهام فالغالِب أن يكون الاستفهام للتقرِير، وقوله: ((**ألم تر**)) حُذِفِت الألـف للجَازِم؛ لأنَّ اللام تجزِم والفعْل المعتل يُجْزَم بحذف حرف العلة، وقـوله: ((**ومِن الجبال جُدَدٌ**)) مبتدأ وخبر والخبرُ فيها مقدم، وهو قـولُه (مِـن الجبال)، وقوله: ((**مختلفٌ ألوانها**)) صفة لـ(جدد) وقـوله: ((**سُـودٌ**)) قيل: أنَّه علـى التقـديم والتـأخير أي وسُـودٌ غَرَابِيـب وقيـل أنَّـه علـى الأصل وأنَّ (سود) تقع موقِع التوكيد مما قبلَها لأنَّ الغِرْبِيـب هـو الشـديد السواد، قوله: ((**ألم تر**)) قال المؤلف: " تعلم " فالرُؤْيـة هنـا عِلْمِيَّـة، وعُلِّقَتْ عن العمل بـ(أنَّ) ومـا دخلَـتْ عليـه فـإنَّ (أنَّ) ومـا دخلَـتْ عليـه تُعَلِّق أفعال القلوب عـن العمَـل، ويحتمـل أن تكـون الرؤيـة هنـا بَصَـرِية يعني: ألم تَنْظُر وتُبْصِر لأنَّ ما ذُكِر يُرَى بالعين وما كان يُرَى بـالعين فـإنه يجوز أن يُرَاد به الرؤية بالعين، لكن إذا جعلناها عِلْمِيَّة كان ذلك أعـمّ؛ لأن هذا الأمر قد لا تراه بعينك ولكن تسمعُه في بلاد أخرى غيرِ بلادِك، وقوله: ((**أنَّ الله أنزل من المساء ماء**)) المراد بالسماء هنا العُلُو والمـراد بالماء المطَر، وليس المرادُ بالسـماء الأجـرام السـمَاوية المعروفـة؛ لأن الماء إنما ينزِل مِن السحاب، والسحاب عالٍ ولكنَّه بين السـماء والأرض، وقوله: ((**فأخرجْنا به**)) قال: " فيه التفاتٌ عـن الغَيْبـة " (أنـزَل مـن السماء ماءً فأخرجنا به) لو كان الكلام على نسقٍ واحد لقال: فأخرَجَ بـه بضمِير الغيبة، لكنه صارَ فيه التفات عن الغيبة إلى التكلـم (فأخرجنـا بـه) والالتفات فيه فائِدة بل فوائِـد، فيـه فائـدة مشـتركة فـي جميـع مـوارِدِه ومواضِـعِه وهـي تنـبيه المخـاطَب؛ لأن الكلام إذا كـان علـى نسـقٍ واحـد استمَرَّ الإنسان معه ولم يكن هناك شيءٌ يُوجِب أن ينتَبِـه ويتفَطَّـن، فـإذا اختَلَفَ السياق مِن غيبَة إلى تكَلُّم أو إلـى خِطَـاب أو مـا أشـبه ذلـك فـإنَّ الإنسان ينتبه يعني كأنَّه يكون عَلَمًا على تغيُّر الأسلوب لِينْتَبِه المخـاطَب، الفائدةُ الثانية هنا قوله: ((**فأخرجنا به**)) فإن (نا) هذه تُفِيـد التعظيـم لأنَّ الإخْرَاج أعظم مِن الإنزَال بالنسبة لِلنعْمَةِ علينا فإنَّه لـو نـزَلَ المطـر ولم يخرُجِ النبات لم نَسْتَفِد مِن المطـر كمـا جـاء فـي الحـديث الصـحيح الـذي رواه مسـلم: **(ليسـت السَّـنَة ألا تُمْطَـرُوا إنَّمـا السَّـنَة أن تمْطَرُوا فلا تُنْبِتُ الأرضُ شيئًا)** فلَمَّا كان إنعامُ اللـه تعـالى بـإخراجِ النبات أعظَم صارَ الالتفـاتُ إلـى التَكَلُّـم أولـى لِعِظَـمِ المِنَّـة فيـه، قـال: ((**فأخرجنا به ثمراتٍ مختلف ألوانها**))، وهنا قال: ((**أخرجنا بـه ثمـرات**)) ولـم يقـل: أخرجنـا بـه نبـات وقـد قـاله فـي آيـة أخـرى:

((**فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْـهُ خَضِـرًا نُخْـرِجُ مِنْـهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا**))[الأنعام:99] لكن هنا قال: (ثمرات)؛ لأن المقصود مِـن هذا الخارج هو الثمرة فبيَّنَ الله سبحانه وتعـالى الغايـة المقصـودة وهـي الثَّمَرَات.

قال: ((**مختلفًا ألوانها**)) كأخضر وأحمر وأصفر وغيرِهـا " وهـذا يـدُلُّ على قُدْرة الله هذه الثمـرات مختلـفٌ ألوانُهـا، وكلمـة ألـوان يحتمِـل أن يكون المراد ما ذكره المؤلـف وهـو اللَّـون المخْتَلِـف للحمـرة والصـفْرة والخُضْرة وما أشبه ذلك ويحتمل أنَّ المراد بالألوان الأصناف فإنَّ الألوان تُطْلَق على الأصناف كما قال الإمام أحمد رحمه الله في صلاة الليل فـي قيامِ رمضان قال: "رُوِيَ في ذلك ألوان " أي أنواع وأصناف، وإذا نظرتَ إلى الخارج من الأرض وجـدت أنَّـه ذو ألـوان فـي شـكْلِه وذو ألـوان فـي أنواعِه وأصنافِه ما بين حُلْو ومُرّ ومتوسـط وحـامِض وغيـر ذلـك ممـا هـو معلوم، وهذا الأخير إذا قلنا: إنَّ المراد بالألوان .. الأنـواع أشـمَل مِمَّـا إذا قلنا: إنَّ المراد بالألوان اختلاف الشكل، وقد مرَّ علينـا قاعـدة بـأنَّه كلَّمـا كان المعنى أشمَل في بابِ التفسير كان أولى؛ لأنَّ الأشمل يعُمّ الأخــص وغيرَه بخلافِ الأخَصّ. قال: ((**مختلفًا ألوانها ومِن الجبـالِ جُـدَدٌ**)) هذه جملة استئنافية يُبَيِّن الله عز وجل فيهـا كمـالَ قـدرته أيضًـا بالنسـبةِ للأرْض وطبقاتِها، قال: ((**ومن الجبالِ جُدَد**)) جمـعُ جُـدَّة طَرِيـقٌ فـي الجبَلِ وغيرِه " مِن الجبال جُدَد يعني الطُّرق يعنـي شـيْء يشـبِه الطُّـرُق لاختلافِه عن بقِيَّةِ الجبَل وهو مختَلِـفٌ فـي اللـون ومختلـف فـي الماهِيَّـة أيضًا، نحن نرى بعض الجبال الآن ولاسِيَّمَا إذا فُتِح الجبل نـرى فـي أثنـائِه خُطوطًا قد تكون سوداء وقد تكـون حمـراء وقـد تكـون بُنِّيَّـة وقـد تكـون بيْضَاء المهِم أننا نجد فيه خطوطًا تخالِف بقِيَّـة الجبـل، هـذه الجُـدَد الـتي ذكرَها الله عز وجل هنا، فالجبال تختلف أيضا ألوانُها وهـذه الاختلاف فـي اللـون يعنـي الاختلاف فـي الماهِيَّـة والحقيقـة، ليـس الحصَـاةُ السـوداء كالحصاة البيضاء أو الحمراء أو ما أشبهَها مما يخالفها في اللون بل لا بُـدَّ أن يكون هناك اختلافٌ في طبِيعَة هذه الحصاة كما كان اختلافُ الثَّمَـرَات في ألوانِها يدل على اختلافِها في طعومِها وفي ماهِيَّتِها، قال: جُـدَدٌ بِيـضٌ وحُمْرٌ ذكَرَ الله عز وجل (بيض وحمر) وكان من المتوقع أن يقـول: بيـضٌ وسود؛ لأن هذا هو المعروف في مُقَابَلَةِ البياض أن يُقَابَل بالسَّـوَاد، لكنـه قال: وحُمْر؛ لأنَّ الحمرَ أقربُ إلى البياض مِن السُّود، وستُذْكَر في قولِه: (وغرابيب سود) هذه الجُدَد بيـض وحُمْـر قـال المؤلـف: وصـفر " ونحـن

ربما نقول أيضًا: وزُرق وغيرِ ذلك مِن الألـوان فـاللهُ عـز وجـل لـم يـذْكُرْ هذين اللونين للحَصْر وإنما هو على سبيل التمْثِيل، قال: ((**جدد**))
((**مختلفٌ ألوانها**)) بالشِّـدَّة والضَّـعْف " هنـا فسَّـرَ المؤلـف الألـوان بماذا؟ بالماهِيَّة ولَّا الأشكال؟ بالماهِيَّة؛ لأنه قال:" الشدة والضعف: ولـم يقُلْ باللون اللي هو أحمر وأبيض، على كـل حـال الألـوان كمـا قلنـا آنفًـا تُطْلَق على الأنواع أحيانًا، طيب هـذا الاختِلاف فـي ألْـوَان أحجَـار الجِبَـال كالاخْتِلَاف في ألوَان الثِّمَار.
((**وغرابِيبٌ سود**)) عَطْفٌ على جُدَد أي صُخورٌ شـديدة السَّـواد يقـال كثيرًا: أسْوَدُ غربِيب ويُقَالُ قليلًا: غربِيبٌ أسوَد " الغَرَابِيب جمـع غربيـب، والغربيب شديدُ السواد وكان مُقتضَى الترتِيب أن يُقَال: وسُـودٌّ غرابيـب ولكنَّ الله تعالى قدَّم قال: غرابِيبُ سُود، فعلى هذا زَعَم بعضُـهم أنَّ فـي الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وقال بعضُهم: بل هو على ترتِيبه ليس فيـه تقـدِيم وتأخير ولكن الله سبحانه وتعالى بيَّن الأسود الشَّـدِيد السَّـواد قبـل بَيَـان مُطْلَق السواد، هذا أيضًا مُشَاهَد ولَّا غير مُشَاهَد؟ نجِد في الجبـال طُـرُق يعني كالطَّرِيق أو كالخَطّ أسْوَد خالِصًا وإلى جانبِه طريقٌ أبيَـض أو أحمـر أو ما أشبَه ذلك كلُّ هذا دليلٌ علـى قُـدْرَة اللـه عـز وجـل، ((**وغرابيب سود**)) نعم، فنجِد نحنُ أنَّ هذا الاختلاف في الجبال هـو كـالاختِلاف فـي الثمرات
في هذه الآية مِن الفوائد التنبيهُ على أنَّـه ينبغـي للإنسـان أن يتفَكَّـر فـي خلْقِ الله عز وجل لقولِه: ((**ألم تر أن الله**)) فإنَّ هذا تقرِير، والتقرير لا يكون إلا بعد أن ينظُرَ المقَرَّر فيما قُرِّرَ به حتى يُقِرَّ به ويعتَرِف.
ومِن فوائد الآية الكريمة بيانُ قدرة الله عز وجل وحكمتِه ورحمتِـه وذلـك بإنزَال الماء مِن السماء ففيـه قُـدرَةٌ عظيمـة أن ينـزل هـذا المـاءُ الـذي يكون بِحَارًا أحيانًا يُدَمِّر ما مَرَّ عليه من البنـاء ويجْتَـرِفُ الأراضـي مـع أنَّـه ينزِل مِن هذا السحاب الرقيق الذي تخترِقُه الطائِرة كما نُشَاهِد، ويتمَزَّق عندما يمُرُّ بالجبال وبالبِنَاء وما أشبَهَ ذلك تنزل منه هذه المياهُ العظِيمـة، هذا تمامُ القدرة، تمامُ الرحمة ما يحصل مِن هذا المطر مِن الآثار النافعة للعِباد، تمام الحِكْمَة لأنَّ هذا المطر ينزِل مِن أعلى حتى يشـمَل المرتفـع والمنخَفِضَ مِن الأرض ولو كان يمشي مشيًا كالأنهار لكـانَ الأسـفل مِـن الأرض يَرْوَى بالماء بل يغْرَق، وأمَّـا الأعلـى فلا يُصـيبه شـيءٌ، وهـذا مِـن تمام حكمَة الله عز وجل أنَّه ينزل مِن فوق.

ومن فوائد الآية الكريمة إثباتُ الأسباب؛ لقوله: ((**فأخرجْنَا به ثمراتٍ**)) فإنَّ الباء هنا للسببية، ففي الآية إثباتُ الأسباب وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد قرَن الأشياءَ بأسبابِها وهذا مِن تمامِ حكمَتِه أن تكُون الأسبَاب والمسبَّبَات مُتَلازِمَات، مِن المعلوم أن الله قادر على أن يُخْرِج هذه الثمرات بدون مَاء ولكن قد جَعَل لكل شيء سببًا.

ومِن فوائد الآية الكريمة بيانُ قُدْرَةِ الله عز وجل بإخراج هذه الثمرات المخْتَلِفَة الألوان مع أنَّها في أرض واحدة وتُسْقَى بماءٍ واحد، ويظهرُ لك ذلك جلِيًّا إذا نظرْتَ إلى الزُّهُور كيف تجِد هذا الاختلاف العجيب بينها مع أنَّها تُسْقَى بماء واحد.

ومِن فوائد الآية الكريمة الحكمة في اختلافِ هذه الثمرات؛ لأن لو كانت هذه الثمرات طبيعتُها واحدة لَمَلَّ الناس منها ولم يحصُل لهم كمالُ اللَّذَّة، فإذا اختلفَتْ حصَل كمالُ اللذة وعدَم الملَل والسَآمَة.

ومِن فوائد الآية الكريمة أيضًا بيانُ قدرة الله عز وجل ورحمته وحكمتِه فيما نرى في الجبال مِن الجُدَد المختلفة؛ لأن هذا دليلٌ على القدرة حيث جعَلَ هذا بين هذا، ودليل على الحكمة؛ لأنَّ الغالب أن ما في بطونِ هذه الجبال يكونُ معادِنِ مُفِيدَة للإنسان، كذلك بيان الرحمة بالخلْق بإيداَع هذه الأشياء في بُطُون هذه الجبال.

ومِن فوائد الآية الكريمة أيضًا بيانُ قدرة الله عز وجل حيث أنه يجْعَل بعض الجبال فيها السَّوَاد الخالِص، ... وقد يكون الجبلُ كلُّه أسود، وأحيانًا نرى جبلًا أسود وإلى جانبِه جبلًا أبيض، فهذا كلُّه مِن تمامِ قدْرَةِ اللهِ عز وجل.

ومِن فوائد الآية ما يَتَرَتَّبُ على النظَر في هذه الخلوقات مِن الاعتبار والاستِدْلَال بها على ما تتَضَمَّنُه مِن صفاتِ اللهِ سبحَانَه وتعالى

ثم قالَ الله عز وجل: ((**ومِن الناسِ والدَّوَابِّ والأنعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُه كذلك إنَّما يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِه العُلَمَاءُ إنَّ اللهَ عَزيزٌ غَفُورٌ**)) جُملة (ومِن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانه) جُملة خبرية قُدِّمَ فيها الخبر على المبتدأ، و(ألوانُه) فاعل (مختلف)؛ لأن (مختلف) اسم فاعل واسمُ الفاعل يعمَل عمَل فِعْلِه، وقولُه: (كذلك) صفة لقولِه: (مختلف) يعني مُختلِفٌ كاخْتلاف مَا ذُكِر، وقوله ((**إنما يخشى الله من عباده العلماء**)) هي جملة أيضا مكونة مِن فعلٍ وفاعل ومفعُول به وفيها حَصْر، وطريقُه (إنما)، وجملة ((**إنَّ الله عزيز غفور**)) كالتعليل لِمَا قبلها كما سيأتي إن شاء الله، قال الله تعالى:

((**ومِن الناس والدواب والأنعام**)) النَّاس هُم البَشَر، قالوا: وأصلُها أُنَاس ولكنَّها حُذِفَتِ الهمزة تخفيفًا لِكثرةِ الاستعمال كما حُذِفَتْ مِن شَـرّ وخير، وأصلهما أشَرّ وأَخْيَر، وحُذِفَت أيضًا مِن اللـه علـى قـولِ كـثيرٍ مِـن علماء اللغة وأصلُها يكون: الإله، والمراد بالناس بنـو آدَم، وسُـمُّوا بـذلك؛ لأنَّه يأنَسُ بعضُهم إلى بعض، قال: (الدواب) جمع دابة وتُطْلَق على عِـدَّةِ معاني تُطْلَق على كل ما دَبَّ على الأرض كما في قولِه: ((**والله خلـق كل دابَّةٍ مِن ماء**)) وكمـا فـي قـوله تعـالى: ((**وما مِـن دابَّـةٍ فـي الأرض إلا على الله رزقُها**)) يشـمَل كُـلَّ مـا دبَّ علـى الأرض مِـن إنسان وحيوان وحشَرَات وغيرِ ذلك، وتطلقُ الدابـة علـى مـا يَـدُبّ علـى بطنِه مثل الحَيَّات، وتطلَقُ الدابَّة على ذواتِ الأربَع كالحِمَار، فمـا المـراد بها هذه الآية؟ نقول: المرادُ بها ما عدا الناس والأنعَـام، فتشـمَل كـل مـا دَبَّ على الأرض إلا النَّاس والأنعـام، فـإن قلـت: لِمَـاذا لا تجعلُهـا شـاملة وتَجعل هذا مِن باب عطفِ العام على الخاصّ بالنسـبة لـ(النـاس) ومـن باب عطف الخاصّ على العام بالنسبة لـ(الأنعام)؟ انتبه لأنَّه لو قال قائل: المراد بالدَوَابّ كلُّ ما دَبَّ على الأرض لكنَّها عُطِفَتْ على الناس مِن باب عَطْفِ العامّ على الخاص، وعُطِفَتِ الأنعامُ عليها مِن باب عطفِ الخـاص على العام، قلنا: هذا ممكن لكنَّ التقسيم يُبْعِدُهُ فيكـون المـراد بالـدوابّ ما عَدا الناس والأنعام، والمراد بالأنعام ما ينتفِعُ الناس به كمـا قـال اللـه تعالى: ((**وجعل لكم مـن الفلـك والأنعـام مـا تركبـون**)) وقـال تعالى: ((**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُـمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَـا لَهُـمْ فَمِنْهَـا رَكُـوبُهُمْ وَمِنْهَـا يَـأْكُلُونَ * وَلَهُـمْ فِيهَـا مَنَـافِعُ وَمَشَـارِبُ أَفَلا يَشْـكُرُونَ**)) فيكـون المـراد بالأنعام هنا ايش؟ ما ينتَفِعُ الناس به كالإبل والبقر والغنم والطُّيُور الحلال وغير ذلك.

((مُختلـفٌ ألـوانُه كـذلك)) طيـب (مختلـفٌ ألـوانه) هـل المـراد بـاللون الشكل أو الصِّنف أيضا؟ يشمَل، فالناس مثلًا تختلف ألـوانُهم هـذا أبيـض وهذا أسـود وهـذا أحمَـر وهـذا بيـن ذلـك واختلافُ اللـون ظـاهر، تختلـف أجناسُهم أيضًا هذا ذكر وهذه أنثى، هذا عالم وهذا جاهل، هذا أحمق وهذا حلِيم، وعلى هذا فقِس، الدواب كذلك تختلف ألوانُها في الشكل وتختَلِفُ أصنافها وأنواعُها منها المؤْذِي ومنها الضَارّ ومنها النـافِع، ومنهـا مـا ليـس بضارٍّ ولا نافع ولا مؤْذِي، فهـي أربعَـةُ أصـناف: منهـا النـافع ومنهـا الضـارّ ومنها المؤذِي ولكن لا يضُرّ، ومنها ما ليس مؤذِيًا ولا ضـارًّا، مثـالُ النـافع:

الأنعام، ومثال الضارّ: الحيـات والعقـارب والسِّـباَع ومـا أشـبهَها، ومثـال المؤذي: الصراصِر والخنفُسـاء والجُعلان ومـا أشـبه ذلـك، النـامُوس قـد يكون ضَار، ومثال ما ليس بمؤذٍ ولا ضار النَّمْل وغيرُه أيضًـا مِـن الـدواب الكثيرة التي نشوفها ... ونـرَى طيـورًا تطيـر فـي الجـو ليسـت حلالًا مثلًا ولكنها لا تضُر، طيب وقولُه: ((**كذلك**)) قال المؤلـف: كـاختلاف الثمـار والجبال " فصارَ الاختلاف في مخلوقَات الله تعالى شاملًا للحيـوان ولِمَـا ينتفِعُ به الحيوان مِن الثمار وغيرِها ولِطبقاتِ الأرض كالجِبَال

ثم قال تعالى: ((**إنما يخشى الله مـن عبـاده العلمـاء**)) لِمَّـا ذَكَـرَ هذه الأصناف وفيها ما يدُلُّ على كمـال اللـه عـز وجـل فـي صـفاتِه الـتي تتضَمَّنُها هذه الأصناف المذكورة بَيَّن أنَّ العالِم بذلك هو الذي يخشَى الله فقال: ((**إنما يخشى الله مِن عباده العلماءُ**)) يعني لا يخشَى اللــه إلا العلماء، والخشْيَة هي أعلَى الخوف، أو إن شـئتَ فقـل: هـي الخـوْف المبنِـيُّ علـى العِلْـم، وبعضـهم قـال: هـي الخـوفُ المبْنِـيّ علـى عِظَـمِ المـَخُوف ولا يمتَنِع أن تَكُونَ الخشية هي الخوْف فـي كـلِّ الأنـواعِ الثلاثـة يعني هي أعلَى أنواع الخـوف أو الخـوف المبنِـي علـى العلـم أو الخـوف المبني على عِظَم المخُوف، أما الخـوف المـُجَرَّد عـن الخَشْـيَة فهـو قـد يكونُ عن جَهْل يخَافُ الإنسان مِن شيء لأنَّه جاهِلٌ به، وإلَّا فليس أهلًا أن يُخَافَ منه

ككفَّار مكة وصدَقَ المؤلف فـي قـولِه: " بِخلاف الجهـال " وأمـا التمثيـل بكُفَّار مكة فليس على سبيل الحصر بل هو على سبيل المثال فكُلُّ كـافر فهو في الحقيقةِ جَاهِـل وهـي جَهَالـةُ العِلْـم ولَّا جهالَـةُ التصـرف؟ جهالـة التَصَرُّف في الغالب، في الغالب أنَّهـا جهالـةُ التصـرف، وإلَّا فـإنَّ الكـافر يكون عندَه علِم لكنَّه والعياذُ بالله يستَمِرّ على طغيانِه ولا يؤمِن.

قـال تبـارك وتعـالى: ((**أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللَّـهَ أَنْـزَلَ مِـنَ السَّـمَاءِ مَـاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا**))[فاطر:27] الاستفهَام هنـا ... لِإثباتِ الأسباب لَزِمَ علينا القول بوجُودِ الفِعل؛ لأنَّ السبب يستلْزِم وُجود المسَبَّب، وهذا يقتضـي أن نُـوجِبَ علـى اللـه عـز وجـل وجـودَ المسـبَّب لِوجودِ السَّبَب .. علماء الكلام أنكَرُوا الحِكْمة كالجبْرِيَّة مثلًا أنكروا حكمـةَ الله يقولون: لأنَّه لو قلنا بثبوت الحكمة والسببية لَزِمَ من ذلك أن نُـوجبَ على الله تعالى أن يفعَل كما قال ذلك خصومُهم من المعتزِلة، المعتزلـة يقولون بوجوب الأصلَح، وبعضهم يقـول بوجـوب الصـلاح علـى اللـه عـز وجل لأنَّ هذا مقتضَى الحكمة، وأولئك الجهْمِية بالعكس يقولون: إنَّ الله عز وجل يخلُق الشيء بدون سبب وبدونِ حكمة لأنَّـك لـو أثبـتَّ الحكمـة والسبب لَزِم إيجاب المسبَّب أو الفعْل الـذي يكـون مسـبَّبًا لهـذا السـبب وهذا يقتضي أن نوجِبَ على الله عز وجل فعل الشيء، ما هـو الجـواب؟ نقول: إنَّ إثباتَ الحكمة أو السبب لا يستَلْزِم أن نوجبَ علـى اللـه ولكـن مُقتضَى كونِه حكيمًـا أن يفعَـل وأن يُوجَـد المسـبَّب عنـد وُجـود السـبب، ونحن لـم نـوجِبْه ولكـن الـذي أوجبَـه اللـهُ علـى نفسِـه بمقتَضـى اسـمِه (الحكِيم) ووصفِه بالحكمة، وإيجابُ الله على نفسِه ليس بممتَنِع، كما أنَّ تحريمَه على نفسِه ليس بممتَنِع فقـد قـال اللـه تعـالى: ((**كتَبَ ربُّكـم على نفسـه الرحمـة**))، وقـال تعـالى فـي الحـديث القدسـي: **(يـا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي**) فللهِ أن يُحَرِّمَ على نفسِـه وأن يُوجِب على نفسه ما شاء، أمَّا نحن فلا، فإذا قيـل مثلًا: هـذا مصـلحة فيجِبُ أن يكون فإنَّنا نقول: نعم نلتَزِم بهذا ولكن هل نحن الذين أوجبْنَـاهُ على الله؟ لا بل اللهُ هو الذي أوجبَه على نفسه وهذا لا يُنَـافي كمـالَه بـل هو مِن مقتضى كمالِه، إلَّا أنَّ المحـذور هنـا فـي هـذا البـاب المحـذُور أن نَظُنّ أنَّ المصلَحَةَ في كذا وحقِيقَةُ الأمْر أنَّ المصلَحة في عـدَمِه هـذا هـو الذي يُخشَى منه، وحينئذ نعتقِد أنَّ هذا واجِـبٌ علـى اللـه وهـو لـم يجِـب نعتَقِد أنَّه واجِبٌ على الله بمقتضَى فهمِنا أنَّ هذا مصلحة وخيْر ثم نُـوجِبُه على الله هذا هو المحذُور، أمَّا إذا حُقِّقَتِ المصلحة فلا مانِع مِن أن نقُول:

أنَّ الله سبحانه وتعالى أوجب على نفسه أن تكُونَ المصلحة؛ لأنَّ هذا هو مقتَضَى اسمِ الله الحكِيم، وفي هذه الحال لم يحصُـل منَّـا أي عُـدْوان أو ظُلْم، بل قلنا بمقتَضَى حكمةِ الله سبحانه وتعالى، طيب هنا قال ...
قولُه تعالى، نحن أخذنا فوائد مما سبق؟ ...
قال الله تبارك وتعالى: ((**إنَّ الله عزيز غفور**)) (إنَّ اللـه عزيـز) أي ذُو عِزَّة قال العلماء: والعِزَّةُ ثلاثَة أنواع عِـزَّة القَـدْر وعـزة القهْـر وعـزة الامتناع، فأما عزةُ القـدر فمعنـاه أن اللـه تعـالى ذو قَـدْرٍ عزيـز، والقـدر بمعنى المكانَة والشَّـرَف والسُـؤْدَد ونحـو ذلـك، عـزةُ القهْـر أي أنَّ اللـه تعالى غالِب غير مغلُوب ومنه قوله تعالى: ((**فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب**)) أي غلَبَنِـي، عـزةُ الامتنـاع أي أنَّ اللـه سـبحانه وتعـالى يمتَنِع عليه النَّقْص في ذاتِـه أو فـي صـفاتِه ومنـه قـولهم: أرض عَـزَازٌ أي شـدِيدةٌ صَـلْبَة لا يتجاوَزُهـا شـيْء لِصـلابَتِها ولا يُـؤَثِّر فيهـا شـيء لِقوَّتِهـا وشدَّتِها فالعزَّةُ إذًا ثلاثة معاني عزةُ القـدْر وعـزةُ القهـر وعـزة الامتنـاع، طيـب ((**غفور**)) أي ذُو مغفـرة كمـا قـال تعـالى: ((**وإن ربك لـذو مغفرة للناس على ظلمهم**)) والمغفِرَة ستْرُ الـذنب والتجَـاوزُ عنـه يدُلُّ لذلك اشتقاقُها فإنَّها مشتَقَّة مِن المِغْفَر وهـو مـا يُغَطَّـى بـه الـرأس وتُتَّقَى به السِّهَام، وفي المِغفَر سِتْر ووِقَايَة وعلى هذا فنَقُول: الغفُـور ذُو المغْفِرَة وهي سَتر الذنب والتجاوُز عنه، ويدل لهـذا المعنـى زيـادَةً علـى دلالة الاشتقاق ما ثبت في الحديث الصحيح: أنَّ الله عز وجل يخلُو بعبدِه المؤمن فيُقَرِّرُه بذنوبِه حتى يُقِرَّ بها، ثـم يقـول: **(قـد سـترتُها عليـك في الدنيا وأنا أغفرُها لك اليوم)** يعنـي أتجـاوَزُ عنهـا، وفـي الـدنيا سترها الله على العبد ومناسبة ذكرِ العِزَّة والمغْفِرة هنا بعد ذِكْرِ الخَشْـيَة الإشارَة إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى أهلٌ لأن يُخْشَى لأنَّـه عزيـز، وأنَّـه إذا نقصَ شيءٌ مِن الخشية فإنه يُقابَل بِمـاذا؟ بـالمغْفِرَة فهـو عزيـزٌ فلـذلك كان أهلًا للخشية، وهو غفور إذا نقـصَ شـيء ممـا يجِـبُ لـه مِـن خشـيتِه سبحانه وتعالى
أمَّا فوائد الآية فإننا نقول وبالله نقـول: يُسـتفاد مِـن الآيـةِ الكريمـة بيـانُ قُدْرَةِ الله سبحانه وتعالى في اختلافِ ألوان الناس والـدواب والأنعـام أي أصنافِها وأشكالِها لأنَّ اختلاف هذه الألوان وهي شيءٌ واحد أو نَـوعٌ واحـد دَليل على القُدْرة فبنُو آدم مثلًا لا يمكن أن يشتَرِك شخصان أو أن يتمَاثَل شخصان في كل شيءٍ أبدًا إن قُدِّرَ تماثُلهما في الخِلْقَة فسـيختلفان فـي الخُلُق، والتساوي في الخُلُق أمر مستحيل لأنَّ الناس يتبايَنُون فيـه تباينًـا

عظيمًا أشدَّ مِن التَّبَـايُن الخِلْقِـي، وإن كـان التبـاين الخِلقِـي أظهـر؛ لأنـه يُشاهد ويُرَى، ولكن التبايُن الخُلُقِي أشـد؛ لأنـه لا يمكـن أن يَتَّفِـقَ النـاسُ فيه أو أن يتساوى الناس فيه أبدًا لأَنَّ أي كلمة تحصُـل مِـن أحـدهما دون الآخر يحصُل فيها التباين

طيب ومِن فوائد الآية الكريمة فضِيلَةُ خشيةِ الله عز وجل حيث لا يتَّصِفُ بها إلا العلماء.

ومن فوائـدها أيضًـا فضـيلةُ العلـم؛ لِكـونِه سـببًا لخشـيةِ اللـه عـز وجـل، والخشيةُ صفةٌ لها آثـار حميـدة لأنَّ الإنسـان إذا خشِـيَ ربـه فـإنه يتجَنَّـب معاصِيَه ويفعل أوامرَه خوفًا منه سبحانه وتعالى، ولهذا لما ذكر اللـه عـز وجل ثـواب ((**الذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات أولئـك هـم خيـر البرية * جزاءُهم عند ربهم جناتُ عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنـه**)) قـال: ((**ذلـك لمن خشِيَ ربه**)) وهو دليلٌ على أنَّ الخشـية تـوجِبُ الإيمـان والعمـل الصالح.

ومن فوائدها إثباتُ اسمَيْن من أسماء الله وهما العزيز والغفـور، وإثبـات ما تَضَمَّنَاه مِن الصـفة وهـي العِـزة والمغفـرة، وإثبـاتُ مـا تضـمناه مِـن الحكم وهو الأَثَر صح؟ أمَّا الغفُور فنعم لها أثَر وحُكْم كما قال تعـالى فـي آخر سورة البقرة: ((**يغفر لمن يشاء**)) ((**والله على كـل شـيء قدير**))، طيب (العزيز) هل لها حكم؟ قلنـا: إنَّ مِـن معانيهـا الغَلَبـة وإذا كانت (عَزَّ) بمعنى (غَلَب) صـارَتْ مُتَعَدِّيَـة فيكُـونُ لهـا حكـم أي أثَـر، إذًا إثباتُ ما تضمَّنَهُ الاسمَان مِن الصفة والحُكْم الذي نعبِّرُ عنه أحيانًـا بـالأَثر، ومَرَّ علينا فيما سَبق أنَّ أسماء الله عز وجل إمَّا لازِمَـة وإمـا مُتَعَدِّيَـة، فاللازمة يُثْبَت منهـا الاسـم والصـفة، والمتعديـة يثبَـتُ منهـا الاسـم والصـفة والأَثَـر، " إنَّ اللـه عزيـز فـي ملكِـه غفـور لـذنوبِ عبـاده المؤمنين " طيب ما شـرحنا كلام المؤَلِّـف، قـولُه: " إن اللـه عزيـزٌ في ملكه " هذا مبنِيٌّ علـى أن العـزة بمَعْنَـي الغلَبـة كمـا يفسـرها كثير من المفسـرين بـذلك ويقـول: العزيـز أي الغـالب، ولكـن هـذا التفسير الذي ذكرْنَاه ما نُطْلِقُهَـا فـي المـُلْك تقـول: هـو عزيـز ولا نقول بها فـي المـُلك لأَن اللـه سـبحانه وتعـالى عزيـزٌ فـي ملكـه وعزيزٌ في صفاته كلِّها وعزيز فـي شـرعِه فـالعزةُ عامـة مـا دُمنـا نقول: إنها عزة الامتناع والقدْر والقهر، وأما " غفـور لـذنوب عبـاده المؤمنين " فتقييدُها بذلك أيضا فيه نظر ولـو قـال المؤلـف: غفـور

لِمَن تاب إليه أو لِمَن استغفره لكانَ أشمل لأَنَّ اللـه تعـالى يغفـر حتى لغيرِ المؤمنين إذا تابوا إلى الله ((**قـل للـذين كفـروا إن ينتهوا يُغْفَر لهـم مـا قـد سـلف**)) ((**قُـلْ يَـا عِبَـادِيَ الَّـذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِـرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**))[الزمر:53] فالتعميم أولى من التخصيص

ثم قـال تعـالى: ((**إن الذين يتلـون كتـابَ اللـه وأقـاموا الصـلاة وأنفقوا مما رزقنَاهم سِرًّا وعلانِيـة**)) زكـاةً وغيرَهـا ((**يرجـون تجارة لن تبور**)) تهلِك " الإعراب في هذه الآية واضِح مـا فيـه إشـكال إلَّا أن قولَه: ((**إن الذين يتلون**)) تحتاج إلى خبَر فما هو الخبر؟ الخبر جملة (يرجون تجارة لن تبـور) فهـذا هـو الصـحيح مِـن أقـوال المعْرِبِيـن يعني: إنَّ هؤلاء فعلوا ذلك يرْجُون تجارَةً لن تبـور فجملـة (يرجـون) هـي خبر (إن) قال تعالى: ((**إن الذين يتلون كتاب الله**)) قـال المؤلـف: " يقرَؤُون " والصواب أنَّ التلاوة أعمُّ مـن القـراءة والتلاوة نوْعَـان تلاوةٌ لفظِية وهـي القـراءة، وتلاوة عمليـة وهـي اتِّبَـاعُ القـرآن تصـديقًا للخَبَـر وامتثالًا للأمر، ولهذا يقال تَلَاه بمعنى تَبِعَه أي جاء بعده فالتلاوة أعَـمُّ مِـن القراءة، وهو التلاوة نوعان تلاوةٌ لفظيـة وتلاوة عمَلِيـة: تلاوة لفظيـة أن يقرأ الإنسان القرآن، والتلاوةُ العملية أن يتَّبِعَه بامتثال أوامـره وتصـديقِ أخبارِه أو، نعم، بموافقَتِه وتصديق أخبارِه، التلاوةُ العمليـة تسـتلزم فهْـمَ المعنى ولَّا لا؟ نعم؛ لأنَّه لا يمكن أن يعمَل إلا بما .. وعلى هذا يكونُ فعـلُ الصحابة رضي الله عنهـم تطبيقًـا لهـذه الآيـة تمامًـا؛ لأنهـم لا يتجـاوزون عشرَ آيات حتى يتعلَّمُوها وما فيهـا مِـن العِلْـم والعمـل قـالوا: " فتعلمنـا القرآن والعلم والعمل جميعـا "، طيـب يقـول اللـه تعـالى: ((**إن الذي يتلون**)) فعْلٌ مضارع يدُلُّ على الاستمرار بخلاف ما لو قـال: إن الـذين تلَوْا في الماضـي فـإنَّه لا يُفِيـدُ المعنـى الـذي يفيـدُه المضـارع (يتلـون)، وقوله: (كتاب الله) هل هو القرآن أو هو أعَـمّ مِـن ذلـك؟ الجـواب: أعـمُّ من ذلك (كتابَ الله) الكتب التي أنزلها الله تعالى على الرسـل فيشـمل جميع الكتب لأنَّ هذا الحكم يشْمَل المؤمنين مِـن هـذه الأمـة والمـؤمِنِين ممَّن سبقَهُم فَيَكُون المرَاد بالكِتَاب هنا (كتابَ الله) المراد به كـلَّ كتـاب أنزلَه الله تعالى على رسلِه، ((**يتلون كتاب الله وأقاموا الصـلاة**)) معْطُوفة على (يتلون) قال المؤلف:" أداموها " والصواب خلاف ما قـالَه المؤلف يعني معناه أننا نختَارُ كلمةً أشدَّ مطابقَةً لِلَّفْظ، أقاموا الصلاة أي أتَوا بها مُسْتَقِيمَة فيشمَل فعلَ الصَّلاة تامَّةً بشروطِها وأركانِهـا وواجباتِهـا

ومستحَبَّاتِها، ويشمل الإدامَة ولا لا؟ يشمل الإدامة أيضًا؛ لأن الإدامـة مِـن الإقامة وعلى هذا نقول: (أقاموا الصلاة) أي فعلُوها قائمـةً أي مسْـتَقِيمَة على الوجه المطلوب منه، لو أنَّ الإنسان أدامَ الصلاة لكن يُخِـلُّ بأركانِهـا أو واجباتِها فهل يُقَال: إنه أقامَ الصلاة؟ لا، فالرجُل الـذي جـاء يصـلي ولا يَطْمَئِنّ كان يصلي هذه الصلاة منذُ أسلم والرسول عليه الصلاة والسلام قال له: (**صلِّ فإنك لم تصلِّ**) مع أنه يُـديم الصـلاة ويُصَـلِّي لكنـه لـم يصلِّ حيث أنه لم يأتِ بهـا قائمـةً علـى الـوجهِ المطلـوب، فالصـواب أنَّ الإقامة هنا بمعنى أن يفعَلَها على الوجه المطلوب منه، والصلاة معروفـة للجميع لا تحتـاج إلـى تعرِيـف؛ لأنهـا عبـادةٌ ذات أقـوالٍ وأفعـالٍ معلومـة مُفْتَتحة بالتكبير مُختَتَمة بالتسليم.

طيب قال: **(وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية**)) أنفقـوا بمعنـى بذَلُوا وأخرجوا، (مما رزَقْناهم) مما أعطينَاهم لأنَّ الرزق بمعنى العَطَـاء، وقولُه مما رزقنَاهم هل (من) لبيانِ الجِنس أو هـي للتبعيـض؟ الأولـى أن نجعلَها لبيان الجنس لِتشمَلَ ما لو أنفقُوا جميعَ أموالهم على الوجْه الـذي يرضَاه الله ورسولُه فـإنهم يـدخُلون فـي هـذا الوصـف، وقـولُه: ((**سرا وعلانية**)) (سِرًّا) مصْـدَر نعـم، ولكنهـا فـي موضِـع الحـال أي مُسِـرِّين ومُعْلِنِين انتبه! مُسِرِّين ومُعْلِنِين، الإسرار أن يُخْفُوا الإنفاق فلا يعلَم به إلا المـُنفِق عليه، والإعلان أن يُظْهِرُوه للناس إما إظْهَارًا كاملًا شـاملًا، وإمـا أن يكون إظهارًا نسـبِيًّا يعلـم بـه مَـن حـولهم، كـلُّ ذلـك يُمْـدَحُون عليـه، وسيأتي إن شاء الله في ذكرِ الفوائد أنَّ هذا يكون بحسـب الحـال، قـال: ((زكاةً)) وغيرَها، غير الزكاة كالإنفاق الواجِب على الأقارِب وكصدقات التَطُـوُّع فالإنفـاق هنـا شـامِل، قـال: ((**يرجـون تجـارة لـن تبـور**)) (يرجُون) يعني يُؤَمِّلُون ويطلُبون منه هذه التجارة، ((**تِجَارَةً لـن تَبُـور**)) أي لن تَهْلِك كما قال المؤلف: ما هذه التجارة؟ التجارَة ذكرَها الله عز وجل في قـوله: ((**يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آَمَنُـوا هَـلْ أَدُلُّكُـمْ عَلَـى تِجَـارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُـونَ * يغفر لكم ذنـوبَكم**))[الصـف:11] فهنـا عِـوض ومُعَـوَّض، العِـوَض الإيمـان بـالله والجهـاد فـي سـبيلِه، المعـوَّض ((**يَغْفِرْ لَكُـمْ ذُنُـوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ وَمَسَـاكِنَ طَيِّبَـةً**)) [الصـف:12] هـذه التجـارة لا شـكَّ أنَّهـا أربـحُ التجـارات وأنهـا أبقـى التِّجَـارات، أربـحُ التجـارات لأنَّ الرِّبْـح فيهـا العَشْـر مِائَـة ولَّا لا؟ الحسـنة

بعشر أمثالها إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعف إلى أضعاف كـثيرة، وأبقـى كـذلك هـي أبقى التجارات بلا شكَّ لأنَّها في جنات عدن أي في جنات إقَامـة لا ظَعْـن فيها والله أعلم.

((**إنَّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة**)) إلى آخره يسـتفاد مِـن هـذه الآيـة فوائِـد منهـا فضْـلُ تلاوة كتـاب اللـه عـز وجـل لقـوله: ((**يرجون تجارة لن تبور**)).

ومنها أنَّ الرَّجَاء ينبغي أن يَكون في محلِّه بحيث يكون الإنسان قـد عَمِـلَ عملًا يرجُو الثواب عليه أمَّا الرجاء بدون عمـل فهـو مِـن التمَنِّـي الـذي لا ينفَعُ العبد وفي الحديث: **(الكَيِّسُ من دانَ نفسَه وعَمِـلَ لِمَـا بعـد المـوت، والعـاجِزُ مَـن أتبَـعَ نفسَـه هواهـا وتَمَنَّـى علـى اللـه الأماني)** فلا رجاءَ إلا بعَمَل، وفي الحديث الصحيح أيضًـا: **(لا يمـوتَنَّ أحدُكم إلا وهو يحسن الظن بالله)**، وفي الحـديث الصـحيح: **(أنا عند ظنِّ عبدِي بي)** وكلُّ هذه النصوص وما أشبهها إنَّما تكـون فيمـن يعمَل ما يمكن أن يرجُوَ به ذلك، وأن يُحْسِنَ به الظن، لـو أنَّ أحـدًا أسـاء واستكْبَرَ عن عبادَةِ الله وقال: أنا أحسنُ الظن بالله. لكان هذا ظَنَّ وهْـم لا بُد مِن شيء يبنِي عليه هذا الظن، لو قال: أنا أرجـو رحمـة اللـه. قلنـا: هذا وهم حتى تعْمَل، ولهذا قال تعالى في سـورة البقـرة: ((**إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ أُوْلَئِـكَ يَرْجُـونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّـهُ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ**))[البقـرة:218] هـؤلاء هـم الـذين يرجون، وهنا أيضًا مثلُه.

مِن فوائد الآية الكريمة أنَّ الثوابَ فـي الآخـرة لا ينقَطِـع؛ لقـولِه: ((**لن تبور**)) بل ربما نقُول: إنَّ هذا أعَمّ بحيث يُثَابُ الإنسان فـي الـدنيا ثوابًـا مُسْتَمِرًّا إلى الآخرة لأن الحسـنات قـد يـرَى الإنسـان ثوابَهـا فـي الـدنيا، وثوابُها في الدنيا يسـتمِرّ إلـى ثـواب فـي الآخـرة كمـا قـال اللـه تعـالى: ((**كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طَيِّبِيـن يقولون سلام عليكم ادخُلوا الجنة**)) طيب

ومِن فوائد الآية الكريمة فضْلُ إقامةِ الصلاة لقولِه: ((**وأقاموا الصلاة**)) وهو شامِل -كما قلنا في التفسير- شاملٌ لفـرضِ الصـلاة ونفلِهـا فمـا تُقامُ به الفريضة تقام به النافلة وما تقامُ به النافلة تقـام بـه الفريضـة إلا بدليل يدُلُّ علـى الفـرق بينهمـا، وأظنُّنَـا قـد جمعْنَـا الفُـرُوق بيـن فـرضِ الصلاة ونفلِها فبلغَت ثمانيةً وعشرين فرقًا منها ما هو واضِـح دلَّـتْ عليـه السُّنَّة ومنها ما هو دون ذلك، فالمهم أنَّ الأصل أنَّ إقامةَ الفريضة إقامـةٌ

للنافلة وإقامةَ النافلة إقامةٌ لِلفريضة هذا الأصل، فما ثبَـتَ فـي إحـداهما ثبتَ في الثاني إلا بدَلِيل.
ومن فوائد الآية الكريمة أيضًا فضيلةُ الإنفاق نعم لأنَّه أعْقَـبَ الصـلاةَ بـه: أقاموا الصلاة وأنفقوا، وهو يدل على أنَّ هذا الانفاق يشمَل الزكـاة وغيـرَ الزكاة؛ لأنَّ الله تعالى يقرِنُ دائما في الذكر بين الصلاة والزكاة.
طيب ومِن فوائدِ الآية الكريمة أنَّ المنْفِق ليس مانًّا على اللـه عـز وجـل لأنَّه إنما يُنْفِق ممـا رزقَـه اللـه، فمهمـا بلَغَـتْ بـك نفسُـك مـن الإعجـاب والكبرياء على إنفاقِك فاذكُر قولَه: ((**مما رزَقْناهم**)) كُلُّ شيء تنفقُه فليس لك فيه مِنَّة على الله عز وجل بل للهِ المنةُ عليـك بـه فـي إيجـادِه وفي إنفاقِه: في إيجادِه؛ لأنَّه لولا أن الله رزقَك ما حصل لك، وفي إنفاقِه لأنَّ كثيرًا مِن الناس يبخَلُون بما آتـاهم اللـه مِـن فضـلِه ((**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُـوَ خَيْـرًا لَهُـمْ بَـلْ هُـوَ شَرٌّ لَهُمْ**))[آل عمران:180]، فمِـن نعمـةِ اللـه عليـك أن يَمُـنَّ عليـك بالإنفاق بعد أن مَنَّ عليك بالرزق والعطاء.
ومن فوائد الآية الكريمة أيضًا أنَّ الإنفاق لا نَقُول: إنَّ الإسرارَ فيه أفضَل، ولا إنَّ الإعلان فيه أفضَل بل هو بحسَب الحال، فتارةً يكون الإنفـاقُ سـرًّا أفضل وتارة يكون الإنفاق علنًا أفضل، حسَب مـا تقتضـيه الحـالن بخلاف الصَّدقَة فالأصلُ فيـه السِـرّ قـال اللـهُ تعـالى: ((**إِنْ تُبْدُوا الصَّـدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّـرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُـونَ خَبِيـرٌ**))[البقـرة:271] لأنَّ الصدقة فيها نوعُ مِنَّةٍ على المعْطَى فربما ينكَسِر أمامِ الناس إذا أُعْلِنَـتِ الصَّدَقَةُ له فصَارَ إخفائُها أفضَل، وفي الحديث الصحيح في الذين يُظِلُّهـم الله في ظِلِّه: (**رجلٌ تصدَّقَ بصدَقَةٍ فأخفَاها**) أمَّـا الأشـياء العامَّـة والمعْلَنَة كما لو أردنا أن نُنْفِقَ في مشروع خيرِيٍّ عـام لا يظهَـر فيـه مِنَّـة على شخصٍ مُعَيَّن فهنا قد يكونُ الإعلان فيه أفضَل، وكذلك لو أنَّ شخصا جاء إلينا وقال: أرجو أن تجمعوا لي مِن النـاس فهنـا ربمـا يكـون الإعلان أفضَل مِن أجلِ أن يَقْتَدِي بك غيرُك، وهذا الرجل الذي طَلب مِنَّا أن نجمَعَ له لا يَهُمُّه أن يعلمَ الناس بأنَّه يُتَصَدَّقُ عليه أو لا يُتَصَدَّق، المهم أن نقول: إنَّ السرّ والإعلان في الإنفاق كلُّه خير لكنِ الصـدقة الأفضـل فيهـا السِّـرّ لما في إظهارِها مِن كسر قلب الـمُعْطَى، نعـم، وأمَّـا الأشـياء العامـة أو الصَّدقة على شخصٍ معين هو الذي طلبَ منَّا أن نجمَعَ لـه مثلًا فهـذا قـد يكونُ الإعلان فيه أفضل.

ومِن فوائد الآية الكريمة التنْبِيه على الإخلاص لقولِه: ((**يرجُون تجـارة**)) لا يُريدون تجـارَةً تبـور وتهلِـك يعنـي لا يريـدونها سُـمْعَة، لأنَّ السـمعة والجَاه بين الناس لا شكَّ أنه كَسبٌ للمرء ويعتَبَرُ تجارَة لكـن هـذه تجـارَة هالِكة تَزُول بزوالِ الشخص أو تزُول بزوال ما اشـتهَرَ بـه؛ لأن مَـن حُمِـدَ على شيء ذُمَّ علـى فقـدِه، لكـن الـذي يرجُـو ثـواب اللـه ويُحسِـن النيـة والقَصْد هذا هو الذي حصَلَ على تجارة لن تَبُور، ففيه التنبيه على ايــش؟ على الإخلاص وأنه ينبغي للإنسان أن يكُون مخلصًا لله تعـالى فـي عَملِـه اللازِم أو القاصِر والمـُتَعَدِّي، القاصِر كالصلاة، والمتعدي كالصدقة.

ثم قال الله عز وجل: ((**ليوفيَهم أجورهم ويزيدَهم من فضــله**)) قال: (ليوفيهم) أي يعطيَهم أجورَهم وافِية كاملة، والضمير ضميرُ الفاعل يعود على الله في قـولِه: ((**إن الذين يتلـون كتـاب اللـه**)) وقـولُه: (ليوفيهم) اللام هذه للعاقِبَة وقيل: للتعليـل، فعلـى القـول بأنَّهـا للعاقِبـة تكون مُتعلِّقَة بـ(يرجون) يرجون تجارةً لن تبور عـاقبتُهم أن يـوفيَّهم اللـه أجورَهم، وعلى أنَّها للتعليل مُتعلِّقَة بـ(يتلون) و(أقاموا) و(أنفقـوا) يعنـي يتْلُون لِيـوفيَهم أجـورهم، أقـاموا الصـلاة لِيـوفيَهم أجـورَهم، أنفقـوا ممـا رزقناهم لِيوفِيَهم أجورَهم يعني قصَدُوا ما رَتَّبَ اللـه علـى هـذه الأعمـال مِن الأجور، وهـذا الفعـل يَنْصِـب مفعـولين أحـدُهما هنـا (الهـاء) والثـاني (أجور) وهو مِن أخوات؟

الطالب: من أخواتِ كسا.

الشيخ: نعمـ مِن أخوات كسا وأعطـى؛ لأنـه نصَـبَ مـا لا يصِـحُّ أن يكـونَ مبتدأً وخبرًا، وكلُّ فعل ينصِب مفعـولين لا يصِـحُّ أن يكـون أحـدُهما خـبرًا عن الآخر فهو مِـن بـاب (كسـا) أي نعـم، ((**ليوفيَهم أجـورَهم**)) أي ثـوابَ أعمـالِهم المـذكُورة " والتوفِيـة هـذه معروفـة لنـا جميعـا وهـو أنَّ الحسنة بعشـر أمثالهـا إلـى سـبعمائة ضـعف إلـى أضـعافٍ كـثيرة، فمثلًا الصلاة حسنَة بعشْرِ أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كـثيرة، ومـع الجماعـة تكـون كـم حسـنة؟ سـبعًا وعشـرين حسـنة كُـلُّ حسـنَة بعشـرِ أمثالهـا، قـال: ((**ويزيدَهم مِـن فضـله**)) معطُوفَـة علـى (يـوفيهم) ويزيدَهم من فضله يعني يزيدهم عطاءً وأجرًا مِن فضله، وهذا مِثْل قـوله تعالى: ((**كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَـنَابِلَ فِـي كُـلِّ سُـنْبُلَةٍ مِائَـةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيـمٌ**))[البقـرة:261] وقولُه: (يزيدهم من فضله) يشمل الفضْل فـي الـدنيا والآخـرة، أمَّـا فـي الدنيا فإنَّ الإنسان إذا عمِل العمل الصالح مخلصًا للهِ به حَبَّـبَ اللـه إليـه

العمل حتى يزيدَ في العمل وهذا شيءٌ مُشَاهد، كذلك إذا أعطـى وأنفَـق زادَه الله مِن فضلِه قال الله تعالى: ((**وما أنفقتم مـن شـيء فهـو يخلفُـه**)) أي يـأتي بخَلَفِـه، فالزيـادة إذًا تشـمل زيـادَة الأجُـور وزيـادة الأعمَال وزيادة المال المنْفَق منه، زيادة الأعمال لِأني قلت: كلمـا عمـلَ الإنسان عملًا صالحًا حبَّبَ الله إليه العمل وزاده فيه، زيادةُ المال ((**وما أنفقتم مِن شيء فهـو يخلفـه وهـو خيـر الرازقيـن**)) ((**وَمَـا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّـاسِ فَلا يَرْبُـوا عِنْـدَ اللَّـهِ وَمَـا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيـدُونَ وَجْـهَ اللَّـهِ فَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الْمُضْـعِفُونَ**)) [الروم:39] (ويزيدَهم مِن فضله) أي عطائِه الذي يتفضَّلُ به عليهِم.

((**إنَّه غفورٌ**)) لذنوبِهم ((**شكورٌ**)) لطاعَتِهِم " هذا تعلِيـل لم ا سـبق مِن توفيةِ الأجُور والزيـادة مِـن الفضـل، يعنـي أنَّ اللـه عـز وجـل لكـونه غفورًا رحيمًا صار يوفِّيهم أجورَهم ويزيدهم مِن فضله، وفـي هـذا إشـارَة إلى مغفرةِ الله سبحانه وتعالى لِلعامِل وإلى شكرِه إيَّاه، (الغفور) صيغَةُ مُبَالَغَة، أو صفَةٌ مُشَبَّهَة مأخُوذَة مِن الغَفْـر وهـو السَّـتْر مـع الوِقَايـة؛ لأنَّ أصل هذه المادَّة المِـغْفَر والمغفَر يحصُل به الستر والوقاية، إذًا ما معنى أنَّ الله غفور؟ معناه أن اللـه يسـتُر الـذنوب ويتجـاوَز عـن العقوبـة، وم ا أدري مَا أكثر ما نُذْنِب فيما بيننا وبين ربِّنا ومع ذلك يسترُها الله عز وجل، وإذا كـان يـوم القيامـة عفَـا عـن عقوبَتِهـا وبـذلك تَتَحَقَّـقُ المغفـرة، أمَّـا الشَّكُور فنقُول في تصْرِيفه كما قلنا في غفور: إنَّه إما صِيغة مبالغة وأمـا صِفَة مُشَـبَّهَة فهـو سـبحانه وتعـالى شـكُور أي يَشْـكُر مَـن عمِـل العمـل الصالح، ومِن شكرِه إيَّاه أنَّه يضاعف له الأجر الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وانظُر إلى كمال اللـه عـز وجـل فـي صفَتِه أنَّه هو الذي يَمُنُّ عليـك بالعَمـل ثـم يشـكُرُك عليـه ((**هل جـزاء الإحسان إلا الإحسان**)) سبحان اللـه العظيـم، ربنـا يُحْسِـنُ إلينـا ثـم يقول: ما جزاءُ إحسانِكم إلا أن نُحْسِنَ إليكم، وهو الذي تَفَضَّل به أولًا ثـم ثانيًا، وهذا يدُلُّك على سَعَةِ كرمِ اللـه والحمـد للـه وأنَّـه عـز وجـل واسِـع الكَرَم

في هذه الآية عِدة فوائد أولًا: أنَّ طلبَ الإنسان للثواب غايةٌ عظيمة؛ لِأن اللام كمـا أشـرنا إليـه آنِفًـا لغيـر العاقبـة اللام للتعليـل، فهَـذا إذا قلنـا .. للتعليل وهي صالحة للتعليل، فكون الإنسان يعمَل مِن أجل الأجْـر هـذا لا يُعَدُّ نقصًا خلافًا للصوفية الذين يقولـون: لا تعبُـدِ اللـه لثـوابِ اللـه ولكـن اعبُدِ الله لله. فنقول لهم: هذا خطَأ فالله تعالى وصفَ أشرَفَ هذه الأُمـة

وخيرَ هذه الأمة بأنَّهم يريدون فضلًا مِن الله ورِضـوانًا، قـال اللـه تعـالى: ((**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَلَـى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُـونَ فَضْـلًا مِـنَ اللَّـهِ وَرِضْـوَانًا**)) [الفتح:29]، ومع ذلك لا نقول: إنَّك لا تعْبدِ الله لله. اعبُدِ الله لله ولثوابِ الله، فإنَّك لن تصِلَ إلى الله إلا بعد وصولِك إلى ثوابِ الله، فإنَّ لقاءَ اللـه اللقاءَ الذي هو الرِّضَا التَام إنما يحصل متى؟ في الجنـة ولِهـذا قـال اللـه تعالى: ((**فمن زحزح عن النـار وأدخـل الجنـة فقـد فـاز**)) هـذا الفوزُ الكامل، وقولُه: **(والذين صبروا ابتغاء وجه ربهـم وأقـاموا الصلاة**)) نعم متى يرَوْنَ وجـه اللـه؟ إذا دَخَلُـوا الجنـة، رؤيـةُ وجـهِ اللـه الرُّؤْيَة التَامَّة بعد دخول الجنة، الحاصل أنَّ في هذه الآية وأمثالِها مَا يـدُلّ على ضَعْف ذلك المسْلَك الذي سـلكَه أولئـك الصـوفية بـأن لا تعبـدَ اللـه لثوابِ الله ولكن اعبُدِ الله لله، فنقـول: مـا أكـثرَ الآيـات الدالـة علـى أنَّ العبادة تكون لِفضلِ الله وثوابِه.

ومِن فوائد الآية الكريمة ضَمَان الثواب يعني أنَّ الثوابَ مضمُون للعامِـل الذي يتعَامَلُ مع الله عزَّ وجل بناءً على أنَّ اللام للعاقِبَة أي أنَّ هذا العمل سوف يُوَفَّى (لِيوفيَهم أجورهم). وفيها أيضًا وجهٌ آخر لضمان الثواب أنَّ الله سماه أجرًا، والأجـر لا بـد أن يُـدْفَع لِمَـن قـامَ بالعَمَـل، بـل جـاءَ فـي الحديث الصحيح القُدُسي قال الله تعـالى: **(ثلاثةٌ أنـا خصـمُهم يـوم القيامة: رجل أعطَى بِي ثم غدَر، ورجل باعَ حُرًّا فأكَـلَ ثمنَـه، ورجلٌ استأجَرَ أجيرًا فاستوفَى منه ولم يُعْطِهِ أجرَه)**، فإذا كانَ الله خَصْم هؤلاء لأنَّهم لـم يُعْطُـوا الأجْـر فـإنَّه يـدُلُّ علـى أنَّ الأجـر الـذي ضَـمِنَه اللـه لعبـادِه سـوف يحصُـل قطعًـا، ولكـن لا بُـدَّ أن يكـونَ العمـلُ صحيحًا.

ومِن فوائـد الآيـة الكريمـة أنَّ جـزاءَ الحسـنات أكـثر ممـا يجِـب؛ لقـولِه: ((**ويزيدهم من فضله**)) وزيادةُ الفضل شرحنَاها في التفسير.

ومِن فوائدها إثباتُ الاسمين الكريمين (الغفور) و(الشكور) وما تضـمَّناه مِن صفة وهي المغفرة والشُّكْر، وما تضمّنَاه أيضًـا مِـن أثـر وهـو الحُكـم فإنَّ (غفور) يُؤْخَذ منها أنَّه يغفِر، وشَكُور يأخذ منها أنه يَشكُر مَن يستَحِقَّ الشُّكْر.

وفيه أيضًا في الآية الكريمة دليلٌ على ثُبُوتِ الأفْعَـالِ الاختياريَّـة للـه عـز وجـل؛ لقـوله: ((**ليـوفيهم ويزيـدهم**)) وهـذا مـذهب أهـل السـنة والجماعة أنَّهم يُثْبِتُون لله تعالى الأفعال الاختيارية أي التي تقَـعُ بمشـيئَتِه

فإنَّه تعالى فَعَّالٌ لِما يريد خلافًا لِمَن زعَم أنَّ الله تعالى لا يُوصَف بشــيء حادِثٍ أبدًا نعم.

((**والذي أوحينا إليك مِن الكتاب هو الحق مصدِّقًا لما بين يديه**)) الجملة هنا (والذي أوحينا إليك من الكتـاب هـو الحـق) جـاءت بصـيغة الاسمِيَّة المحصُورة، وطريقُ حصرِها أمرَان: الأمرُ الأول: تعريـف ركنَيْهـا وهما المبتدأ والخبر فـ(الذي) مبتدأ و(الحق) خبر، وقد قال أهـل البلاغـة: إنَّ تعرِيفَ الركنين مِن الجملة الاسمية يُفِيد الحصر، نعم، الطريق الثـاني من طُرُق الحصـر: هـو ضـميرُ الفصـل وهـو قـوله: (هـو الحـق) فضـميرُ الفصل مِن فوائدِه الحَصْر، وله فائدة الثانية: التوكيد، وله فائـدة الثالثـة: الفصل بين الخبر والصفة، طيب يقـول: (الـذي أوحينـا إليـك هـو الحـق) (أوحينَا إليك) الوحْي إعلامُ الله سبحانه وتعـالى أنبيـائَه ورسـلَه بشـريعَة مِن شرائِعِه، نعم هذا هو الوحي شرعًا، أمَّا في اللغـة فقـالوا: إنَّ الـوحي هو الإعلام بسُرُعَةٍ وخفَاء، يعني مثل الإشارَة والهمس وما أشبَهَه يُسَمَّى وحيًا لكنه في الشرع

ومنها ما ليسَ بوحي، أحيانًا يُسْأَلُ النبي عليه الصلاة والسلام عـن شـيء ولا يُجِيب فينْزِلُ عليه الوحْي فيُجيب بحـديثٍ نبـويّ مثـل قِصَّـة يعلـى بـن أمية الذي كان أحرَم بالعمرة وهو متعَمِّق بالخَلُوق فسألَ النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولكنَّه لم يجبْه حتى جاءَه الوحي، وأحيانا يُسأَل عــن الشيء ثم ينزِل به الوحي على أنَّه كلام الله قرآن فيبَلِّغُه للنبي صلى الله عليه وسـلم، طيـب يقـول: ((**الذي أوحينـا إليـك**)) والمـراد بـه هنـا القُرآن قطعًا بدليل قولِه: (من الكتاب)؛ لأنَّ (مِن) بيانية تُبَيِّن الإبهام فـي اسْم الموصول (الذي) لأنَّ اسمَ الموصول فيه إبهَـام فـإذا جـاءت (مِـن) بعده بعد اسم الموصول فهي تبْيِنِيَّة، ((**الذي أوحينا إليك مِن الكتاب**)) القرآن " وهو كتاب بمعنى مكتُوب لأنَّ هذه الصيغة (فِعَال) تأتي كثيرا بمعنـى مفعـول، وأمثلَتُهـا غِـرَاس بِنَـاء فِـرَاش بمعنـى مغـرُوس ومَبْنِـي ومفرُوش فالكتاب بمعنى مكتوب، مكتوب فـي أي شـيء؟ مكتـوب فـي اللوح المحفوظ مكتُوبٌ في الصـحف الـتي بأيـدي الملائكـة ((**كلا إنها تـذكرة * فمـن شـاء ذكـره * فـي صـحف مكرمـة * مرفوعـة مطهرة * بأيدي سفرة * كـرامٍ بـررة**)) مكتُـوب فـي المصـاحِف التي بأيدينا، إذًا هو مكتوب على ثلاثة أوجـه: اللـوح المحفـوظ، الصـحف التي بأيدي الملائكة، الصحف التي بأيـدينا، قـال: ((**هو الحـق**)) (هـو) ضمير فصْل و(الحق) خبر (الذي) فـالذي أوحَى اللـهُ إلـى رسـولِه صـلى الله عليه وسلم هو الحقّ أكَّـدَ اللـهُ ذلـك بكـم مؤكـد؟ بمؤكِّـدَين: ضـمير الفصْل وتعريف ركني الجملة (الذي أوحينا إليك من الكتـاب هـو الحـق)، وقولُه: (الحق) يعني الشيء الثابت صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام، فأحكام القرآن كلها عدْل وأخبارُه كلُّها صِدْقٌ ليس فيها كَـذِب بـوجه مِـن الوجـوه، وليـس فـي أحكـامه جَـوْر بـوجه مِـن الوجـوه، لأنَّـك إذا تـأمَّلت أحكامَه وجدتَّه قد أعطى كل ذي حقٍّ حقَّه؛ فلهذا كان عدلًا فـي الأحكـام، وإذا تأملْتَ أخبارَه وجدتَّها كلها صدقًا وهذا هو الصـدق فـي الأخبـار، وقـد قال الله تعالى: ((**وتمَّت كلمةُ ربِّك صدقًا وعدلًا لا مبدلَ لكلماتِه وهو السميع العليم**)).

قال اللـه تبـارك وتعـالى: ((**إن الذين يتلـون كتـاب اللـه وأقـاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية يرجـون تجـارة لـن تبور**)) أخذْنا المناقشة فيها؟

((**مُصَدِّقًا لما بين يدَيْه**))، قولُه مُصَدِّقًا لما بين يدَيْه قال المؤلـف: " تقدَّمَه من الكتب " يعني مصدقًا لِمَا تقدَّمه مِن الكتـب، لأنَّ الكتـب الـتي

سبقَتْه تكون بين يدَيْه، ألا ترى إلى الرجـل يكُـون أمامـك فهـو قـد سَـبَق وتقول: إنَّ الرجل بين يدَيّ، وربما يقال لِمَا بين اليدين للشيءِ المستَقْبَل لأنَّه أمامك أيضًا كما في قـوله تعـالى: ((**يعلم مـا بيـن أيـديهم ومـا خلفَهم**)) أي مستقبلَهم وماضِيَهم، وقوله: (مصدقًا لما بين يديه) كيفِيَّةُ التصديق للكتبِ السابقة مِن وجهين: الوجهُ الأول: أنَّـه صـدَّقَها أي أثبـتَ أنها صادِقَة، فالقرآنُ يثبِتُ صِحَّة التورَاة والإنجِيل والزَّبور وغير ذلـك مـن الكتب ويبَيِّن أنَّها صِدْق، كذلك الـوجه الثـاني: مصـدقًا لمـا بيـن يـديه لأن الكتبَ السابقة أخبرَتْ به فنزولُه يكونُ تصديقًا لها فهو مصـدِّقٌ لمـا بيـن يديه مِن وجهين: الـوجه الأول أنَّـه صـدَّق مـا سـبقَه أي قـال: إنَّهـا كتـبٌ صادقَة ثابتة وأوجبَ الإيمانَ بها، والوجه الثاني أنَّه صدَّق ما أخبرَتْ به أي نزل مطابقًا لما أخـبرَتْ بـه كمـا قـال اللـه تعـالى: ((**وإنَّه لفـي زُبـر الأولين**)) القرآن، (زُبُرِ الأولين) كتبِهم يعني أنَّه موجودٌ في كتبهم وأنـه سوف ينزِل كما أنَّ محمدًا صلى الله عليـه وسـلم كـذلك قـد أُخِـذَ العهـد والميثاق على كل نبيّ أنَّ يصدِّقَ به قـال اللـه تعـالى: ((**وَإِذْ أَخَذَ اللَّـهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَـةٍ ثُـمَّ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَـالَ ءَأَقْرَرْتُـمْ وَأَخَـذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْـهَدُوا وَأَنَـا مَعَكُـمْ مِـنَ الشَّاهِدِينَ**))[آل عمـران:81] المهـم أن تصـديقه لمـا بيـن يـديه مِـن وجهَيْن، طيب قال: ((**مصدقًا لما بين يدَيه**))

((**إنَّ اللهَ بعبادِه لخبِير بصِـير**)) عـالِم بـالبواطِن والظـواهِر " هـذه الجملة تعلُّقُها بما قبلَها أنَّهـا تفيـد تحـذيرًا وإنـذارًا وترغيبًـا، فهـي ترغيـبٌ وترهيب لأنَّه لما أخبر بأنَّ هذا القرآن هو الحـق فقـد انقَسَـم النـاس فـي هذا الحق إلى قسمَين قسمٌ صدَّق به وقسم كفَر به أليس كـذلك؟ طيـب كلُّ هؤلاء نقول لهم: إنَّ اللهَ تعالى بكم خبيرٌ بصير فالذين صدَّقُوا بـه لـن يضيعَ تصديقُهم وعملُهم بما جاء به لأنَّ الله خـبيرٌ بـه وبصـيرٌ بـه وسـوف يجازيهم عليه، والذين كذَّبوا به أيضًا لن تخفَى حالُ هم على الله عز وجل فسوف يعاقبهم بما يقتضِيه تكذيبُهم وإنكارُهم واستكبارُهم، فالجملـةُ إذًا هي باعتبار المصدِّقِين بهذا القرآن لايش؟ للبَشارة، وباعتبـار المكـذبين؟ للإنذار والتحذير، وقوله: (خبير بصـير) (خـبير) اسـم فاعـل علـى صـيغة المبالغة وإن شئتَ فقل: إنه صفة مشبَّهة وهو أحسَن بالنسبة لِمَا يتعلـق بالعلِم الأحسن في هذا أن نقول: أنَّه مِن باب الصفة المشبَّهة لِماذا؟ لأنَّ الصِّفَة المشبهة تدُلُّ علـى الثبـوت، لكـن صـيغَةُ المبالغَـة قـد تـدُلُّ علـى

الحدُوث، وحدُوث الخِبرَة في جانِب اللهِ عز وجل مستحِيل ولَّا لا؟ حدوث الخبرة مستحيل؛ لأنَّه لم يزَلْ ولا يزالُ خبيرًا، إذًا نعود فنقول: أنَّـه يتعيـن أن نجعلَ (خبير) صفَةً مشبَّهَة لأنَّنا لو جعَلْناهـا صـفة مبالغـة مِـن (خـابِر) لكانت موهِمَة لِتجدُّدِ الخبرَة والعِلْم وهذا شيءٌ مستحيل في جـانبِ اللـه عز وجل، طيب وقوله: (بصير) كلمة (بصير) قد يُرَادُ بها العِلْم وقـد يـراد بها الإدرَاك للرُؤْية وكلا الأمرين لا يُنَاقِضُ بعضُهما بعضًا، وقد مَرَّ علينا في قواعـد التفسـير أنَّ الآيـة إذا احتملَـتْ معنييـن لا يتناقَضَـان فإنَّهـا تُحْمَـل عليهما لأنَّ ذلك أوسع في معناهَا وأبلغ، فاللهُ عز وجل بصـيرٌ بعبـادِه مِـن حيثُ النظر والرؤية ومِن حيث العلم، في جـانب المعمـولات المفعُـولات الظاهرة تكون الرؤية والعلم أيضًا، وفي جانب المسموعَات يكونُ العلـم ((**إنَّ الله بعباده لخبير بصير**))

ثم قال الله تعالى: ((**ثم أورثْنا الكتاب الذين اصطفينا مِن عبادنا**)) (أورثنا الكتاب الذين) أولًا كلمة (أورث) هنا نصـبَتْ مفعـولين أصـلُهما المبتدأ والخبر أو لا؟ ليس أصلُهما المبتدأ والخـبر، وعلـى هـذا فهـي مـن باب (كسا وأعطى) أين المفعول الأول وأين المفعـول الثـاني؟ انتبـه! لا تتعجلون، (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا مِن عبادنا (الذين) هي الأول، و(الكتـاب) هـو الثـاني لأنَّ الـوارث مَـن هـل الكتـاب وارثٌ (الـذين) ولا (الذين) ورثوا الكتاب؟ الذين هم الذين ورثوا الكتاب يعنـي أورَثنـا الـذين اصطفينا مِن عبادنا الكتاب، وش معنى أورثْنَاه إيَّاه؟ أي جعلْنَاهم يرِثُـونه، فالذين اصطفاهم اللـه أورثَهـم اللـهُ الكتـاب أي جعلَهـم يرثـونَه، وكلمـة (الكتاب) قال المؤلف: " القرآن " وينبغي أن نجعلَه أعـم؛ لأننـا لـو قلنـا: إنَّ الكتاب هو القرآن وقلنا إنَّه موروثٌ عمَّن سبقَنا لكانَ القرآنُ قد نــزلَ علـى مَـن سـبقَنا، وليـس الأمـرُ كـذلك فـالمراد بالكتـاب هنـا الجنـس لا خُصوصُ القرآن، يعني: أنَّ الكتبَ السابقة كلُّ ما فيها مِن الخيـر موجـودٌ في القرآن فنحن ورِثْنا عمَّن سبقنا كلَّ ما أوتُوه مِن خير، فالأصـول الـتي تجِب على كلِّ مسلم في أي زمانٍ ومكانٍ موجودة في القرآن، والشرائع التي تختلِف باختلافِ الأمم وباختلافِ الزمان والمكان هذه تختلـف عمَّـن سبق، قد يجِبُ علينا ما لا يجِب عليهم وقد يحرمُ علينا ما لا يحـرم عليهـم ((**لكلٍّ جعلنا منكم شِـرْعَةً ومنهاجًـا**)) أمَّـا الأصـول فقـد ورثنَاهـا عنهم، فالأصول التي هي أمُّ الدين قد ورثناها عمَّن سبقنا.

قال: ((**الذين اصطفينا من عبادنا**)) (الـذين اصـطفينا) أي اختَرْنـا وهو مأخُوذٌ مِن الصَّفْوة وأصله اصْتَفَينَا، لكن لعلـةٍ تصـريفية قلِبَـتِ التـاءُ

طاءً فقيل: (اصطفينا من عبادنا) أي اخترناهم، وقولُه: (من عبادنـا) هـل المراد بذلك العبودية العامَّة أو الخاصة؟

الطالب: الخاصة.

الشيخ: يعني الذين اصطفيناهم مِن المؤمنين أو اصـطفيناهم مـن جميـعِ العباد؟ يظهَر أنَّها مِن العبودِيَّة العامة يعني الذين اختارَهم اللهُ تعالى مِـن عباده الذين يخضَعُون له كونًا، والمراد بهم هذه الأمة بدليلِ قوله تعـالى: ((**كنتم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس**)) فالذين اصطفَاهم الله مِن عبـاده هم هذه الأمة؛ للآية التي سقناها وهي في آل عمـران، ولـدليلٍ آخـر مِـن هذه الآية نفسها لأنَّ هذه الأمة آخِر الأمم إذًا فلا يمكن أن يُورَثَ ما عندَها مِن الكتاب فهي وارثَةٌ غير موروثَة، إذا كانت وارثة غير موروثَة فهي التي اصْطُفِيَت

وقـوله: ((**فمنهم ظـالم لنفسِـه**)) بالتقصـير فـي العمـل بـه " أي بالكتاب ((**ومنهم مقتصد**)) " يعمـل بـه أغلـب الأوقـات ((**ومنهـم سابق بالخيرات**)) يضُمُّ إلى العمَـل التعلِيـم والإرشـاد إلـى العَمَـل ((**بإذن الله**)) " قسَّم الله تعالى هذه الأمة التي أورثَها الكتاب إلـى ثلاثـةِ أقسام وبدأَ بالأَقْلّ فالأقَل، الأقَلّ في المرتَبة فالأقل فقـال: ((**فمنهـم ظالمُ لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابِقٌ بـالخيرات**)) الظـالمُ لنفسه هو الذي تركَ شيئًا من الواجِبـات أو فعـلَ شـيئا مِـن المحرمـات، ترك صلاةَ الجماعة مع وجوبِها عليه، تركَ بعض الزكاة لم يخرجْهَـا، تـركَ الحجَّ على الفَور مع وجوبِه عليه على الفور، هذا نقول: إنه ظالمٌ لنفسه، فعلَ المحرمات شربَ الخمر زنا سرَق نظرَ نظرًا محرمًا هذا نقـول: إنـه ظالمٌ لنفسه كذا؟ معنى الظالِم في الأصـل هـو النـاقِص لأنَّ الظُّلْـم هـو النَّقْص قال الله تعالى: **(كلتا الجنتين آتت أكلَها ولـم تظلِـم منـه شيئًا**)) يعني لم تنقُصْ، وكلّ مَن أساء فقد نقَص مما يجِبُ عليـه ولهـذا كلُّ عمل سيء يُعتَبَر نقصًا فيما يجِبُ عليه؛ لأنَّ الواجب عليك لنفسِك أن ترعَاهَا حقَّ رعايتها فأنت مسئولٌ أولَ ما تُسـأَل عـن نفسِـك قـال النـبي صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ لنفسِك عليك حقا وإن لأهلـك عليـك حقًّا)** فبدأَ بالنفس، فكما يجبُ عليـك أن ترعـى مصـالح ولـدِك ومالـك وأهلِك يجبُ عليك أن ترعَى مصـلحةَ نفسِـك بـل هـو الـواجِب الأول مِـن حقوقِ المخلوقِين بعدَ حقِّ الله ورسولِه، طيب إذًا مَن فعـلَ محرمًـا فقـد ظلمَ نفسَه ليش؟ لأنَّه نقصَها حقَّها في الأمانَة، أنت مُـؤْتَمَن عليهـا يجِـب أن ترعاها حقَّ رعايتها، مَن ترك واجبًا فقد ظلمَ نفسَه لأنَّ الـواجِب عليـه

أن يفعلَ الواجِب لِيقـومَ بحـقِّ الأمانـة فيمـا يتعلـق بنفسِـه، هـذا الظـالم لنفسِه، ومنهم مُقْتَصِد المقتَصِد هـو الـذي لـم يقَـعْ مِنـه ظُلْـمٌ لنفسـه ولا تقدمٌ في الخير، أي قائمٌ بالواجبـات تـارِكٌ للمحرمـات لكنـه لا يُكْثِـر مِـن النوافل ولا يحرِص على إكمالِ الواجبات على الـوجهِ الأكمـل ولا يتجَنَّـب المكروهات، مقتَصِد لا نقَص ولا زَاد، يصـلِّي مـع الجماعـة ويزكِّـي بـدون نقص لكن لا يأتي بالنوافِـل ولا بالصَّـدقَات التطـوع، يـؤدي فريضـةَ الحـج لكن لا يعود، يصومُ رمضان لكن لا يصُوم نفلًا، وهكذا يؤدِّي مـا عليـه مِـن المعاملات بين الناس على الوجهِ الواجِب فقط، لا يتسامَح عـن فقيـر ولا يُنَزِّل مِن قيمة أو ثمَن لكنَّه ماشِي على ما يجِب عليه، نقول: هذا مقتَصِد هذا لا له ولا عليه، يعنـي ليـس لـه ثـواب إلا ثـواب فعـل الـواجب فقـط، الثالث: سابقٌ بالخيرات هذا يأتي بالواجِبَات ويزيدُ ما شاء الله تعالى مِن الخيرات، ويأتي بالواجبات أيضا على الوجه الأكمَل الأتَمّ، فالصـلاة مثلًا لا يقتَصِرُ فيها على تسبيحةٍ واحدة بل يزيد، لا يقتصِر على الفاتحة بل يزِيـد، لا يقتصر على أن يضَعَ يديه مثلا مطلقَة هكذا بل يضَعُها في موضِعِها فــي حالِ القيام وفي حال الركوع وفي حال السجود وهكذا، نقول: هذا سابقٌ بالخيرات يؤدِّي الزكاة ويتصدق، يحُـج الـواجب ويتطَـوَّع، يصـوم رمضـان ويتَنَفَّل بغيره مِـن الصـيام، هـذا نقـول: إنَّـه سـابق بـالخيرات، أمَّـا قـولُ المؤلف رحمه الله إنَّ معنى (سابق بالخيرات):" يضُمّ إلى العمَل التعليم والإرشاد إلى العمَل " ففي هذا نظَر ظاهِر؛ لماذا؟ لأنَّ التعليم قـد يكـونُ واجبًـا، وإذا قـامَ بـالتعليم الـواجب صـارَ مِـن السـابِق بـالخيرات أو مِـن المقتصد؟ مِن المقتصد، وإن تركَه صارَ مِن الظالم لنفسه، وكذلك نقـول في الإرشاد، الإرشاد الـواجِب إذا قـام بـه صـارَ مقتصـدًا وإن تركَـه صـارَ ظالمـًا لنفسِه، ولكن ما قلنا هو الصواب، طيـب مـا تقولُـون فـي اختلافِ المفسِّرِين في هذه الآية فمنهم من يقول: فمنهم ظـالمٌ لنفسـه كالمـانع للزكاة، ومنهم مقتصِد كالمقتصِر عليها، ومنهم سـابقٌ بـالخيرات كالزائـدِ عليها، وآخر يقول: فمنهم ظالم لنفسه مؤخِّرٌ للصلاة عـن وقتِهـا، ومنهـم مقتصد فاعلٌ لها في وقتهـا ومنهـم سـابق للخيـرات فاعـلٌ لهـا فـي أولِ وقتها أي فِي الوقت الذي يُسْتَحَبّ أن تقامَ فيه هل بين القولين خلاف؟ لا ليس بينهما خلاف هذا يُسمَّى اختلاف تنَوَّع يعني أنَّ كل واحـد منهمـا مـن القائلَيْن ذكر نوعًا فيكون هذا على سبيل التمثِيل ولا يُعَـدَّ هـذا خلافًـا فـي الوقع ولكنَّه تمثيل هذا مثَّل بالزكاة وهذا مثَّل بالصلاة.

طيب وقوله: ((**ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**)) قال المؤلـف: بإرادتِه " الكونية ولا الشرعِيَّة؟ الظاهر أننـا نُغَلِّـب هنـا الكونيـة يعنـي أنَّ هؤلاء الأقسام الثلاثة الظالم والمقتصد والسابق كلهم يفعَلُون هـذا بـإذنِ الله، فالله تعالى هو الذي أذِنَ للظالم نفسِه أن يظلِم نفسَـه، وللمقتصـد أن يقتصِدَ على ما يجـب، وللسـابق أن يزيـد، وتقييـد هـذا بـإذنِ اللـه لئَلَّا يفتخِرَ مفتخرٌ بكونه سابقًا للخيرات فيَضُيفُ الشيء إلى نفسِه ويمُـنُّ بـه على ربِّه كما قال الله تعالى عن بعـض بنـي آدم: ((**يمنُّـون عليـك أن أسلموا قل لا تمُنُّـوا علـي إسـلامَكم بـل اللـه يمُـنُّ عليكـم أن هداكم للإيمان**)) فأنت إذا مَنَّ الله عليك بسبقٍ بـالخيرات لا تظـنَّ أنَّ هذا من نفسك لو وُكِلْتَ إلى نفسك لكنت ظالمـًا لنفسِك؛ لقـوله تعـالى: ((**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**))[الأحزاب:72] هذه حقيقةُ الإنسان الظُّلم والجَهَالة لكن مَن مَـنَّ اللـهُ عليه وهداه فهو مِن فضلِه سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ((**ذلك هو الفضل الكبير**)) ذلك أي إرثُهُم الكتاب ((هو الفضل الكبير)) نعم صدَق الله الفضلُ الكبير الذي لا يدانِيه فضْل هو مِنَّةُ الله على عبـدِه بـالعلم بهـذا الكتـاب هـذا هـو الفضـلُ الكـبير، ليـس الفضلُ الكبير بأن يُعطَـى الإنسـان قصـورًا أو مراكِـب فخمَـة أو زوجَـات حسنَاء أو أبناءٍ كثيرين لَا الفضْلُ الكبير أن يُورَثَ هذا الكتاب كلُّ مَن ورِث هذا الكتاب علمًا وعملًا ودعْوة فهـو الـذي حـازَ الفضـل الكـبير قـال اللـه تعالى: ((**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِـذَلِكَ فَلْيَفْرَحُـوا هُـوَ خَيْـرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**))[يونس:58] وفي قوله: ((**ذلك هو الفضـل**)) فيهـا أدَاة حصر وهو ضَمير الفصل (ذلك هو الفضل) وضميرُ الفصل نذكرُه هنا لِمَن فاتَه العلم به ضميرُ الفصل هـو ضَـميرٌ يـأتي مطابقًـا للسـياق يـأتي بصورة الغائب كـ(هـو) وبصـورة المخـاطب كـ(أنـت) وبصـورة المتكلـم كـ(أنا) قال الله تعالى: ((**وقل إنِّي أنـا النـذير المـبين**)) (إنِّـي أنَـا النذِير) هذا أتَى بصورة المتكلم، وتقـول لِمَـن تخـاطبه إنَّـك أنـت القـائم ((**ذُق إنَّك أنت العزيز الكريم**)) هـذا فـي صـورة المخَـاطَب، وفـي صورة الغائب كثير منه هـذه الآيـة ((**ذلك هـو الفضـل الكـبير**)) إذًا فضَميرُ الفصل ضميرٌ يؤتى به مطابقًا للسياق من حيث التكلم والخطاب والغَيْبَة وهو مِن حيث الإعراب لا مَحَلَّ له ليس له محَل مِن الإعراب، أمَّـا

مِن حيث المعنى فيفِيد ثلاثـة أمـور يفِيـد التوكيـد والحَصْـر والتمييـز بيـن الخبر والصِّفَة ثلاثة أمور عيسى! ما هي؟

الطالب: ...

الشيخ: ... تقول مثلًا: زيدٌ الفاضل فيه ضمير فصل ولَّا لا؟ ما فيـه ضـمير فصل هنا يحتَمِل أن تكونَ (الفاضل) خبرًا وتحتمل أن تكون صِفَة والخـبر لم يأتِ، ممكن أن نقول: تقديرُ الكَلام: زيدٌ الفاضِلُ قائِم ما يمكـن هـذا؟ يمكن فتكون (الفاضل) صفة، فإذا قلت: زيدٌ هو الفاضل تعيَّـن أن تكـون (الفاضل) هنا خبرًا ما يمكن تكون صفة إذًا فهو يميِّز بيـن الصـفة والخـبر فيكون ما بعده خبرًا لا صِفَة، ولولاه لكان محتمِلًا أن يكونَ خـبرًا أو صـفة هذا شرح قولِنا: التمييز بين الخبر والصـفة، يفِيـد الحصـر إذا قلـت: زيـدٌ فاضِل هل يمنع أن يكون غيرُه فاضلًا؟ لا يمنَع فإذا قلت: زيد هـو فاضـل، أو زيد هو الفاضل تعيَّن أن يكون زيدٌ وحدَه هو الفاضـل، التوكيـد لا شـكَّ أن قولَك: زيد الفاضل تريد المبتدأ والخبر لا شكَّ أنها جملة تامة ومعناهَـا واضِح، لكن إذا قلت: زيدٌ هو الفاضِل كأنَّك اتَّكَـأت عليهـا وزدتَّهـا توكيـدًا، قال: ((**ذلك هو الفضل الكـبير**)) الفضْـل بمعنـى العطَـاءُ، العطـاءُ مِمَّن؟ مِن الله، (الكبير) مِن حيث الحجم فهو كبير في كيفِيَّتِه ونحن نعلم مِن جهةٍ أخرى أنه كثِيرٌ في كَمِّيَّته فيجتمِـع فـي هـذا العطـاء يجتمِـع فيـه الكَمِّيَّة والكَيْفِيَّة فهو فَضْلٌ كبيرٌ في ذاتِه وكيفيته وفضـل كثِيـر أيضًـا فـي عددِه وكمِّيَّتِه (ذلك هو الفضْل الكبير)

قال الله تعالى: ((**جنات عدن يـدخلونها**)) هـذا بيـانٌ لثـوابِ هـؤلاء الأصناف الثلاثة ((**جنات عدن**)) إقامَة ((يدخلونَها)) عند الثلاثةِ بالبناء للفاعل والمفعُول خبر (جنات) المبتدأ " طيب بالبِنـاء للفاعـل يَـدْخُلُونَها، وبالبنـاء للمفعـول يُـدْخَلُونَها، وهـم إذا أُدْخِلُـوا فقـد دَخَلُـوا ولَّا لا؟ فكـأنَّ القراءَتَيْن واحِد لكن يستفاد مِن كلمة يُدخَلُونها بيان أنهم يُعْطَوْنَهَا كرامَـةً فتُقَدَّم إليهم حتى يدخلُوها لكن يدخُلُونَها بـدون أن يُقـال: يُـدخَلوُنها فـإنَّ الداخل قد يدخُل كرامة وقد يدخل مِن ذات نفسِه، لكن إذا أُدخِلَهـا كأنهـا قُدِّمَتْ لهم على سـبيل الكرامَـة حـتى يـدخلوها، وقـوله: (جنـات عَـدْن) جَنَّات جمع ايش؟ جمع جَنَّة قال العلماء: والجنَّةُ البستانُ الكثيرُ الأشـجار وسُمِّيَ بذلك لأنَّه يستُرُ مَن كان داخله والله أعلم.

((**جنات عدن يدخلونها**)) عَدْن بمعنى إقَامَة يعنـي أنَّ هـذه الجنـات جنَّاتُ إقامَة لا ظَعْنَ فيها، بل هم خالِدُون فيها أبدًا، ومع ذلك ليـس واحـدٌ منهم يتمنَّى أن يتحوَّل عمَّا قال الله تعالى: ((**لا يبغُون عنهـا حِـوَلًا**))

بخلاف الجنَّة فإنَّ الإنسان لـو كـان فـي أحسَـن مـا يكـون مِـن البسـاتين لتَمَنَّى أن يتحَوَّل إلى ما هو أحسَن منه وأفضَل منه لكن فـي الآخـرة كـلّ واحد مِنهم يرى أنَّه في مكانِ إقامَةٍ لا يريد أن يتحول عنـه، وهـذا لا شـك أنَّه مِن كمالِ النعيم أن يستقِرَّ الإنسان وأن يرَى أنَّه في أكمَـل مـا يكـون حتى لا تتَشَوَّف نفسُه إلى نعيمٍ أعلى فيتنَغَّصُ نعيمُـه، لأنـه مـن المعلـوم أنَّ الإنسان إذا رأى أنَّه دون غيره وإن كان في مَقامٍ أمين وإن كـانَ فـي مقام مُنَعَّمٍ فيه لكن يتنَغَّصُ عليه ذلك لكونِه يرى أنَّ غيرَه أفضلُ منهم.

طيب قال: ((**يدخلونها**)) بالبنـاء للفاعِـل وللمفعُـول خـبرُ (جنـات) " جناتٌ مُبتدأ وجملَة (يَدْخُلُونها) أو (يُدْخَلُونها) خبر، (يُحَلَّـوْن) خـبرٌ ثـان ولا تصِحُّ أن تكونَ حالًا مِن الفاعل؛ وذلك لأنَّ تحليتَهم بذلك بعد الـدخول ولـو قلنا: (يدخلونها) حال َكونِهم يُحَلَّوْن لَلِزِم مِن ذلك أن تَكُونَ التحْلِيـة حيـن الدخول أو قبلَه، طيب (يُحَلَّوْن) خـبرٌ ثـاني وهـل يجُـوز أن يتعَـدَّد الخـبر؟ الجواب: نعَم، وهذا في القرآن كثير قال اللـه تعـالى: ((**وهو الغفـور الودود * ذو العـرش المجيـد**)) الخـبر العـام كـم؟ أربعـة: الغفـورُ، والودود، وذو العـرش، والمجيـد فتعَـدُّد الأخبَـار جـائِز فـي اللغـة العربيـة (يحلون فيها) أي في هذه الجَنَّات مِن قال المؤلف: " بعـض "فأفادَنـا أنَّ (مِن) هذا ليست بيانِيَّة بل هي تبعِيضِيَّة ولو قيل: إنها بيانِيَّة لكان لـه وجـهٌ جيد، لأنَّ التحلِيَة لا تتعَيَّن في الأَسَاوِر إذا قد يُحَلَّى الإنسان بـالخُلُوف مثلا أو بالقَلَائِد أو ما أشبه ذلك، فجعلُها بيانِيَّة أولى مِن جعلِها تبعِيضِيَّة لأنَّك إذا قلت: يحلونَ بعضَ أساوِر لم تَكُن التحلية بالأَسَاور وإنما يحلَّونَ بعضَها إلَّا إذا قلت: نعم أقول إنها تبعيضية لأنَّ الأساور المذكُورة هنا نوعـان فقـط: ذهَب ولؤلؤ مع أنَّ لهم حليـة أخـرى وهـي الفِضَّـة كمـا قـال اللـه تعـالى: ((**وحُلُّوا أساور من فضل وسقاهم ربهم شرابا طهورا**)) فـإذا جعلْتَها تبعيضِيَّة باعتِبَار أنَّ الأساوِرَ المذكورة مِن نوعين وبقي نـوعٌ ثـالث لم يُذْكَر صارَ القول بأنَّها للتبعيض له وجْه، وقد ذكرْنا مِرارًا كـثيرة أنَّـه إذا احتَمَل اللفظ معنيَيْـن لا يتنافيـان فـإنه يُحمَـل عليهمـا فيمكـن أن نجعـل (مِن) هنا مشتركة بين كونِها بيانيَّة وبين كونِها تبعيضِيَّة، بين كونهـا بيانيـة لأنَّ التحلية تكون مِن الأساور وغيرها فتكون (من) هنا مُبَيِّنَـةً مـا يتحلَّـون به، وتبعيضية لأنَّه ذُكِر مِن الأساور هنا نوعَان وبقي نوع ثالث لم يُـذْكَر، ((**يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلـؤًا**)) وش عنـدكم؟ مُرَصَّـعٍ بالذهب " مرصع .. عندكم ... مِـن ذهـب ولؤلـؤ، أمـا (مـن ذهـب) فهـي مجرُورة لا شكَّ فيها لأنَّها دخلت عليهـا (مِـن)، وأمـا (لؤلـؤ) فهـي عنـدي

منصوبَة هي عندكم كذلك؟ ولكنَّ قولَه (مرصَّع) يدلُّ علـى أنَّهـا مجـرورة كما هي القراءَةُ الثانية، ولهذا ينبغي أن نُصَحِّح (لؤلؤًا) ونجعلها بالجَر بنَاءً علـى تفسـيرِ الجَلَال، ... (مِـن ذهـبٍ) مجـرورة عنـدكم، ولؤلـؤٍ ... فـي القرءان ولؤلؤٍ أي نعم في المصحَف المفسَّر ما هو المصـحف اللـي فـي الأصل، طيب و(لؤلؤٍ) ما الدليل على أنَّه ولؤلُؤٍ لأنَّه قال: مرصَّـعٍ، لـو أنَّـه أراد قراءَة النَّصْب لقال: مرصعًا، إذًا نقول: (لؤلؤ) فيها قراءَتان سبعِيَّتان إحداهُما بالنصب (ولؤلؤًا) وعلى هذا تكونُ معطوفَة على محَـلّ (أسـاوِر) يعي يحلَّوْن فيها أساوِرَ ولؤلؤًا أساورَ مِن ذهب ويحلَّون لؤلؤًا أيضًـا، وأمَّـا بالجر و(لؤلؤٍ) فهي معطوفَة على (مِن ذهبٍ) يعنـي يحلَّـون فيهـا أسـاور مِن نوعين مِن ذهـب ولؤلـؤ، أضِـف إليهـا حُلُّـوا أسَـاوِر مِـن فضـة تكـونُ أسـاورُهم مِـن ثلاثـةِ أنـواع: مِـن الـذهب واللؤلـؤ والفِضَّـة، ولا نشُـكّ أنَّ السِّوَار مِن الذهب مُحَمِّل وفيه جمَال لذاتِه وكذلك السِّـوَار مِـن الفضـة، وكذلك السُّوار من اللُّؤْلُؤ، فكُلُّ واحِدٍ منها على حِدَة فيه جمَـال وتجمِيـل فإذا اجتمعَت الثلاثة وصُفَّ بعضُها إلى بعض تولَّد مِـن ذلـك تجمِيـلٌ أكبَـر، ولا أحدَ يتصَـوَّر كيـف تُجْمَـع هـذه الثلاثـة هـل يكـونُ اللؤلـؤ بيـن الـذهَب والفضة أو الذهَب بين اللؤلؤِ والفضـة أو اللؤلـؤ بينهُمـا المهِـم أنَّ ترتيبَهـا هذا لا أحد يتصوَرَّه الآن لكن الذي نؤمِنُ به أنَّ هذه الثلاثة تُجمَع أمَّا كيــف تجمَع فاللهُ أعلم به، لكنَّنا أيضا نعلم بأنَّ جمعَها أي الثلاثـة لـه زيـادةٌ فـي التجمِيل، طيب واعلَـم أن الـذَّهب الـذي يُـذكَر فـي نعيـم الجنـة والفضـة واللؤلؤ ليستْ كالذهب الذي نشاهدُه الآن أو الفضة أو اللؤلؤ بل هو ذهبٌ أعظَم ذهبٌ يليقُ بنعيمِ الجنَّة كما أنَّ النخل والرمـان والفاكهـة والعسـل واللبن والخمْر وما أشبهَ ذلك ليـس كالـذي يوجَـدُ فـي الـدنيا لِمـاذا؟ لأنَّ النعيم يناسِبُ الدار فإذا كانت دارُ الدنيا لا تُشابِه دارَ الآخرة فالنعيمُ الذي في الآخرة لا يُساويه النعيمُ الذي في الدنيا، هذا مِن حيـث المعقـول أمَّـا من حيث المنقول فقد قال الله تعالى: ((**فلا تعلم نفسٌ مـا أُخْفِـيَ لهم مِن قرة أعين**)) وفـي الحـديث القدسـي: **(أعـددتُ لعبـادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعَتْ ولا خطَـر علـى قلـب بشر)** واضح وأنتم تشاهدون الآن أنَّه لو جاءَكم رجُـلٌ فقيـر وصـنَع لكـم أعلى ما يمكنه مِن الطعام الذي هـو أحسَـنُ شـيء عنـده ودعـاكم رجـلٌ غني وصنعَ لكم أعلى ما يجد مِن الطعام عنده لعرفْتُم الفرقَ العظيم بين هذا وهذا مع أنَّ كل واحد منهم أتَى بكلِّ ما يسـتطيع، كـذلك الفـرق بيـن نعيم الآخرة ونعيم الدنيا، فالذهبُ إذًا يوافقُ الذهب في الدنيا في الاســم

ولا يوافقُه في الحقيقة قال ابن عباس رضي اللـه عنهمـا: " **ليس فـي الآخرة مما في الدنيا إلا الأسـماء** " فقـط أمَّـا الحقـائق فتختلِـف، طيب يقول: ((**من ذهب ولؤلـؤ**)) مرصَّـع بالـذهب" وقـولُه (مرصـع بالذهب) قد يعارَضُ المؤلف في ذلك إذ قد يُقال: إنَّ اللؤلؤ مُستَقِلّ حِلْيَة مستقلة نعم، ويدُلُّ لذلك قراءة النصب ولؤلـؤا يعنـي يحلّـون لؤلـؤًا، أمَّـا على قراءة الجَرّ فما ذهب إليـه المؤلـف محتَمِـل غيـر مُتَعَيِّـن أنتـم معنـا الآن؟ طيب هو يرى رحمه اللـه أنَّ اللؤلـؤ ليـس مسـتقلًّا بـل هـو مُرَصَّـع بالذهب كما يوجد في حليّ الدنيا، ولكنَّنا لا نُسَلِّم ما قال، بل ظـاهرُ الآيـة الكريمة أنَّ اللؤلؤ سوارٌ مسـتقِلّ، ويـبيِّنُ هـذا قـراءةُ النصْـب **(يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا**)) يعني يحلَّون لؤلؤًا فجل حليـة اللؤلـؤ حليةً مستقِلّة طيب، ((**ولباسُهم فيها حرير**)) لَمَّا ذكرَ ما يُلْبَسُ فـي اليد ذكرَ اللباس العام على جمِيعِ البدن فقال: حريـر لباسُـهم فـي الجنَّـة حرير، وحريرُ الجنة ليس كحريرِ الدنيا الـذي تفـرزه أو تصـنَعُه دودَةُ القَـز هو وقابل لكل آفَة بل حرير الآخرة حريرٌ لا يماثِلُ شـيئًا مِـن حريـر الـدنيا أبدًا .

((**وقالوا الحمد لله الذي أذهـب عنـا الحـزن**)) قـالوا يعنـي أهْـل الجنة، ومتى يقولون ذلك؟ يقولون ذلك بعد دخول الجنة (الذي أذهب عنا الحزن) الكائِن في النُّفُوس وهو الهَمّ أو الغَمّ لِمَا مَضَـى، والخـوف الهَـمُّ لما يُسْتَقْبَل، فهنا هل نقول: إنَّ الحَزَن يشمَل الغمُّ مما مضى والهمُّ مِمَّـا يُسْتَقْبَل؟ نعم، نقول: نعم كذلك، في الجنة جميـعُ مـا مضـى عليهـم مِـن الأحـزان والهمـوم وغيرِهـا ينسَـوْنَه كمـا جـاءَ فـي الحـديث الصـحيح أنَّ الإنسان يُغْمَسُ في الجنة يُصْبَغ صبْغَة واحِدَة يُغمَسُ فيها فيقال لَـه: هـل رأيتَ شرًّا قط؟ فيقول: لا كلُّ ما مضى مِن الشـرور والأحـزان والهُمُـوم كلُّها

الأول كمالُ المحمود، والسبب الثاني إنعَامُ المحمود بخلافِ الشُّكْر ف إنه ليس لَه إلَّا سبب واحد وهو إنعام المشْكُور، نعم ولعلنا نتطَرَّق إلى الفرْق بين الحمد والشكر الحمد قلنا: له سببَان فهو أعمّ من الشكر مِن حيث السبب إذ أن سببَه كمال المحمود وإنعامُ المحمود، الشكر ليس له إلا سببٌ واحد وهو إنعام المشكُور طيب فأيُّهما أعم؟ الحمد أعمّ؛ لأنَّه يكون على هذا وهذا، الشكر يكونُ بالقلب واللسان والجوارح: بالقلب أن يعترِف الإنسان بقلبِه بنعمةِ المـُنْعِم باللسان أن يشكره بلسانِه ويثنِي عليه بلسانِه، بالجوارِح أن يقومَ بطاعتِه فلا يخالفُه وعليه قول الشاعر:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضمِير المـُحَجَّبا

أما الحمد فلا يكونُ إلا باللسان؛ لأن الحمدَ وصفُ المحمود بالكمال فلا يكون إلا باللسان فأيهما أعمّ مِن هذه الناحية؟

الطالب: الشكر.

الشيخ: إذًا الشكرُ أعمّ مُتَعَلَّقا لأنَّه تعلَّق بالقلب واللسان والجوارح.

الطالب: الحمد يتعلق بالقلب؟

الشيخ: ربما يتعلق بالقلْب لكنه ما يُسَمَّى حمْد يعني مَن أضمرَ في نفسِه الثناء على الله عز وجل لا يقال: حمِدَ الله إذ أنَّه لم يظهر وربما يقول قائل: إنَّه يكونُ بالقلب لكنَّه ليس بظاهر أي نعم، طيب يقول: ((**وقالوا الحمد لله الذي أذهبَ عنا الحزن**)) قال المؤلف: " جميعَه " يشير إلى أنَّ (ال) هنا لاستغراقِ العموم و(ال) تكون لاستغراقِ العموم إذا صَحَّ أن يحِلَّ محلَّها (كُل)، (كلّ) ولَّا (كلّ)؟ (كُلْ) يعنى مِن الطعام (كلّ) بالتشديد مِن الكُلِّيَّة، إذا صحَّ أن يحل محلَّ (ال) (كلّ) بالتشديد فهي للاستغْرَاق، ((**إن الإنسان لفي خسر**)) هذه للاستغراق، طيب ((**خُلِق الإنسان ضعيفًا**)) للاستغراق، ((**الرجالُ قوامون على النِّساء**)) لا ما هي لِلاستغراق، ما كُلّ رجل قوَّام أحيانًا تكون المرأة قوَّامة على الرجل فهذه لبَيانِ الحقيقة فقط، طيب المؤلف أفادنا بقولِه: " جميعا " أن (ال) هنا للاستغراق.

((**إنَّ ربَّنا لَغَفُورٌ**)) للذنوب ((**شَكُورٌ**)) للطاعة " هذه الجملة كما تشاهدون مؤكدة بمؤكدين بـ(إنَّ) واللام فهم أكَّدُوا بالثناء هذا على الله أنَّه سبحانه وتعالى غفُور للذنوب شكور لها، الغفورُ هنا صيغة مبالغة ولَّا صفة مشبهة؟ هي تشمَل الأمرين جميعًا هي صِيغة مبالغة لكثْـرَةِ غُفران الله تعالى للذنوب وكثرةِ مَن يغفر لهم فهو كثيرُ المغفرة للذنوب إذ أنَّ الذنوب تتكرَّر مِن الإنسان عدَّة مرات فيغفرُها الله، والذين يغفرُ الله

لهم كثيرون أو قليلون؟ كثيرون، ومِن جهة أخرى باعتبار أنَّ الله تعالى لم يزَل غفورًا نقول: هي صفَةٌ مُشَبَّهَة، وقولُه: (شكور)

الطالب: شكور للذنوب ..؟

الشيخ: للطاعة شكورٌ للطاعةِ، وقوله: (شكور) نقول فيها كما قلنا في غفور بأنَّه عز وجل لم يزَلْ شكورًا على طاعة عباده وامتثالِهم أمرَه ومِن شكرِه أنَّه يعطي العامل الحسنة بعشْرِ أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وهو أيضًا شكور باعتباره صيغَة مبالغة لأنَّهُ كل ما كثُرَ العمل كثُرَ الشُّكْر نعم.

في ذكر ثواب أهل الجنة ((**جناتُ عدنٍ يدخلونها**)).[قطع]

النَّصب أن يكونَ التحلِّي باللؤلؤ لا يتعيَّن أن يكون أساور لأن تقدير الكلام يكون: يُحلَّوْن فيها أساوِر ويحلون فيها لؤلؤًا، ومعلوم أن الحلية تكون بالأساور وتكون بغير ذلك، معلوم الأمر؟ فصارَت على قراءة النصب يتعيَّن أن تكون منفردة عن الذهب، ثم يحتمِل أن تكون أساوِر ويحتمِل أن تكون غير أساور، هذا على قراءة النصب، وعلى قراءة الجر يحتمِل أن تكونَ مُرَكَّبة مع الذهب ((**مِن أساورَ مِن ذهبٍ ولؤلؤًا**)) فتكون اللؤلؤ مُرصع كما اختاره المؤلف، ويحتمل أن تكون أساور مستقِلَّة ما هي متعينة، طيب قوله: ((**ولباسهم فيها حرير**)) وأشباهها من الآيات الدالة على نعيم الجنة، يا بدر! هل [قطع]

((**الذي أحلنا دار المـُقامة من فضلِه**)) قولُه: (الذي) هنا يجُوز أن تكون صفةً لما سَبقَ وهو (الله) ((**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**)) ((**الذي أحلنا**))، ويحتمِل أن تكون استئنافًا يعني أنَّها في محل رفع على القطع لأنَّ المنعوت إذا عُلِم وتعدَّد النعْت له جازَ في النعت الثاني القطْعُ والإتمَام، كما قال ابن مالك:

وإن نعوتٌ كثُرَت وقد تَلَتْ ... مُفتقِرًا لِذكْرِهِنَّ أُتْبِعَتْ

وإن لم يكن مفتقِرًا جازَ القطْع ((**الذي أحلَّنا**)) أي أنزلنا ((**دار المقامة من فضلِه**)) دار المـُقامة، المقامَة هنا بمعنى الإقَامة فهي إذًا ظرف مكان، أو أنَّها مصدر مِيمِيّ دخلتْهُ التاء، ودارُ المقامة هي دارُ الجنة ووُصِفَت بذلك لأنَّ ساكِنِيها مُقِيمُون فيها أبدًا، ولأنهم لا يريدون الإقامة في غيرها، كل واحد منهم لا يبغِي حِوَلًا عما هو فيه لأنَّه يرى أنَّه أكملُ أهل الجنة، نعم بل أن الله أقنَعهم بما هم عليه من النعيم حتى لا يتطلَّعوا إلى نعيمٍ أكبر فيحتقِرُوا ما هم فيه، بخلافِ أهل النار فإنّ أهلَ النار كلُّ واحد منهم يرى أنَّه أشدُّ أهل النار عذابًا لأنه لَو يرى أن غيرَه

يمـاثلُه أو أنَّ غيـره أشـدُّ منـه لهـانَ عليـه العـذاب، ((**الذي أحلَّنا دار المقامة مِن فضله**)) (مِـن) سـببِيَّة هنـا أي بسـبب فضـلِه أي تفضُّـلِه عليهم لأنَّه لولا فضلُ الله عليهم ما وصلوا إلى هذا المقـام العظيـم فكـلُّ ما في الإنسان مِن خير ونعمة فمِن الله سبحانه وتعالى كما قـال تعـالى: ((**وما بكـم مـن نعمـة فمـن اللـه ثـم إذا مسـكم الضـر فـإليه تجأرون**)) فإحلالُهم دارَ المقامة هو مِـن فضـلِ اللـه تعـالى، وهـذا مِـن تمـام شـكرهم للـه حيـث اعـترفُوا لـه بالفضـل بخلاف الـذي إذا أصـابته النعماء قال: هذا لي أو هذا مِن عندي أو ما أشبهَ ذلك.

((**لا يمسُّنا فيها نصَب**)) تعَب ((**ولا يمسُّنا فيها لُغُـوب**)) إعيـاءٌ من التعب " لا يمسُّنا فيها نصَب أي تعب، ومعنـى يمسُّـنا أي يُصـيبنا كمـا قال الله تعالى: ((**إن تمسسْك حسنة تسؤهم وإن تصبْكَ مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرَنا من قبل**)) فالمسّ بمعنـى الإصـابة، وقـوله: (نصب) تعب (لُغوب) إعياء " لأنَّ هناك تعبًا مباشِـرًا ينـال الإنسـان حيـن الفعل، وإعياءً يكون أثرًا للتعب أليس كذلك؟ أنت إذا مارست عملًا شاقًّا فإنك حين ممارستِه تتعَب، ثم بعد انتهائه تُعْيِي يعني تضـعف وتخلُـد إلـى الراحة وإلى النَّوم، في الجنـة ليـس فيهـا نصَـب يعنـي تعـب بـدني حيـن مزاولة الأعمال، ولا لُغوب أي إعياء وهو الناتج عن التعب، طيـب قـال: " إعياء مِن التعب لعدمِ التكليف فيها " هذا تعلِيلٌ عليل؛ لأنَّ التكليف حـتى في الدنيا غالبُه ليس فيه تعب، بـل إنَّ بعضـه يكـون راحـةً للبـدن وراحـة للقلب وتنشيطًا للبـدن وصِـحَّةً لـه، وليـس هـذا هـو المقصُـود الأول فـي العبادات لكنَّـه يحصُـل مِـن ممارسـة العبـادة يحصُـل مِـن ذلـك النشـاط والصِّحَّة كما هو موجود مثلًا في الصلاة موجُودٌ فـي الصـيام موجـود فـي الحج فليس هناك تعب في الأعمال الصـالحة بـل نقـول: (لا يمسـنا فيهـا نصب) هذا مِن باب الصفات السلْبِيَّة المتضمنة لكمال ضـدِّها، فلا يمسـنا فيها نصَب ولا يمسُّنا فيه لغوب لِكمال نعيمهم وراحتِهم وأُنسِهم وفرحِهم وما أشبه ذلك، طيب يقول: " لعدم التكليفِ فيها وذكرَ الثاني التابعَ للأوَّل للتصرِيحِ بنفيِه " ذكَر الثاني وهو (اللغوب) التابع للأول وهـو (التعـب) لأن اللغوب -كما قلنا قبل قليل- نتيجة التعب فكأنَّ المؤلف أجابَ عن سؤال كأنَّه قيل: إذا انتفى التعـب انتفـى اللغـوب الـذي هـو نـتيجتُه فلمـاذا لـم يُقتصَر على نفيِ التعب، وقـال لا يمسـنا فيهـا نصـب وإذا انتهـى النصـب انتهى اللغوب؟ واضح؟ أجابَ عن ذلك بأنَّه ذكر مِن أجل التصـريح بنفيِـه، هذا ما ذهب إليه المؤلف، ولا شكَّ أنه وجـهٌ حسـن لكـن ربمـا نقـول: إنَّ

الإنسان أحيانا يجد إعياءً وكسلًا وموتَ قُوَى بدون عمل وبدون تعب، وهذا مشاهد، وعليه فيكون نفي اللغوب أمرًا ليس تأكيدًا وإنَّما هو أمر أساسي، كيف أمر أساسي؟ لأنَّ الإنسان قد يجد إعياءً أحيانا وهو ما اشتغل، ألم تجدوا ذلك؟ إذًا نقول: إن ذِكرَه أساسي وليس مِن باب التصريح بنفيِه الذي لا يُقصَد منه إلا مجرَّد التوكيد، المهم أنَّ أهل الجنة لكمالِ نعيمِهم لا يمسُّهم فيها نصَب ولا يمسُّهم فيها لغوب

ثم قال تعالى: ((**والذين كفروا لهم نار جهنم**)) فثنَّى بذكرِ عقابِ أهل النار؛ لأنَّ القرآن مثاني كلما ذُكِرَ فيه معنى ذُكِرَ فيه ما يقابله

ولا تكاد تجد آياتٍ في القرآن يُذكَر فيها معنًى إلا وذُكِر ما يقابله لأنَّ القرآن مثاني لئَلَّا تتمادى النفس في الرَّجاء إذا ذُكرَ النعيم وحده، فإنَّ النفس تتمادى في الرجاء وحينئذ تأمَن مكرَ الله، ولو ذُكِر الوعيد وحده لتمادَتِ النفس في الخوف فقنِطَت من رحمة الله، ولكن الله سبحانه وتعالى يذكر هذا تارة وهذا تارة حتى يكون الإنسان سائرًا مِن غير ميل إلى الرجاء ومِن غير ميلٍ إلى الغُلُوّ، وهذه المسألة اختلَف العُبَّادُ فيها هل الأولى أن يسير الإنسان إلى ربه بين الخوفِ والرجاء فيكون خائفًا راجيًا، أو الأولى أن يُغَلِّب الرَّجاء إحسانًا للظنّ بالله عز وجل، أو الأولى أن يُغَلَّب الخوف؟ نعم في هذا خلاف بين العلماء الإمام أحمد رُويَ عنه أنه قال: " ينبغي أن يكون خوفُه ورجاءُه واحدًا فأيُّهما غلَبَ هلكَ صاحبُه)) لأنَّه إن غَلَّب الرجاء أَمِن الإنسان مِن مكر الله، وإن غلَّب الخوف قنِطَ مِن رحمة الله فيكون خوفُه ورجاءُه واحدًا، قالوا: فالخوف والرجاء كالجناحَيْن للطائر إن هبطَ أحدُهما مالَ الطائر إليه واختَلَّ توازُنُه، وإن تساويا استقام الطائر واعتدَل توازنُه، وقال بعض أهل العلم: بل هذا يختلف باختلافِ الأحوال فإذا فعلَ الإنسان الطاعة فليغلِّبِ الرجاء وأنَّ الذي وفَّقَه لها سوف يقبلُها منه ويثيبُه عليها، كما قال الله تعالى: ((**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**)) إذا وُفِّقْتَ للدعاء وفقتَ للإجابة إذا وُفِّقْتَ للعمل وُفِّقْت للقَبُول، وإذا عمل المعصية فليغلِّب جانب الخوف وليرجِع إلى ربه لأنَّه إن غلَّب جانبَ الرجاء بعد فعل المعصِيَة فإنه لا يتُوبُ منها، ويقول: ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**)) ويقول: الله غفور رحيم وما أشبه ذلك، فيكون تغليبُ الرجاء في حال وتغليبُ الخوف في حال أخرى، وقال بعض العلماء: نعم يغلِّب الخوف في حال والرجاء في حال لكن لا باعتبارِ العمل بل باعتبار الحال فإذا كان مريضًا فليغلِّب جانب الرجاء؛

لقـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (**لا يمـوتَنَّ أحـدُكم إلا وهـو يُحسِـنُ الظـنَّ بـالله**) وإن كـان صـحيحًا فليغلِّـب جـانبَ الخـوف، والمناسبة قالوا: لأنَّ المريض تضعُفُ نفسه و تنكسِـر وليـس يمِيـلُ إلـى الدنيا ولكنه يهتَمُّ بما أمامه فليغلّب جانب الرجاء، ليس هناك نفسٌ تتطلع إلى الدنيا وتنغَمِس في الترف بل نفسُه قد رقَّت وآوَت إلى الآخرة، وأمَّـا إذا كان صحيحًا فإنَّ النفس الآن فيها شُحّ وتطلُّع للدنيا وإسـرافِها فيغلِّـب جانب الخوف، على كل حال ممكن أن نقول: إذا وُجِـدَتْ أسـبابٌ يخـاف الإنسان على نفسه مِن تغليب جانب الرجاء فليقدِّم الخوف، وإن وُجـدَت أسبابٌ تقتضِي أن يخافَ الإنسان وييأَس من رحمـة اللـه فليغلِّـب جـانبَ الرجاء، يعني إذا فعلَ أسباب الرجاء فليغلِّب الرجـاء وإذا وجـدت أسـباب الخوف فليغلِّب جانب الخوف

وقبل أن ندخل فيما أعدَّ اللهُ تعالى لأهل النار فيهـا نرجـع لِنأخـذ الفوائـد لأنَّنا لم نأخذ الفوائد فيما سبق أليس كذلك؟ مِـن ((**مصـدِّقًا لمـا بيـن يديه إنَّ الله بعباده لخبير بصير**))

مِن فوائد هذه الآية الكريمة إثبات أنَّ القرآن كلام الله عـز وجـل لقـولِه: ((**والذي أوحينا إليك**)) فالوحي إعلام الله سبحانه وتعالى أحدَ أنبيائه بشريعةٍ مِن شرائعه، وهذا هو مذهب أهـل السـنة والجماعـة أنَّ القـرآن كلامُ الله تعالى تكلَّم به حقيقَة بحروفِـه وبصـوتٍ مسـمُوع لكنَّـه لا يُشـبِه أصوات المخلوقين.

ومن فوائدِها فضيلَةُ رسول الله صلى لله عليه وسـلم بِمـاذا؟ بِمَـا أوحـى الله إليه هذا القرآن العظيم ((**والذي أوحينا إليك**)).

ومن فوائدِها اشتمالُ القرآن الكريم على الحقّ في أخبارِه وفي أحكامه، فأخبارُه كلها صدق، وأحكامُه كلها عدل.

ومن فوائدها أنَّ ما خالف القـرآن فهـو باطـل؛ لقـوله: ((**هو الحـق**)) فحصَرَ الحق فيه، والحصر إثباتُ الحكم في المـذكور ونفيُـه عمـا سـواه، وكل ما خالفَ القرآن فهو باطل بلا شك.

ومِن فوائد الآية الكريمة إنذارُ المخالِفِين لهذا القرآن وبشارَةُ المـوافِقِين له واستفاد هذه الفائدة مِن قوله: ((**إنَّ الله بعباده لخبيرٌ بصيرٌ**)).

ومِن فوائدها إثباتُ هذين الاسمين لله عز وجـل ومـا تضـمَّناه مِـن صـفةٍ وحُكم، (خبير) و(بصير).

ومن فوائدها عمومُ علمِ الله وشمولُه حتى لِمَـا يقـوم بـه العبـاد لقـولِه: ((**إنَّ الله بعباده**)) ((**خبير بصير**)).

ومن فوائدها علمُ الله تعالى بما تكِنّه الصدُور مِن أي الاسمين تؤخذ؟ من قوله: (خـبير)، وربمـا نقـول أيضًـا و(بصـير)؛ لأنَّ البصِـير بمعنـى العلِيـم والـمُبْصِر.

طيب ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ جميع الخلق عابِدُون للـه، كـلُّ الخلـق، كلُّهم عبادُ الله ((**إن الله بعبـاده خـبير بصـير**)) فلا حَـقَّ لأحـدٍ مِـن المخلوقين في شيءٍ مِن خصائص الرب، بل الكلُّ عبدٌ ذليل لله سـبحانه وتعالى.

ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ القرآن كتاب أي مكتُـوب، وهـو مكتـوبٌ فـي اللوحِ المحفوظ، ومكتوبٌ في الصحف التي بأيدي الملائكة، ومكتوبٌ في الصحف التي بأيدينَا طيب

ثم قال تعالى: ((**ثم أورثنا الكتاب**)) مِن فوائد الآية الكريمـة أنَّ هـذا القرآن مُصَـدِّقٌ لِمَـا سـبقَه مِـن الكُتُـب لقـولِه: (مصـدقًا لمـا بيـن يـديه) ويتفرَّعُ علـى هـذه الفائـدة أنَّ الـذي يـؤمِنُ بهـذا القـرآن مـ ؤمِنٌ بـ الكتب السابقة؛ لأنَّ هذا القرآن مصدقٌ لها فيكونُ الإيمان به إيمانًا بما سبق مِن الكتب.

ومِن فوائد الآية الكريمة الاستشهاد بالأمْرِ الواقِع حتى وإن كان مِـن عنـدِ الله، بمعنى أنَّ الله تعالى يستشْهِد بالأمر الواقع ليزدادَ إيمانُ المـؤمِنِين، وجهُ ذلك (مصدقًا لما بين يديه) على أحد المعنيين وهما أنَّه وَقع مطابِقًـا لما أخبرت به فإنه إذا أخبرتْ به ثم جاء فهذا دليل على صـدقِه كمـا قـال الله تعالى: ((**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**)) [الشعراء:197] فاستشهدَ الله تعالى بعلْمِ علماءِ بنـي إسـرائيل زيـادَةً في التثبيت وإقامةً للحجة على المنكرين أهل الكتاب نعم.

ومِن فوائد الآية الكريمة رحمةُ الله تعالى بعبادِه حيث لم يدعْهُم هملًا بل أنزل إليهم الكتب التي يسـتنِيرُون بهـا فـي سـيرِهم إلـى اللـه عـز وجـل لقولِه: ((**لِما بين يديه**)).

طيـب ومِـن فوائـد الآيـة الكريمـة سَـعَةُ التعـبير فـي اللغـةِ العربيـة وأنَّ المقصود المعنى دون مُجَرِّدِ اللفظ لقولِه: (لما بين يديه) لأنـه قـد يكـون قائل وهل للقرآن يد فالجواب أنَّ هذا مِن بـاب التوسُّـع فـي التعـبير فـي اللغة العربية، عرفتم؟ وأنَّ المقصود هو المعنـى، والألفـاظ قـوالب تـدُلُّ على المعنى، قوالبُ الشيء يعني معناه: أوانِيه التي يُجعَـل فيهـا، فـأنت مثلًا إذا قُدِّم إليك كُرْتُون مُزَخْرَف مُزَيَّن بالذهب تستدِلّ بهذا على ما فـي باطنِه وأنَّه شيءٌ غالي طيِّب، فالألفـاظ فـي الواقـع قـوالب يُسـتَدَلُّ بهـا

على ما تضمَّنَتْه مِن المعاني، وليس لها -أي لِلألفاظ- معنى ذاتِيٌّ حتى لا تَتَغَيَّر بأي تركيب كانت، بل هي تتغيَّر بحسب التركِيبَات والسِّيَاق.
ثم قال الله عز وجل: ((**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**)) يُستفاد مِن هذا الحديث، أستغفِر الله! يُستفاد مِن هذا الآية فضْلُ الله عز وجل على هذه الأمَّة حيث أورثَها هذا الكتابَ العظيم الذي وصفَه اللهُ بأنَّه الحق وأنَّه مصدِّقٌ لما بين يديه أورثَه الله تعالى هذه الأمة، ففي ذلك بيانُ فضلِ الله علينا بهذا الإرْث.
ومن فوائدها أنَّ هذه الأمة أفضلُ الأمم لقولِه: ((**الذين اصطفينا مِن عبادنا**)) وهم هذه الأمة، واستدللنا لذلك أيضًا بآية أخرى وهي ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)).
ومن فوائد الآية الكريمة الإشارة إلى الفتْرَة بين عِيسى ومحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِن أين تؤخذ؟ مِن (ثُمّ) الدالة على التراخِي وهي كذلك، ولا نعلَم فترةً أطولَ منها بالنسبة لما بين الرسالات والكتبِ المنَزَّلة، فقد قيل: إنَّ أطول ما كان بين آدم ونوح وهذا أمْرٌ قد يشُكُّ فيه الإنسان، لكن ما بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام حوالي ستمائة سنة وإنما طالَتِ الفترة لِتشتَدَّ حالُ الناس إلى إرسالِ الرسل، فتأتِي الرسالةُ المحمدية إلى قومٍ في غايةِ الضَّرُورة إلى الرسالة والوحي، ويكونُ لرسالتِه مزيةٌ عظيمَة حيث جاءَت كالمطر ينزِل على أرضٍ مجدبة فتكون أشدّ قابلِيَّة به وأشد تأثرًا به.
خُلِقَت له بل معناها يختَلِف بحسب السياق؛ وعلى هذا فلا مجال ما دام أنَّ المعنى مفهوم فلا مجال ولهذا تجِد أنَّ الكلمة في معناها المفهوم بالسياق لو أنَّك أرادت أن تحوِّلَها إلى المعنَى الأصلِيّ ما صَح
في استخراج الفوائد مِن الآيات السابقة، مِن الآية .... الكريم أيضًا تقسِيم هذه الأمة إلى ثلاثَةِ أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات.
ومنها أي من فوائدها الردّ على الخوارج والمعتزلة لقولِه: ((**فمنهم ظالم لنفسه**)) وجعلَهم مِن الذين اصطفاهم اللهُ تعالى مِن عباده، ولو خرجُوا مِن الإسلام لم يكونُوا مِن المصطفَيْن, قد يقول قائل: يمكن أن يعارِض الخوارج والمعتزلَة هذا الاستدلال بأن يقولوا إنَّ المراد بالظلم هنا ما دُون الكبائر فيقال: إنَّ ما دون الكبائر يقَعُ مغفورًا بفعل الطاعات كالصلوات الخمس والجُمعة إلى الجُمعة ورمضان إلى رمضان، وحينئذ ينتَفِي الظلم بمجَرَّدِ فعل هذه الطاعات، ثم نقول قولًا

آخر: بأنَّ الآية مُطْلَقَة تشْمَل الظلم الأصغر والظلم الأكبر، ففيها رد على الخـوارج والمعتزلـة الـذين يُكَفِّـرُون أو يخرجـون الإنسـان بـالكبيرة مِـن الإسلام وحينئذ لا يكُونُ مِن العباد الذين اصْطُفُوا.
ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ كلَّ عمَلٍ يقُوم به الإنسان فهو بإذنِ الله عــز وجل وإرادتِه لقولِه: ((**بإذن اللـه**)) وفيهـا الـرد علـى القدرِيَّـة الـذين يقولون: إنَّ الإنسان مستقلٌ بعملِه يقول ويفعل ويترُك بغير إذنِ الله، بل هو مستقلٌ بمشيئَتِه وفعلِه.
ومِن فوائدها أيضًا كبـحُ النفـسِ عـن الاسـتعلَاء والفَخْـر بالطَاعـة لقـولِه: (بإذن الله) حتَّى لا يقول الإنسان: فعلتُ ذلك مِن نفسي وأنا الذي فعلْت وفعلْت، وهذا خلافًا لما يسيِرُ عليه بعـضُ النـاس إذا فعـلَ المعصـية كـان جبريًّا، وإذا فعل الطاعَة كان قدريًّا إذا فعل الطاعة قـال: هـذا منـي وأنـا الذي فعَلْت وأنا الذي فعلت، وإذا فعلَ المعصية قال: هـذا مِـن اللـه وأنـا مجبرٌ عليه، فَبعضُ الناس يسلُك هـذا المسـلَك، وهـذا مسـلكٌ بعيـدٌ عـن العدل.
ومِن فوائد الآية الكريمة إثباتُ عُمُـومِ مشـيئةِ اللـه عـز وجـل حتَّـى فـي أفعالِ العبد لقوله: (بإذن الله).
ومـن فوائـدها تفاضُـل النـاس فـي العمَـل ويتفـرَّع عليـه تفاضُـلُهم فـي الإيمـان، أيـن الـدليل علـى التفاضُـلِ فـي العمـل؟ تقسـيمُهم إلـى ثلاثـة أقسام، ويلزمُ مِن تفاضلُهِم في العِلم أن يتفاضـلوا فـي الإيمـان فيكـون في ذلك دليـلٌ لمـذهب أهـل السـنة والجماعـة القـائلين بزيـادة الإيمـان ونقصِ الإيمان.
طيب ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ أكبر فضل يتفضلُ الله بـه علـى عبـده أن يوفِّقَه للقيام بطاعته لقولِه: ((**ذلك هـو الفضـل الكـبير**))، وقـد أشـار اللـه تعـالى إلـى هـذا المعنـى فـي قـوله: ((**قُلْ بِفَضْـلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**))[يونس:58].
ومِن فوائدها أيضًا أن إِفْضَالَ الله على عباده يتفاضَل فمنـه الكـبير ومنـه الصَّغير، وهذا أمرٌ مُشَاهَد ففضْلُ الله على الرسل أعلى من فضلِه علـى الأنبياء، وعلى الأنبياء أعلى مِن فضلِه على الصِّدِّيقِين، وعلـى الصـديقين أعلى من فضله على الشهداء، وعلى الشهداء أعلى مِن الصالحين، وهذا لا شكَّ فيه نعم
ثم قال الله تعالى: ((**جناتُ عدن يدخلونها**)) إلـى آخـرِه مِـن فوائـد الآية الكريمة أنَّ جزاءَ أولئـك القـوم الـذين أورِثُـوا الكتـابَ علـى اختلافِ

طبقاتهم الثلاث أنَّ جزاءَهم جناتُ عدن؛ لقوله: (جنـات عـدن يَـدخُلُونَها) أو (يُدْخَلُونها) على قراءَتين، ومنها الإشارة إلى كمَال نعيمِ الجنـة لكونِهـا جناتٍ بهيجة، وكونِها محلَّ إقامَةٍ لا ظعنَ منها أبدًا، وقوله: (جنات عدن).
ومن فوائدِها أيضًا ما يُنْعِمُ الله بِه على عبادِه في هذه الجنات مِـن أنـواعِ الفواكه والمطاعِم لدخولِه في كلمة (جنات) وكذلك مِن الملابس لقولِه: ((**يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ**)).
ومِن فوائدها أنَّ الجنـة ليسَـت دارَ تكليـف أي دارًا يُمْنَـع منهـا العبـد ممـا يَتَنَعَّم به، بل يتنَعَّم بكل ما شَاء لأنَّنـا نعلـم جميعًـا أنَّ تحلِّـيَ الرجـال فـي الدنيا بالذهب ممنُوع وحرام، لكنَّه في الجنة مباح وممنُوح وليس بممنوع لأنَّ الجنَّة لهم فيها ما يشاءون بل أكثَر مما يشاءون ويريدون.
ومنها ما يحصل مِن الجمال لتنْوِيع الحُلِـيّ لكـونِه مِـن ذهَـب ولؤلـؤ وفـي الآية الأخرى فِضَّة، وهنا لم يذْكُرِ اللهُ تعالى تحديدَ هذه الحلية لكن جاءت بها السنة حيث قال النبي صلى الله عليـه وسـلم: (**تبلُـغُ الحلْيَـةُ مِـن المؤمن حيث يبلُغ الوُضُوء**)، ومنها نُعُومَةُ لباسِهم وأنَّه أنعمُ ما يكون مِن اللِّبَاس لقولِه: ((**ولباسُهم فيه حرير**)) حرير لا يخلَق ولا يتدَنَّس فهو دائمًا على جِدَّتِه ونظافَتِه
ثم قال الله تعالى: ((**وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور**)) مِن فوائد الآية الكريمـة فضـيلةُ أهـل الجنـة فـي ثنائِهم على ربِّهم في قولِهم: (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن).
ومن فوائدها أيضًا أنَّ حمدَ الله تعالى يكون على إنعامِه وإفضـالِه وعلـى كمالِ صفاته، فهنا قالوا: (الذي أذهب عنا الحزن إن ربنـا لغفـور شـكور) فحمِدُوا الله على إنعامِه عليهم وعلى كونِه غفورًا شكورًا.
ومن فوائد الآيـة الكريمـة كمـالُ الفـرح والسـرور لأهـلِ الجنـة لقـولِهم: (أذهب عنا الحزن) فإنَّ هذه الصفة السلبية تدُلُّ على كمالِ ضـدِّها، فـإذا كان الحزَنُ منفِيًّا عنهم كان ذلك دليلًا على كمالِ سرورِهم وأنَّه سـرورٌ لا يُشَابُ بحزَنٍ أبدًا، بخلاف سُرُورِ الدنيا فإنَّ سرورَ الدنيا مهما عظُـم فـإنه مَشُوبٌ بالكدَر: ولهذا يقولُ الشاعر الحكيم:

لا طيبَ للعيش ما دامَت مُنَغَّصَةً لَذَّاتُه بادِّكَارِ الموْتِ والهرَم

نعم، الإنسان مهما كـان فـي الـدنيا مِـن النعيـم فـإنَّه إذا تَـذَكَّر أنَّ أمـامه شيئيْن لابدَّ منهما لا بد مِن أحدِهما قطعًا، فإن طالَت به الحياة فلا بدَّ مِـن الأمرين جميعا، وهو الهرم والموت، وحينئذ تَتَنَغَّـص عليـه حيـاتُه، ثـم هـو

أيضًا يعرف أنَّه كلّ يوم يمضِي عليه فإنه يُبْعِدُه مِن الدنيا ويُقَرِّبُه مِن الآخرة وهذا تنغيصٌ آخر، ولهذا قال الشاعر:

والمرءُ يفرَحُ بالأيام يقطَعُها وكلُّ يومٍ مضَى يُدْنِي مِنَ الأجَل

نعم، على كلِّ حال في الآخرة نعيمٌ لا كدرَ فيه؛ لقوله: (أذهبَ عنَّا الحزَن).

ومِن فوائدِها أنَّ نعيمَ الآخرَة يُنْسِي كل ما سبقَه مِن حزن لقولِه: ((**أذهبَ عنَّا الحزن**)) وذهابُ الحزَن هنا ذهابٌ لما قد وُجِد ولما يُتَوَقَّع وُجودُه، فلا يمكن أن يمسَّه فيها حزن.

ومِن فوائد الآية الكريمة إثباتُ اسمَيْن مِن أسماء الله وهما الغفور والشكور، الغفور في جانِب المعاصي والشكور في جانب الطاعات، أمَّا في المعاصي فإنَّه عز وجل قال في الحديث القدسي: (**يا ابنَ آدم لو بلغَتْ ذنوبُك عنان السماء ثم لقيتَنِي لا تشرِكُ بي شيئا لَغَفَرْتُ لك**)، أمَّا في الطاعات فإنَّ الله تعالى يقول: ((**مَن جاءَ بالحسنة فله عشرُ أمثالها**)) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ ما فاعل الحسَنة **تُكْتَب لها عشْرُ حسنات إلى سبعمائة ضعْف إلى أضعاف كثيرة**)

ثم قال تعالى: ((**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**))[فاطر:35] فيها فضيلةُ أهلِ الجنة بإضافَتِهم النعِيم إلى المُنْعِم به، مِن أين؟ ((**الذي أحلنا دار المقامة من فضله**)) فنسَبُوا الأمرَ إلى الله وإلى فضلِه (الذي أحلَّنا دارَ المقامة من فضله) وهذا غايةُ الثناء والحمد.

ومن فوائدها أنَّ دارَ الجنة دارُ إقامة كلُّ إنسان لا يتمَنَّى أن يزولَ عن مكانه منها حتى مَن كان في الدرجات غير العالية يرَوْن أنَّهم في أكملِ النعيم؛ لقوله: (دار المقامة) ومنها تأبيدُ الجنة لإطلاقِ قولِه المقامَة ولم تُقَيَّد بزمن.

ومِنها من فوائد الآية أنَّ بِلوغَهم إلى هذه الدار ليس بحولِهم وقوَّتِهم ولكن بفضلِ الله عز وجل لقوله: (من فضله).

ومن فوائدها إثباتُ الأسباب لأنَّ (مِن) هنا سببية أي بفضلِ الله، ففيها ردٌّ على مَن ينكرون الأسباب ويقولون: إنَّ الأسبابَ لا تأثيرَ لها وإنما يحصُلُ الشيء عندها لا بها.

ومِن فوائدها أنَّ الإنسان لا يدخُلُ الجنة بعملِه لقوله: (من فضله).

ولكن قد يُشْكِلُ على هذا قولُه تعالى: ((**جزاء بما كنتم تعلمون**)) ((**ادخُلُوا الجنة بما كنتم تعلمون**)) وأشباهِهِما مِن الآيـات، وقـد جمـعَ العلماء بينهما بأنَّ الباء في قولِه: (ادخلوا الجنة بما كنتـم تعملـون) البـاء للسببية وأنَّ الباء في قولِ الرسول عليه الصلاة والسـلام: (**مـا يـدْخُلُ الجنةَ أحدٌ بعملِه**) للعِوَض يعني أنَّ دخولَ الإنسـان ليـس بعملِـه إذ لـو أنَّه أُرِيدتِ المعَاوضَة لَهَلَـكَ الإنسـان، لـو أنَّ الإنسـان نُـوقِشَ فـي عملِـه بالإضافَة إلى نِعْمَةِ الله عليه لكانَت نعمَـةٌ واحـدة تُقابِـل كـلّ العمـل، بـل لكَان العمل نفسُه نعمَة يحتَاجُ إلى شُكْر، ولَّا لا؟ لأنَّ توفِيق الله عز وجـل للعبد

فكيف وقوعُ الشكر إلا بفضلِه، وإن طالتِ الأيامُ واتصَّل العمر
وهذا حق كلُّ عمَلٍ صالح تُوفِّقُ له فهو نعمةٌ مِـن اللـه عليـك يحتـاج إلـى شكر فإن شكرْتَه صارَ الشكر نعمة يحتَاج إلى شكرٍ آخر ثُم لا تستطِيع أن تثنِيَ على ربك بل تقِف تقـول: سـبحانَك لا أحصِـي ثنـاءً عليـك أنـت كمـا أثنيتَ على نفسك.
ومِن فوائد الآية الكريمة كمـالُ الراحـة فـي الجنـة لقـوله: ((**لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغـوب**)) وكمـالُ القـوة والنشـاط لأنَّ التعب إنما يلحَقُ البدن الضعيف، إذا قال قائل: مِن أيـن عرفنـا الكمـال؟ مِن النفي لأنَّ نفيَ النقص إثباتٌ لكمال ضدِّه، وهل يؤخذُ مِـن هـذه الآيـة الكريمة أنَّ الجنة ليس فيها نوم؟
الطالب: ...
الشيخ: اجزِمْ، يُؤخَذ؟ كيف ذلك؟
الطالب: ...
الشيخ: إعياء، طيب على كل حال أخذ نفي النوم مِن هذه الآية فيه شيء مِن الإشكال، لكن إذا أردنا أن نتوَسَّع في الاستدلال فيمكن أن نقول كما قلتم: إنَّ النوم إنما يُحْتَاجُ إليـه لراحـةٍ مِـن تعـبٍ سـابق، وتجديـدِ نشـاط لعملٍ لاحق نعم، أليس كذلك؟ طيب، وإذا كان الإنسان في محلِّ إقـامَتِه لا يمسُّه النَّصَب ولا اللغـوب فـإنَّه لا يحتـاج إلـى النـوم، يَـرِدُ علينـا الأكـل والشرب الأكل والشرب في الجنة ثـابت مـع أنَّـه يُحْتَـاجُ إليـه فـي الـدنيا لحاجَةِ البدن إلى النمُوّ وإلى العمَل، فيقال: إنَّ أكلَهـم فـي الآخـرة ليـس للحاجة ولكن على سبيل التَّلَذُّذ، ولهـذا يـأكلون ويشـربون ولا يبولُـون ولا يتغَوَّطُون، إنما يخرُج ذلك رشـحًا يعنـي عرقًـا أطيَـب مِـن ريـح المسـك، ولهذا يأكلون دائما لكن في الدنيا إذا امتلأَ الإناء وُقِّف ما عاد تأكُـل أكـثر، على كل حال لاشكَّ أنَّهم لا ينَامُون مِن نصوصٍ أخـرى، العلمـاء يقولـون: إنَّ النوم أخو الموت وقد نفى الله عنهم الموت فإذا انتفَـى المـوت فـإن النَّوم ينتفي أيضًا لأنَّه وفاةٌ صغرى، ثم إنَّهم لو كانوا ينامُون لأَدَّى ذلك إلى تعطُّلِ نعيمِهم وقتَ نومهم، والجنة نعيمُها دائم مستمر،
الطالب: قد يقال إن النوم ..
الشيخ: هو لذة ومتعة لِمَن احتاج إليه، لكـن أنـت لـو حصـل لـك مـا تنـام بدون نقص ما نمت.
الطالب: كذلك الأكل.

الشيخ: ... ما في شك أنه يوفروا وقتا لكن ما هـو حاصـل، فـالنوم ليـس متعة إلا لِمَن احتاجه فقط، أما مَن لا يحتاجُه فليس ....
الطالب: ما في ادلة صريحة .. استنباطًا ... ؟
الشيخ: .. أدلـة صـريحة مِـن السـنة الرسـول أخـبر بـأنَّهم لا ينـامون .... يعتبرونها من مناقشة الفوائد.
طيب مِن فوائد الآية أيضًا أنَّ أهلَ الجنة لا يتعَبُون في مزاوَلة الأعمال ولا يلحقهم إعياء بعد ذلك؛ لقـوله: ((**لا يمسنا فيهـا نصـب ولا يمسـنا فيها لغوب**)) لكن هل هم يتعبون؟ نقول: لا يتعبون قطعًا كما في الآية لكنهم يعملُون ((**عينًا يشرب بها عباد اللـه يفجرونهـا تفجيـرا**)) يعملُون في نعيمِهم يفجِّرُون الأنهار ويجنُون الثمار إلا أنَّه بدون كَلَافَـة ولا مشقة كما قال الله تعالى: ((**قطوفها دانية**))
ثم قال الله تعالى: ((**والذين كفروا لهم نار جهنـم**)) {هـذا مبتـدا درس اليوم} قال الله تعالى: (والذين كفروا لهـم نـارُ جهنـم) هنـا قـال: (والذين كفروا لهم نارُ جهنم) فـأتَى أوَّلًا بالمبتـدأ ثـم أتَـى بالمبتـدأ وخـبر آخر، وهذا يفيد التوكيد فهو أشدُّ توكيدًا من مثل قولِه تعالى: ((**وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصـير**))، لَمَّـا قـال: (والـذين كفروا) بقِيَ الذهنُ مُتَشَوِّفًا مُتَطَلِّعًا إلى الخبر، ما الذي يكون لِهؤلاء قال: لهم (نار جهنم) أعوذ بالله يعني ليس لهم إلا ذلك (نـارُ جهنـم) وهـذا مِـن باب إضافة الموصُوف إلى صفتِه لأنَّ النار يُعَبِّرُ عنهـا أحيانًـا وحـدَها يُعَبَّـر عن النار بالنـارِ وحـدَها، ((**واتَّقوا النـار الـتي أُعِـدَّت للكـافرين**)) وأحيانًا يُعبَّر بجهنَّم عنِ النَّار مثل: ((**حسـبُهم جهنَّـم**)) ((**إن الـذين كفروا مِن أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم**)) لا، مثل هذا مُضافة، وأحيانًا تُضاف النار إلى جهنم وحينئـذ يقَـعُ الإنسـان فـي إشـكال يقول: كيف يضافُ الشيءُ إلى ذاتِه أو إلى نفسِه فالنار هي جنهم وجهنم هي النار، يا علي! وين ..؟ نقول: إضافَتُها هنا مِن بابِ إضافة الموصـوف إلى صفته ولهذا لا يقال: جهنم نار، ولكن يقال: نـار جنهـم، فجهَنَّـم علَـمٌ مِن باب اللقب وأنتم تعرفون أنَّ العلم اسم وكنيـة ولقـب، فجهنـم اسـم علم لكنه مِن بـاب اللقـب، والعلَـم اللقـب بمنزلـة الصـفة يعنـي بمنزلـة النَّعت لأنَّ اللقب عندهم ما أشعرَ بمدح أو ذمّ، وبناءً علـى ذلـك يتـبيَّن أنَّ مثل هذا التركيب (نار جهنم) مِن باب إضافة الموصوف إلى صـفته كيـف ذلك؟ النار هي هذا الجوهَرُ الحـارُّ المعـروف، جهنَّـم أصـلُها مـن الجُهْمَـة

وهي الظُلْمة لِبُعْدِ قعرِها وخلوِّهَا مِن النور، ومِن هنا نعرف أنَّ هذا الاسم فيه شيءٌ مِن الاشتقاق فيكونُ دالًّا على وصْف.

((**لهم نارُ جهنَّم لا يقضَى عليهم فيموتُوا ولا يُخَفَّفُ عنهم مِن عذابِها**)) (لا يُقْضَى عليهم) بالموت (فيموتوا) ويستريحوا " نعم قال الله تعالى في ذلك: (**فإنَّ له نار جهنَّم لا يمُوت فيها ولا يحيى**)) لا هو ميِّت فيستريح ولا حيٌّ حياةً يتنعم فيها بل هو في شقاءٍ دائم، يتمنَّوْن الموت ولكن لا يحصُل لهم ((**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**)) فهنا يقول: ((**لا يقضى عليهم فيموتُوا**)) أي لا يُقضَى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحون، والفاء في قولِه: (فيموتُوا) فاء السببية والفعلُ بعدها منصوب بحذف النون، والواو فاعل؛ لوقوعه بعد النفْي الكَائِن في قوله: (لا يقضى عليهم).

قال: ((**ولا يخفف عنهم من عذابها**)) طرفةَ عين " فهم في عذابٍ مستمر لا يستريحون منه لا بموت ولا بنوم ولا بتخفيف والعياذ بالله ((**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ**))[غافر:49] شوف الذُلّ والعياذ بالله (ادعوا ربكم) كأنهم آيِسُون أن يدعُوا الله لأنَّ الله قد قال لهم: ((**اخسئُوا فيها ولا تكلمون**)) فيطلبُون الوسائط (ادعوا ربكم)، ثم هذا يعني استجدَاءٌ ضعيف يُخفِّف ولم يقولوا: يمنَع فطلَبوا التخفيف يومًا ولم يقولوا: دائمًا فهنا يظهَر أثَرُ الضَّعْف عليهم والذُلّ والهوان مِن ثلاثة وجوه أولًا: أنهم طلبوا الشفعاء فلا يستطيعون أن يتكلموا، ثانيًا: طلبوا التخفيف دون المنْع النهائيّ، ثالثًا: أنهم طلبوا ذلك يومًا من الأيام لا دائمًا، ولكن هل تُجيبُهم الملائكة؟ تجيبُهم بالتوبِيخ والعياذُ بالله ((**قالوا أو لم تكُ تأتيكُم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعُوا**)) **قال الله تعالى:** ((**وما دعاءُ الكافرين إلا في ضلَال**)) فهنا لا يُقضَى عليهم فيموتوا ولا تُجابُ دعوتهم في ذلك ولا يُخَفَّفُ عنهم مِن عذابها ولا يومًا واحدا لأنَّهم قد أُنذِرُوا وقامَتْ عليهم الحُجَّة مِن كل وجه.

قال الله تعالى: ((**ولا يخففُ عنهم مِن عذابها كذلك**)) كما جَزَيْنَاهُم ((**نجزي كلَّ كَفُور**)) كافر، بالياء والنون المفتُوحة مع كسرِ الزاي ونصبِ (كلّ) " المؤلف رحمه الله أجمَل في بيانِ هاتين القراءتين إجمالًا مخلًّا القراءتان: (كذلك نَجزِي كل كفُور) بالنون المفتوحة والزاي المكسورة ونصب (كل)، ووجه هذه القراءة ظاهر لأنَّ (نجزي) فعل مضارع نعم، وفاعلُه مستَتِر، و(كل) مفعول به: القراءة الثانية: (كذلك

يُجزَى كُلُّ كفورٍ) وصنِيع المؤلف لا يؤدِّي هذا المعنى بل ظاهرُه أنَّ (كـل) منصــوبَة علــى القراءتَيْــن، وأيضًــا ظــاهرُه أنَّ الــزاي مكســورة علــى القراءتَين، وأن الياء مفتوحة على القراءتَين، (نَجزِي كل كفور) عرفتــم؟ والقرَاءَة (يُجزَى كلُّ كفور)، طيب نرجع الآن إلى كلمة (كـذلك) (كـذلك) تردُ كثيرًا في القرآن الكريم ويقول المعرِبُون إنَّ الكافَ مفعولٌ مطلــق، وأنَّ تقدير الكلام مثلَ ذلك الجزاء نجزِي، عامل هذه المفعول المطلق ما بعدَه مِن الفعل، (كذلك نجزي الظـالمين) أي: مثـل ذلـك الجـزاء نجـزي الظالمين، (كذلك نجزي كلَّ كفور) أي مثل ذلك الجزاء نجزِي كلَّ كفــور، وقوله: (كلَّ كفور) قال المؤلف: كافر " يعنـي أنَّ صـيغة المبالغـة هنـا لا تُرَاد بل مُطلَق الكفْر موجِبٌ لهذا الجزاء، لأنَّك لو اعتبرْتَ صيغة المبالغـة بظاهِر معناها لكان لا يُجزَى هذا الجزاء إلا مَن تكرَّرَ كفرُه، ولكـن لا يمنَـع أن نقُول: إنَّ (كفور) هنا صفة مشبَّهَة ويكـون المعنـى: كـلَّ مَـن اتَّصَـف بالكفر والله أعلم.

((**والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقْضـى عليهـم فيموتـوا ولا يخفَّف عنهم**))

((**ربنا أخرجنا نعمَل صالحًا غير الذي كنا نعمَل**)) قـال المؤلـف: ((**يصطرِخون فيها**)) يستغِيثُون بشِدَّة وعوِيل " قـوله: (يصـطرخون فيها) هذه مِن الصراخ والصراخُ معروف وهو رَفْعُ الإنسان صوتَه أشدَّ مـا يكون، وقيل: (يصطرخون) فأُتِيَ بالتاء للمبالغَـة فـي الصـراخ كمـا يقـال خَضَب واختضَب أيها أبلغ؟ (اختضَب) أبلَغ مِن (خضب)، صـرخ واصـطرخ (اصطرخ) أبلغ مِن (صرخ)، وقـد ذكـروا قاعـدةً أغلبِيَّـة فـي هـذا المقـام فقالوا: إنَّ زيادة المبنى تدل على زيادةِ المعنى، لكن هذه القاعدة أغلبية لأنها تنتقِض بشجَرَة وشجَر، وبقرة وبقَر فإنَّ (شجرة) زائدة المبنى على (شجر)، ناقصة المعنى، يعني الشـجرة تـدل علـى واحـدة، وشـجَر علـى جمع، لكن ما الغالب؟ أنَّ ما زاد في المبنى زاد في المعنى، فـ(اصطرخ) لاشك أنَّها أبلَغ مِن (صرخ)، فهم والعياذُ بالله يصطرِخُون هذا الاصْــطِرَاخ العظِيـم فـي النـار يصـطرِخُون فيهـا يقولـون: ((**ربَّنا أخرِجْنا نعمَـل صالِحًا غيرَ الذي كنـا نعمـل**)) (ربَّنـا) الآن يُقِـرُّونَ بالربُوبِيَّـة وأنَّـه لا يُغِيثُهم مِن الشِّدَّة إلا الله، وكانوا في الدنيا يستغيثون بـ(مَن)؟ بغيــرِ اللــه بأصْنَامِهم وما يعبُدون مِن دون الله، أمَّا الآن فقد عرَفُـوا أنَّـه لا يُمكِـن أن يُنجِيَهم مما هم فيه إلا الله، وقولُهم: ((**أخرجنا نعمل**)) أتــت (نعمــلْ) بالجزم؛ لأنَّها جواب للطلب في قولِه: (أخرجنا) وإذا كـان جوابًـا للطلـب

كانَ كالشرط المقَـدَّر، أخرجْنـا إن تخرجْنـا نعمَـلْ صـالحًا غيـر الـذي كنَّـا نعمل، هكذا يقولون: (ربَّنا أخرجْنـا) يعنـي مِـن النـار (نعمـلْ صـالحًا غيـر الذي كنا نعمل) ولكنَّ هذا القول ليس بصـحيح؛ لأنَّ اللـه يقـول: ((**ولو رُدُّوا لعادُوا لما نُهُـوا عنـه**)) وهـذا كلامُ اللـه عـز وجـلَّ العـالِم بمـا سيكون لـو أخرجَهـم، فهـؤلاءِ يقولُـون ذلـك مِـن بـاب الاعتـذار وإلا فـإنَّ قلوبَهم خاربة خرَبَت في الأول وستخرُب في الثاني فإذا نَجَـوا مِـن النـار عادوا لما كـانُوا عليـه قـال اللـه تعـالى عنهـم: ((**ربنا أخرجنا نعمـل صالحا غير الذي كنـا نعمـل**)) الأولـى (نعمـلْ) مجزومـة علـى أنَّهـا جواب الطلب، والثانية مرفُوعة؛ لتجردِها من الناصب والجازم (غير الذي كنا نعمَل) ما الذي كانوا يعملون؟ يعملون عملًا سيئًا لأنهم يشرِكُون بالله عز وجل ويستكبِرُون عن عبادتِه ولو رُدُّوا لعادُوا لما كانوا عليه مِـن قبـل ولهذا قيل لهم: ((**أو لم نعمرْكُم ما**)) أي وقتًـا ((**يتـذكَّر فيـه مَـن تَذَكَّرَ وجاءَكم النذير**)) الرَّسُول فمَا أجبْتُم " يقال لهم توبيخًا وتنـديمًا وإقامَةً للحجة: ((**أو لم نعمرْكم**)) فمَن القائل؟ إن نظرْنَا إلـى ظـاهرِ الفعل قلنـا: إنَّ القائـل هـو اللـه لأنَّ الـذي عمَّرَهـم هـو اللـه عـز وجـل، ويحتمِل أن يكون القائلُ الملائكة لكن لَمَّا كانتِ الملائكة تقولُ بـأمر اللـه صارَ كأنَّ القائل هو الله، فالملائكة تقول لأنهم جنود الله: (أو لم نعمرْكم ما يتذكر فيه مَن تذكر) وأيًّـا كـان فالمقصُـود بهـذا إقامـة الحجـة عليهـم وتوبيخُهم وتنديمُهم، وقـوله: ((**أو لم نعمركـم**)) هـذا السـياق يُوجَـدُ كثيرا فـي القـرآن تـأتِي همـزةُ الاسـتفهام وبعـدَها حـرف العطـف، وقـد اختلف المعرِبُون في مثل هذا الـتركيب، فقيـل: إنَّ الهمـزة داخِلَـة علـى مُقَدَّر يستفادُ مِن الكلام، وهـذا المقـدَّر عُطِفَـت عليـه الجملَ ة الـتي بعـد حـرفِ العطـف، وقـال بعضـهم: بـل إنَّ الهمـزة داخلـةٌ علـى الجملـة الموجُودة لا على شيءٍ محذوف لكنَّها قُـدِّمَت علـى حـرف العطـف؛ لأنَّ لهـا الصـدارة فيكـون التقـدير فـي قـوله: ((**أو لم نعمركـم**)) وَأَلَـمْ نُعَمِّرْكم، وتكون الواو هنا عاطفة على قولِهم: ((**ربنـا اخرجْنـا نعمَـلْ صالحا غير الذي كنا نعمل**)) هذا مِن حيث الإعـراب، أمَّـا مِـن حيـثُ المعنى فكما أَشـرْنا أولًا إلـى أنَّ المـرادَ بـذلك التوبيـخ والتنـديم وإقامَـة الحجة يعني قد عمرْنَاكم تعميرًا واسعًا ووقتًا طويلًا يتذكرُ فيه مَـن تـذكر؛ لأنَّ الرسل جاءَتهم وأمهلتهم ودعتْهم ولكـن أبـوْا وأصـرُّوا علـى كفرهـم، وكان أولَ مَن أُرسِل مِن الرسل نوح عليه الصلاة والسلام فماذا يقول له قومه؟ ((**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُـمْ جَعَلُـوا أَصَـابِعَهُمْ فِـي**

آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا))[نـوح: 7] يجعلون أصابعَهم في آذانِهم لئلا يسمعُوا، استغشَوْا ثيـابهم لئَلَّا يـرَوْا، وهذا يدُلُّ على شِدَّةِ كراهَتِهم لِمَا يقول، لا يحبُّون أن يسْمَعُوه ولا أن يروا نوحًا وهو يلقِيه عليهم، ثم أصرُّوا يعني بقُوا على ما هـم عليـه واسـتمَرُّوا فيه، واستكبروا استكبارًا يعني استكبارًا عظيمًا عن قبولِ الحق، هذا أول الرسل، آخر الرسل قالوا: إنَّه ساحر وكـذاب وقـالوا: ((**أَجَعَلَ الآلِهَـةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ عُجَـابٌ**))[ص:5] وآذَوا الرسـول عليـه الصلاة والسلام بالقول والفعل بل استبَاحُوا أن يُقَاتِلُوه ورَضُوا أن يبـذلوا رقابَهم للسيوف مُعَارَضَةً لدعوتِه عليه الصلاة والسلام، فهؤلاء الذين تبلُغ بهم هذه الحال بعد أن عُمِّرُوا ما يتذَكَّرُ فيه من تذَكَّر وجاءَتهم الرسل هل يُرجَى منهم لو خرَجُوا مِن النار أن يعودُوا إلى الحق؟ أبدًا؛ لأنَّ الأمر واحد الأمر واحد، لكن قد يقول قائل: إنَّـه ليـس الخـبر كالمعاينـة فالنَّـار الـتي تُوُعِّدُوا بها أدركُوها عن طريق الخَبَر قبل أن يكونـوا فيهـا، أمَّـا لَمَّـا كـانوا فيهـا فقـد أدركوهـا عـن طريـق الحِـسّ والمشـاهدة، فـالجواب أنَّ خـبر الرسل المؤيدَة بالآيـات الدالـة علـى رسـالتهم يفِيـدُ العلـم اليقينِـي لأنَّ الرسل ما جاءَت تدعُوا الناس وتنذرُهم وتبشـرهم إلا بآيـاتٍ يُـؤْمِنُ علـى مثلها البشر، وهؤلاء والعياذ بالله طبيعَتُهم التكذِيب والإنكـار فلـن يؤمِنُـوا ولو خَرَجُوا، قال الله تعـالى: ((**أو لم نعمرْكـم مـا يتـذكر فيـه مـن تذكر وجاءكم النذير**)) النذِير يقول المؤلف: " الرسول " والمراد بـه الجِنس لأن كل رسولٍ قد أنذرَ قومه وحذَّرَهم مِن معصية اللـه وبشَّـرَهم ورغَّبَهم في طاعةِ الله، ولكنَّهم والعياذ بالله أصرُّوا واستكبروا فقد قامَتْ عليهم الحجة ((**فذوقوا فما للظالمين مِن نصير**)) (ذوقـوا) الأمـر هنا للإهانة، ومفعول (ذوقوا) محذوف التقـدير: ذوقـوا عـذابَكم أو ذوقـوا عاقبة تكذيبِكم، ((**فذوقوا فما للظالمين**)) الكافرين ((**مِن نصـير**)) يدفعُ العذابَ عنهم " (مَا للظالمين مِن نصير) الجملة مكوَّنة مِن مبتدأ وخبر أين الخبر؟ (للظالمين) والمبتدأ (نصير) ودخلت عليـه مِـن الزائـدة لتوكيدِ النفي، (مـا) هنـا هـل هـي عامِلـةٌ عمـلَ (ليـس) أو لا؟ لا، لِمـاذا؟ لتقدمِ الخبر وهي لا تعمل عمل ليس إلا مع الترتيب، فنقول مثلًا: ما زيـدٌ قائمًا صح، ولو قلت: ما في الدار زيدٌ فهذا صـحيح، لكـن مـا نجعَـل (فـي الدار) في محلّ نصب لماذا؟ لتقدمِ الخبر، طيـب قـال: (فمـا للظـالمين مِن نصير) قال: يدفَعُ العذابَ عنهم، والنَّصِير بمعنى الناصِر، والناصِر هـو المانِعُ مِن الشرّ المعِين على الخير، فكلُّ مَن مَنَعَ الشَّـرَّ فهـو ناصـرٌ لـك،

وكلُّ مَن أعانك على الخير فهو ناصِرٌ لك، ويدل لِهـذا قـول رسـولِ صـلى الله عليه وسلم: (**انصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا،** قـالوا: يـا رسـول الله**!** هذا المظلوم) كيف ننصر المظلوم؟ تمنَع عنه الشَّـرّ، فكيـف نصـرُ الظالم؟ قال: (**تمنعُه مِن الظلم**) منعُ الظالم مِن الظلم ليس إسداءَ الخير إليه ولكن منعه مِن شر، فالنصر إذًا إمَّا أن يكونَ بجلـبِ خيْـر وإمَّـا يكون بدفعِ شر **.**

((**إن اللـه عـالمُ غيـبِ السـماوات والأرض إنَّـه عليـمٌ بـذات الصدور**)) (إنَّ الله عالِمُ غيبِ السماوات) أي ما غـابَ فـي السـماوات والأرض غيبًا مطلقًا عن كلِّ أحَد، وقولُه: (غيبا مطلقًا) احترازًا مِن الغيب النسبي فإنَّ الغيب النسبي لا يختَصّ علمه بالله عز وجل بـل يعلمُـه اللـه ومَن علِمَه مِن عباد الله، مثال الغيب النسبي الذي يكون ظاهرًا بالنسـبة لقوم خفيًّا بالنسبة لآخرين، فنحن هنا نعلم ما بين أيدينا لكن هل نعلَمُ مـا كان في السوق أو في البيوت؟ الجواب: لا، هـذا نسـميه غيبًـا نسـبيًّا لأن الذي في البيوت أو في السوق يعلمونه فالغيبُ المطلق هذا لله عز وجل وحدَه يعلَم ما غابَ عن الخلق مطلقًا، حتى الأمور المستقبَلَة يعلمُهـا عـز وجـل يعلمهـا مـتى تكـون وأيـن تكـون وكيـف تكـون، وقـوله: ((**غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور**)) أي بصاحبة الصـدور وهي القلوب، والقلوب هي محَلّ العقْل والتفكِير والإرَادَة فهـو عليـمٌ بهـا عز وجل، وإخبارُ الله تعالى بأنَّه عالمُ غيبِ السماوات والأرض يقصد منـه التحذير مِن المخالفة والترغيب في الموافَقَة، فأنت إذا وافقت اللـه عـز وجل فلن يضيعَ عملُك لأنَّه معلوم لله، وإن خالفت فلن يضيع لأنَّه معلـوم لله، لكنه بَشَارة بالنسبة للطائعين وإنذار بالنسبة للمخالفين العاصين.

نأخذ الفوائد الآن ... قال الله تعالى: ((**وهم يصطرخون فيها**)) إلى آخرِه

قال الله تعالى: ((**والذين كفروا لهم نار جهنم**)) يستفاد مِن هذه الآية الكريمة أنَّ جزاءَ الكافرين النار وهذا ما دلت عليه آيات كثيرة.

ومِن فوائد الآية أيضًا أنَّهم لن يدخلوا الجنة لقولِه: ((**لهم نار جهنـم**)) فأتى بالجملة الاسمية الدالَّة على الثبوت والاستمرار.

ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ أهل النار يتألَّمُون منها ومِن عـذابها وعقابِهـا لقـولِه: ((**لا يقضى عليهـم فيموتـوا**)) لأنَّـه لـو مـاتوا لاسـتراحُوا، فيكون في هذا ردّ على قول مَن يقول مِـن المعتزلـة وغيـرِ هـم إنَّ أهـل النار تكون النار فيهم طبيعـة فلا يحـترقون فيهـا ولا يتألَّمُون منهـا، وهـذا

خلافُ ما دلَّ عليه القرآن وخلاف ما دلَّ عليه العقل، أمَّا القرآن فإن اللـه تعـالى يقـول: ((**ذوقوا عـذاب الحريـق**)) أي ذوقـوا العـذاب الـذي يحرِقُكم، ويقول عز وجل: ((**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلـودًا غيرها لِيذُوقوا العذاب**)) وهـذا نـصّ صـريح فـي أنَّ الجلـود تحـترِق ولكن تُبَدَّل لأجل أن يذوقُوا العذاب، وفيه أيضا دليل على أنها لو احترقت وبقيت محترقة فإنها لا تُحِسّ بالعـذاب فيفَـرَّق بينهـا وبيـن مـا إذا بُـدِّلت، فالصوابُ بلا شك أنَّ أهل النار يتألَّمون مِن عـذابها وأنهـم لا تكـون النـار طبيعةً لهم فلا تهمهم بعد ذلك.

ومِن فوائد الآية الكريمة حسْنُ بلاغةِ القرآن إذا ذكرَ شيئًا ذكـر مـا يقـابله حتى تكون النفس بين هذا وهذا، فإذا ذكرَ ثناءً على أهل الخيـر ذكـرَ ثنـاءً [كذا] على أهل الشر، وإذا ذكر جزاءَ أهل الخير ذكر جزاء أهل الشر.

ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ هؤلاء أعنـي أهـل النـار لا يخفَّـفُ عنهـم مـن عذاب النار أبدًا لا في كيفيته ولا في نوعه ولا فـي زمنِـه لا يخفَّـف عنهـم مِن عذابها.

وفيه أيضًا دليل على كمالِ قدرَةِ الله عز وجل حيث تبقَى هـذه النـار أبـدَ الآبِدِين والعياذُ بالله لا تتغيَّـر، والمعـروف فـي نـار الـدنيا أنَّهـا مـع طـول الزمن تتغير وتنقص وتطفأ حتى لا يكونَ لها أثر، أمَّا في نـار جهنـم فإنهـا تبقى أبدَ الآبِدِين لا ينقُص عذابها ولا حرارَتُها.

ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ هذا الجزاء ثابِت لكل مِن اتَّصَف بالكفر يعني لا تختَصّ به قبيلة دون أخرى فلا يقـال مثلًا إنَّـه خـاص بقريـش المكـذبين برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بالقبيلة الفلانيـة ..، بـل كـلَّ كفـور، حتى وإن كان من قرابةِ النبي صلى الله عليه وسلم.

ومِن فوائـد الآيـة الكريمـة إثبـاتُ الأسـباب وربـطِ مسـبَّبَاتها بهـا لقـوله: ((**كذلك نجزي كل كفور**)).

ومن فوائدها أنَّ أهل النار تتفاوَتُ منازلُهم وعذابُهم مِن أيـن يؤخـذ؟ مِـن قوله: ((**والذين كفروا لهم نار جهنـم**)) ((**وكـذلك نجـزي كـل كفور**)) ووجْهُ الأخذ أن كُلّ معلق على وصـف فـإنه يـزدَاد بزيـادة ذلـك الوصف وينقُصُ بنقصانِه.

ثم قال: ((**وهم يصطرخون فيها ربنـا أخرجنـا نعمـل صـالحا**)) نخليها في الدرس القادم إن شاء الله.

إننا لم نُكَمِّل الفوائد .....

قـال اللـه تعـالى: ((**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَـا رَبَّنَـا أَخْرِجْنَـا نَعْمَـلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**))[فاطر:37] إلى آخرِه، مِـن فوائـد الآيـة الكريمة بيانُ شِدَّةِ عذابِ أهلِ النار وجْهُ ذلك قوله: (يصطرخون فيها ربنا أخرجنا).

ومن فوائدِها أيضا إقرارُهم واعترافُهم بأنَّه لا يملـك دفـعَ الضـر عنهـم إلا الله؛ لتوجِيهِهم النداء إلى الله سبحانه وتعالى والاستغاثةَ به في قوله: ((**ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل**)).

ومـن فوائـدِها إقرارُهـم بـأنَّ أعمـالَهم فـي الـدنيا غيـرُ صـالحة لقـولِهم: ((**نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل**)) وهم كما يقرون بأنَّ أعمالهم في الدنيا غير صالحة يقرُّون بأنَّهم غير عقلاء أيضًا لقولهم: ((**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّـا فِـي أَصْـحَابِ السَّـعِيرِ**))[الملـك:10]، ولكن لا ينفَعُهم هذا لأنه بعـد فـواتِ الأوان، وانظـر إلـى جـوابِهم: (أو لـم نعمركم) إلى آخره.

ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ الله عز وجل أقام على الكافرين الحجة مِـن وجهين أنه عمَّرهم وقتًا يمكنهم أن يتذكروا فيه، وثانيًا أنـه جـاءتهم رسـل فلا عذرَ لهم.

ومن فوائدها توبيخ أهل النار بمثل هـذا الكلام؛ لأنَّ هـذا الكلام قـد يكـون أشدَّ عليهم من العذاب لِمَا فيه من التنديم وتجديد الحزن عليهم والتمَنِّي الذي لا ينفَعهم.

ومن فوائد الآية الكريمة الردّ على الجبرِيَّة الـذين يحتَجُّـون بالقـدَر علـى المعاصي يقولون: لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائها ولا حرمنا مـن شـيء، وجهُ الرد قوله: ((**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَـاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِـنْ نَصِـيرٍ**))[فـاطر:37] ولـو كـانَ القدر حجَّةً لم يكفِي ما ذُكِر في الاحتجَاج عليهم.

ومن فوائد الآية الكريمة إثباتُ رحمةِ الله عز وجل وإعذارِه لخلقِـه حيـث أرسلَ إليهم، الرسل فإنَّ إرسـال الرسـل فيـه رحمـة وفيـه أيضـا إعـذَار وإقامة حجة.

ومن فوائد الآية الكريمة إهانَةُ هؤلاء الذين في النار لقـولِه: ((**فـذوقوا**)) فإنَّ الأمر هنا للإهانة فيهَانُون والعياذ بـالله بالعـذاب والتوبيـخ وغيرِهـا من أنواع الإهانات.

ومن فوائدها تَيْئِيسُ هؤلاء مِن الخلاص مِن النار لقولِه: ((**فذوقوا فما للظالمين من نصير**)).

ومن فوائدها أيضا بيان أنَّ الكفر ظلم لقـوله: ((**فما للظـالمين مـن نصير**)).
ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة الإظهـار فـي موضِـع الإضـمار لقـولِه: (فمـا للظالمين) ولم يقل فما لكم مِن نصير، فذوقوا لو أنَّ السياق جرى علـى ما هو عليه لقال: فما لكُم، لكنَّه قال: فما للظالمين.
ومن فوائدها التفنُّن في الأسلوب أو اختيار الوصف الذي يكون أبلَـغَ فـي إقامة الحجة كيف ذلك؟ لأنَّه عـدل عـن قـولِه: فم ا للكـافِرين إلـى (فمـا للظالمين) فإمَّا أن يكون هذا مِن باب التفنـن فـي التعـبير حـتى لا يلحَـقَ المخاطب سآمَة لِتكرُّر الألفاظ عليه، وإمَّا أن يكون هذا مِن باب العــدول عن الوصف إلى وصفٍ أبينَ منـه فـي إقامَـةِ الحجـة، والثـاني أقـومُ فـي المعنى لأنَّه لو قال: فما للكافرين لم يبيِّن أنَّهم ظلمَة بكفرهـم لكـن لمـا قال: (فما للظالمين) صارَ فيه إشارة إلى أنهم بكفرِهم كانوا ظلمَـة غيـرَ مظلومِين، ((**وما ظلمُونا ولكن كانوا أنفسـهم يظلمـون**))، ثـم قال الله تبارك وتعالى
الطالب: ....
الشيخ: يعني امتِنَاع الشفاعة في هؤلاء؟ يمكن أن نقول فيـه دليـل علـى أنَّ الكفار لا تنفَع فيهم الشفاعة لقولِه: ((**فما للظالمين مـن نصـير**)) وهذا عامّ يعني لا أحدَ يدافِع عنهم ولا يشفَع لهم
ثم قال اللهُ تعالى: ((**إنَّ الله عالم غيـب السـماوات والأرض إنـه عليم بذات الصدور**)) صلَةُ هذه الآية بما قبلَها بيَّنَاه فيما سبق أنَّه لمـا ذَكَر أحوالَ الطائعين ومثوبَتَهم وأحوالَ العاصِـين وعقـوبَتهم بيَّـن أنَّ هـذا صادرٌ عن علم تامّ فإنَّ الله تعالى عالِمُ غيـبِ السـماوات والأرض وعـالم ما في الصدور.
مـن فوائـد هـذه الآيـة إثبـاتُ عمـومِ علـمِ اللـه لقـوله: ((**عالم غيب السماوات والأرض**)) هذا واحد، ثانيًا: إثبات علمِ الله بما فـي قلـوبِ بني آدم وغير بني آدم لقولِه: ((**إنَّه عليم بذات الصدور**)).
ومِن فوائدِها التحذير مِن أن يُضْمِرَ الإنسان في قلبِه ما لا يرضاه الله ثـم تُحَدِّثُه نفسه بأن هذا لا يَطَّلِع عليه إلا الله فيغْتَرّ بإمهال الله له وجهُ ذلـك: ((**إنه عليمٌ بذات الصدور**)).
ومن فوائدها أيضًا العكس وهو أنَّ الإنسان إذا أَضمَرَ في نفسه خيًرا فإن الله يعلمه وسوف يثِيبُه عليه.

ومن فوائدها الإشارة إلى أنَّ المدار على ما في القلب لقــولِه: ((**عليمٌ بذات الصدور**)) وذات الصدور هي القلوب لأنها الساكِنة فيها كمـا قـال الله تعالى: ((**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**))

ثم قال الله تعالى: ((**هو الذي جعلَكم خلائِفَ فــي الأرض**)) جمْـعُ خليفة أي يخلُف بعضُكم بعضًا" (هو الذي جعلكم) الضمير يعود على الله فــي قــوله: ((**إن الله عالم غيــب الســماوات**))، وقــوله: (جعلكــم خلائف) صيَّرَكم خلائِف، وخلائف جمعُ خليفــة، والخليفــة بمعنــى الخــالِف بمعنى الذي يخلُف مَن سبق، وهذه الخلافة تشمَل خلافة القُرُون بعضِــها بعضًا كالشباب مثلا يخلُف الشـيوخَ والكبـار، والأحيـاء يخلُفُـون الأمـوات، وتشمَل الخلافةُ السلطة بأن يذهبَ سلطانُ شخص إلى سلطانِ شــخصٍ آخر ينتَقِلُ المـُلْك من شخص إلـى شـخص بـالقُوَّة مـع بقـاء الأول لقـوله تعالى: ((**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْـكَ مَـنْ تَشَـاءُ وَتَنْـزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَـنْ تَشَـاءُ بِيَـدِكَ الْخَيْـرُ إِنَّكَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ**))[آل عمـران:26] فالخلافـة إذًا خلافـةُ القرون بعضِها بعضًا وخلافةُ الملوك بعضِهم بعضًـا الـذين يخلُـف بعضُـهم بعضًا في السلطة والإِمرةِ على الخلق.

((**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمَن كفرَ منكـم فعليــه كفرُه**)) ولا يضُـرّ غيـرَه شـيئا ولا يضُـرُّ اللـهَ شـيئًا أيضًـا، وهـذا كقـوله: ((**من عمِل صالحا فلنفسه ومن أساءَ فعليها**)) فكفــر الإنســان على نفسِه وليس يضر غيرَه شيئًا، فإن قلت: كيف نجمع

... وأما قولُه: ((**واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**)) فإنَّ هذا مـن بـاب تعميـمِ العقوبـة الـتي لا يخلـوا أهـل الإحسـان مِـن التقصير، أمَّا لو قاموا بمـا يجِـب عليهـم فـإنَّ العقوبـة لا تعمُّهـم لأنَّ اللـه تعالى يقول: ((**وينجِّي اللـه الـذين اتقَـوا بمفـازتهم لا يمسـهم السـوء ولا هـم يحزنـون**)) ولأنَّ الواقـع شـاهدٌ بـذلك فنـوح وهـود وغيرُهما مِن الرسل أنجاهمُ الله مع أنَّه أخذَ أقوامَهم بالعقوبة.

يقول عز وجل: ((**فمن كفَر فعليه كفره**)) أي وَبالُ كفـرِه " ((**ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتـا**)) نعـم كفْـرُ الكـافرين عند الله لا يزيدُهم إلا مقتًا لا يزيدهم عند الله مُحابَـاةً لهـم أو رحمـةً بهـم لأنَّ الحجة قامت عليهم فكلما ازدادوا كفرا ازدادوا بُغضًا، قـال المؤلـف: في (مقتا) غضبًا" والمعروف أن المقْت أشـدُّ البغـض قـال اللـه تعـالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْـدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُـوا مَـا لا تَفْعَلُـونَ**))[الصـف:3] وقـال تعـالى: ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَـرُ مِـنْ مَقْتِكُـمْ أَنْفُسَـكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَـانِ فَتَكْفُـرُونَ**))[غـافر:10] وهـذا يـدُلّ علـى أن المقتَ هو البغض لكنَّهـم قـالوا: إنَّـه أشـدُّ البعـض فتفسـيرُ المؤلـف لـه بالغضَب فيه نظَر، قال: ((**ولا يزيدُ الكافرين كفرهم إلا خسارًا**)) فبيَّن هنا أنَّ الكفرَ سببٌ لشيئيْن الشيء الأول: نزُول مرتَبَة الكـافر فـإنَّ كفرَه لا يزيدُه عند الله إلا بغضًا، والثاني: العقوبة الـتي تحصُـل لـه وذلـك بالخسارة فماذا يخسَر؟ يخسَر نفسَـه وأهلَـه ودنيـاه وآخِرَتـه ((**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِـرُوا أَنْفُسَـهُمْ وَأَهْلِيهِـمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**))[الزمر:15] فهو خَسِر نفسه لأنَّه لو آمَن لَرَبِح ونالَ ثوابَ الآخرة بالجنة وهذا ربح، أمَّا الآن فقد أهلكَ نفسه ففاتَت عليه، خسِر أهله لأنَّه لو آمَن واتبعه أهلُه بالإيمان صـارُوا فـي الجنـة فـي منزلة واحدة، خسِر دنياه لأنه لم يستفِدْ مِن وجوده فـي الـدنيا شـيئا بـل استفاد الخسارة والعمَل السـيء، خسِـر الآخـرة أيضًـا لأنـه فـاتَه النعيـم المقِيم في الآخرة وصارَ مِن أصحاب الجحيم، فلا أحدَ أعظَمُ خسارةً مِـن الكافر والعياذ بالله، حتى وإن كان في الدنيا مُنَعَّمًا نعمَة جسـد فهـو فـي الحقيقة معذبٌ عذابَ قلب لأنَّه ليس عند الكافر انشراحُ صـدْر كمـا عنـد المسلم، يقول الله تعالى: ((**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُـوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**))[الزمر:22] يعني فمَن لم يكن كـذلك فهـو علـى ظُلْمَة، طيب نأخذ الفوائد كما اقترحْتم

يقول الله تعالى: ((**هو الـذي جعلكـم خلائـف فـي الأرض**)) إلـى آخرِه يستفَادُ منها تمامُ قدرةِ الله عز وجل وسلطانِه حيث هو الذي يُـدَبِّرُ خلقَه بجعلِهم خلائف.

ومنها بشارةُ المؤمنين وإنذارُ الكافرين لأنَّ مِن جملـةِ الخلافـة أن يَخلُـف المؤمنـون الكـافرين فـي أرضِـهم قـال اللـه تعـالى: ((**وَأَنْزَلَ الَّـذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُـوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًـا تَقْتُلُـونَ وَتَأْسِـرُونَ فَرِيقًـا * وَأَوْرَثَكُـمْ أَرْضَـهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْـوَالَهُمْ وَأَرْضًـا لَـمْ تَطَئُوهَـا**))[الأحـزاب:27] وقـال موسى لقومِه: ((**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَـاءُ مِـنْ عِبَـادِهِ وَالْعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِيـنَ**)) [الأعراف:128] وقال لهم: (إن الله استخلَفَكم في الأرض) ففـي هـذا بَشَارَة للمؤمن فلا ييْأَس مِن أنَّ الله تعالى يجعل له الخلافة فــي الأرض، وإنذارٌ لِمَن؟ للكافر بأن تُجْتَاح أرضه على أيدِي المؤمنين.

ومِن فوائدِها أيضًا حكمةُ اللهِ عز وجل في توارُثِ الأمَم بعضِها بعضًا فإنَّه لولا ذلك لضاقَت الأرْض بأهلِها، لو كان كلُّ مَن أوجده الله بقِـي نعـم كـم يكون عدد العالم؟ ما يُحْصَوْن وحينئـذٍ تضـيقُ بهـم الأرض ويشـقُّ عليهـم تحصيل الأرزاق، وإن كان الله عز وجل قد يجعـلُ لهـم مـن الـرزق مـا لا يخطُر بالبال لكن لا شكَّ أنَّ كون الناس يخلُف بعضهم بعضًـا هـذا يمـوت وهذا يحيا هو الحكمة والرحمة.

ومِن فوائد الآية الكريمة بيانُ شُؤْمِ الكفر وعاقبَتِه لقولِه: ((**فمن كفـر فعليه كفره**)).

ومِن فوائدها أنَّ كفر الكافر على نفسِه لا على غيره وهو كقــوله: ((**ولا تزِرُ وازرةٌ وزرَ أخرى**)) وأورَدْنا على هذه الجملة إشكالًا وأجبْنَا عنه.

ومن فوائدها إثبات صفةِ البغض لله عز وجل بل إثباتُ صفة المقت الذي هو أشدُّ البغـض لقـولِه: (إلا مقتـا) والمقـتُ مِـن صـفات اللـه الذاتيـة أو الفعلية؟ الفعلية؛ لأنَّ كُلَّ صفة تُقْرَنُ بسبب فهـي مِـن الصـفات الفعليـة لأنها حينئذٍ تتعَلَّق بمشِيئَة الله إذ أنَّ السبب واقـعٌ بمشـيئتِه والسـببُ هـو الذي عُلِّقَت فيه الصفة، فتكون الصفة إذًا واقعة بمشيئته، والقاعدة عنـد أهل السنة أنَّ الصـفات الـتي تكـونُ بمشـيئة اللـه تُسَـمَّى صـفة فعليـة، وذكرنا أن الصفات ذاتيَّة وفعليَّة وخبريَّـة، فالذاتيـة هـي الصـفات الـتي لا ينفَكُّ الله عنها لم يزَل ولا يزالُ متصفًا بهـا مثـل الحيـاة والعلـم والقـدرة والسمع والبصر والعِزة والحكمة وغير ذلك كثير، والصـفات الفعليـة هـي

التي تتعَلَّق بمشيئَتِه إن شاءَ فعلَها وإن شاء لم يفعلْها سـواءٌ كـانت صـفَةً ظاهرة أم غيرَ ظاهرة مثل المحَبَّة والكراهَـة والرِّضَـا والبُغـض والضَّـحِك والاستِواء والنزول وغير ذلك، والصفات الخبرية هي التي نظيرُ مسـمَّاها أبعاضٌ لنا مثل الوجْه واليدَين والعَين والساق والإِصبع وما أشبهَها وهنـا لا نقول: إنَّها أجزاء بالنسبة لله هي لنا أجزاء ولكن نتحاشَى أن نقـول: إنهـا أجزاء بل نقول: نظير مسماها أجزاءٌ لنا، ولا يمكن أن نجعل هذه صـفاتٍ معنوية؛ إذ لو قلنا بأنها صفات معنوية لساوَيْنَا أهلَ التعطيل لأنهم يجعلُون هذه الصفات صفاتٍ معنويَّة، طيب اللي معنا الآن (إلا مقتا) مِن الصفات الفعلية طيب.

ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّه كلما ازدادَ الإنسان كفرًا ازداد عند الله مقتًـا وجه ذلك القاعدة التي ذكرناها ونكررهـا دائمًـا وهـي أنَّ الحكـمَ المعلَّـقَ على وصْف يزداد بزيادتِه وينقُص بنقصَانه، وهنا الحكم معلق على الكفـر فإذًا يزداد مقتُ الله عز وجل على الكافِر بزيادة كفـره وينقـص بنقصـان كفرِه.

ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ الكافر أيضًا خاسرٌ في الـدنيا والآخـرة ولهـذا قال: ((**ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارًا**)) ولم يُقَيِّـد لـم يقـل في الدنيا ولا في الآخرة ولا عند الله، بل أطلق فأخسَرُ الناس هم الكفـار خسِـرُوا-كمـا قلنـا فـي التفسـير- أنفسَـهم وأهليهـم ودنيـاهم وآخرتَهـم، وشخصٌ خسِر كل هذه الجهات ليس له رِبح فأعظَم النـاس خسـرانًا هـم الكافرون، طيب إذا قال قائل: هل نستعْمِلُ هنا قيـاسَ العكـس فنقـول: إذا كـان الكـافر أخسـرَ النـاس فأربـحُ النـاس المـؤمن؟ الجـواب: نعـم، نستعمل مقياسَ العكس؛ لأنَّ قياسَ العكس جاءَت به السنة قـال النـبي عليه الصلاة والسلام: (**وفي بُضْعِ أحدكم صدقة،** قـالوا: يـا رسـول الله! أيأتي أحدنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟ **قال أرأيتُـم لـو وضـعَها في الحرام أكان عليه وزر؟** قالوا: نعم، **قال: كـذلك إذا وضـعَها في الحلال كان له أجر**) فكلُّ عمل حلال تستغني به عن حرام يكـون له فيه أجر، إذًا المؤمن رابح في مقابل أنَّ الكافر خاسر، وإن شئت تلونا آية صريحة في هذا قال الله تعالى: ((**والعصـر * إن الإنسـان لفـي خسر * إلا الذي آمنوا**)) يعني فليسوا في خُسْـر بـل فـي ربـح ((**إلا الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات وتواصـوا بـالحق وتواصـوا بالصبر**)) وتجارة المؤمنين تجارةٌ رابحة ((**يرجُون تجارة لـن تبـور**)) لن تهلِك ولن تخسَرَ شيئًا، وقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم لأبـي

طلحة لَمَّا قال يا رسول الله إنَّ الله أنزل قوله: ((**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**)) وإن أحبَّ مالي إلي بَيْرُحَاء وإنـي أضـعُها -يعنـي عند الرسول عليه الصلاة والسلام- صدقةً إلى الله ورسوله، فقال النـبي صلى الله عليه وسلم: (**بخٍ بخٍ ذاك مالٌ رابِـح ذاك مـالٌ رابـح ذاك مال رابح**) طيب

ثم قال تعالى: ((**قل أرأيتـم شـركائَكم الـذين تـدعون**)) تعبُـدُون ((**مِن دون الله**)) أي غيرِه وهم الأصنام الذين زعمتُم أنَّهم شركاءُ لله " (قل أرأيتم) يعني أخبرُوني، و(شركاء) مفعول أول لأن (أرأيت) تنصِب ثلاثة مفاعيل مفعول أول صـريح منطـوقٌ بـه والمفعـول الثـاني والثـالث مُعَلَّق بهمزة الاستفهام، فهنا أروني ماذا خلقـوا مـن الأرض نعـم، أرأيتـم شركائَكم مِن دون الله ماذا خلقوا مِن الأرض لكن هنا قـال: أرونـي مِـن باب التحدي أخـبرُوني عـن شـركائِكم، وقـوله: (شـركائِكم) يعنـي الـذي جعلتُموهم شركاء فالإضـافة هنـا باعتبَـار جعلِهـم أي جعـلِ العابـدين لهـا شريكَةً مع الله، وقوله: (الذين تدعُون) قال المؤلف: " تعبدون " فحـوَّل الدعاء إلى معنى العبادة ولا شكَّ أن الدعاء يـأتي بمعنـى العبـادة كقـوله تعالى: ((**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**))[غافر:60] ولم يقـل عـن دعـائي فهـذا دليـل علـى أنَّ الدعاء بمعنى العبادة، ..... لا، الآيات اللي استشهدنا بها علـى أنَّ الـدعاء ومثل الإنسان إذا لم ينتبه وفاته كلمة واحدة ما عاد يستطيع أن يفهم لأنه ما يقدر يبني الكلام بعضه على بعض، إذا ما تابعتم المدَرِّس تـرى بفوتـك كل الدرس ...

((**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّـذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**))[غافر:60] ولكن لو قالَ قائـل: إنَّ قولَه: (تـدعُون) شـامِلٌ لـدعاءِ المسـألة وهـو طلَـبُ الحاجـة، ودعـاءِ العبادة لكانَ أولى لأنَّ هذه الأصـنام الـتي يـدعونَها، أحيانًـا يجمعـون بيـن الأمرين فيركعـون لهـا ويسـجدون ويـذبحُون وينـذرون، وأحيانـا يـدعونها دعاءً، وأحيانًا يجمعون بين الأمرين فالأولى أن نجعَل الآيـة شـاملة لِـدعاءِ المسألة ودعاء العبادة والله أعلم.

((**قل**)) يا محمد ((**أرأَيْتُم**)) والخطاب ب(قـل) هنـا خطـاب لِمُفْـرد وإذا جاء مثل هذا في القرآن فإما أن يكون ممّا يختَصّ به الرسولُ صـلى الله عليه وسلم فالأمر فيه واضح كقولِه: ((**ألم نشرح لك صـدرك**)) ((**يا أيها الرسول بلِّـغ**)) ومـا أشـبهَها فهـذا خـاصّ بمـن؟ بالرسـول

والأمر فيه واضح، إذا جاء مفردًا وليس خاصًّا بالرسول عليه الصلاة والسلام يعني لم يقُم دليل على اختصاصِه به فهل نقول: إنَّ الخطاب موجَّه لكل مَن يتأتى خطابه أو إنَّه موجَّه إلى الرسول وأمتُّه تبعٌ له وإنما وُجِّهَ إليه وحدَه باعتباره الإمام المتبُوع، في هذا خلاف بين أهل العلم والخلافُ هنا قريبٌ مِن اللفظي لأنَّ الكلَّ متفقُون أن هذا الحكم يشمَل الأمة إذ لا دليلَ على اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم به، بخلاف ((**ألم نشرح لك صدرك**)) فهذا خاصٌّ بالرسول لأن ليس كل أحدٍ قد شرح الله له صدرَه، طيب هنا (قل أرأيتم شركائَكم) الخطاب لِمفْرد فهل هو للرسول عليه الصلاة والسلام أو لِكل من يتأتَّى خطابه؟ نقول: إنَّه لكل مَن يتأتي خطابُه، وقيل: للرسول باعتباره الإمام وغيرُه مثله، حتى مثلًا في زمننِا هذا نقول للمشركين: أرأيتُم شركائَكم الذين تدعون مِن دون الله أروني ماذا خلقوا مِن الأرض، وسبق أنَّ المؤلِّف رحمه الله فَسَّر الدعاء هنا بالعبادة وقلنا: إنَّه تفسير ناقص؛ لأن الدعاء يكون للعبادة ويكون للمسألة، والمشركون أشركوا بشركائِهم بالنوعين جميعًا فقد يدعُون هؤلاء الشركاء وقد يعبدونَهم، وسبَق أنهم يقولون إنَّ الأصنام شركَاء لله عز وجل حتى إنَّ المشركين في تلبيتِهم يقولُون: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكُه وما ملَك، يقول: أروني أخبرُوني ماذا خلقوا مِن الأرض قولُه: ((**ماذا خلقُوا مِن الأرض**)) مِن حيثُ الإعراب يجوزُ فيها وجهَان: الوجه الأول أن نُعرِب (ماذا) جميعًا على أنَّها اسم استفهام مفعول مقدَّم لـ(خلقوا)، والثاني أن نعرب (ما) وحدَها على أنَّها اسم استفهام و(ذا) بمعنى الذي، وعلى هذا فيكون في (خلقوا) ضميرٌ محذوف هو العائد لاسم الموصول والتقدير: ماذا خلقوهُ مِن الأرض والمعنى لا يختلف فهؤلاء يُتَحَدَّوْن ويُقال: أرونا ماذا خلقُوا مِن الأرض هل خلقوا الجبال هل خلقوا الأشجار هل خلقوا الرمال الأنهار البحار؟ الجواب: ما خلقُوا شيئًا مِن هذا، طيب ننتقل إلى أعلى ((**أم لهم شرك في السماوات**)) وهنا ما قال: أم خلقُوا شيئًا من السماوات قال: (أم لهم شرك)؛ لأنَّ السماوات ليست في متناول أيديهم لكن يحتمِل أن يكون لهم فيها مُشَارَكَة، نعم فالذي لهم مُتناولٌ فيه قيل ؟ (ماذا خلقَوا) لجواز أن يقول قائل: لهم شركٌ في الأرض فهذا له مثلا مَسَاحَة يأتي الناس إليه وهي حَرِيم قبرِه مثلًا، فنقول: طيب هل خلقُوا هذا إذا ادعَّيْتم أنَّ هذه الأرض مثلًا له، وأنَّه .. على هذا القبر لزائريه أو ما أشبهَ ذلك فهل خلقوها، لكن في السماوات ما قال: أم

ماذا خلقوا من السماوات قال: (أم لهم شرْك) لا على سـبيل الخلـق ولا على سبيل التمَلُّـك، ((**أم لهم شـركٌ**)) شَـرِكةٌ مـع اللـه" ((**فـي**)) السماوات، وقول المؤلف:" في خلْق السماوات " فيه نظر بل الصـواب أن نقول: في السماوات سواءٌ كان ذلك عن طريق التمَلُّك أو عن طريق الخلق، وش الجواب؟ لا، لا هذا ولا هذا ((**أم آتيناهُم كِتَابًا فهُم على بيِّنَةٍ منْه**)) بأنَّ لهم معي شركة " يعني أو عندَهم إذا قلتـم: لـم يخلقـوا شيئا مِـن الأرض وليـس لهـم شـرِكة فـي السـماوات نقـول: طيـب هـل عنـدهم كتـاب وهـم علـى بيِّنـة حُجَّـة منـه بـأنَّهم شـركاء مـع اللـه؟ وش الجواب؟ لا، فكـلُّ هـذه التقسـيمات كلهـا منتَفِيـة بالنسـبة للأصـنام فلـم يخلقوا شيئا مِن الأرض وليس لهم شـركة فـي السـماوات وليـس معهـم بيِّنة مِن الله كتاب بأنَّهم شركاء مع الله، وإذا انتفت هذه الأمـور الثلاثـة لا خَلق ولا مشاركة ولا وثيقَة تبيَّنَ ايش؟ تبيَّن بطلانُهـا، قـال: ((**بل إن**)) ما "يعني أنَّ (إن) هنا نافية بمعنى (ما) ((**يعِدُ الظالِمُون**)) الكـافرون ((**بعضُهم بعضًا إلا غُرورًا**)) بـاطلًا بقـولِهم: الأصـنامُ تشـفَعُ لهـم " يعني أنَّ ما يعِدُ الظالمون بعضُهم بعضًا فهو غُرور أي تغرِيرٌ وخداع وليس له حقِيقة، والوعدُ الذي يعد الظالمون بعضُهم بعضًا أنهـم يقولـون: هـذه الأصنَام تشفعُ لكم عند الله اعبدوا محمدًا صلى الله عليـه وسـلم اعبـدوا جبرِيـل اعبـدوا الشـجر اعبُـدوا اللات اعبـدوا العـزى فإنَّهـا تشـفَع لكـم ((**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُـرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُـمْ وَيَقُولُـونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**))[يـونس:18] كيـف يعبـدونَهم ثـم يكونـون شفعاء؟ الشافع هل ينال درجة المشـفُوعِ إليـه؟ لا، الشـافع درجتُـه دون درجةِ المشفوع إليه، نعم إذ لو كان مساويًا أو أعلى مـا احتـاجَ أن يشـفع إن كان أعلى أمَر أمرًا وإن كان مسـاويًا غـالبَه، فأيهمـا غلَـب عـاد يكـون السلطة له، على كل حـال نقـول: إن الظـالمين يغـرُّ بعضـهم بعضًـا فـي الباطل حتى يُخدعُوا ويظنُّوا أنَّ الباطـل حـقّ وأنَّ الحـق باطِـل، التغريـر تارةً يكون بالأقوال الكاذبة الملَفَّقَة الـتي ليـس لهـا أصـل، وتـارةً يكـون بالألقابِ السيِّئة التي تشوِّه السمعة، فأما الأقوال الكاذبـة فمثـل قـولهم فيما حكى الله عنهـم: ((**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَـةً قَـالُوا وَجَـدْنَا عَلَيْهَـا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا**))[الأعراف:28] قـولهم: واللـه أمرَنـا بهـا. هـذا كذِبٌ وزُور ولهذا قال الله تعالى مبطلًا لهذه الدعوة: ((**قل إن اللــه لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون**)) هذا مِن جملـة التغرير أن يـدَّعُوا قـولًا كـذبًا وزورا، أو بالألقـاب السـيئة ((**وعجِبُوا أن**

جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب * أجعلَ الآلهة إلهًا واحدًا إنَّ هذا لشيء عجاب)) فأتَوا بالألقاب السيئة: ساحر ايش بعد؟ وكذَّاب، العامَّة إذا قيل لهم ولاسِيَّما إذا كان القائل زعماء إذا قيل: هذا ساحر أو كذَّاب يتبعُونَه ولَّا لا؟ لا يتْبَعُونه، طيب وإذا قيل لهم أي للعامة: إنَّكم إذا عبدتُّم الولي الفلاني أو القبرَ الفلاني فإنَّ ذلك ينفعُكم فإن العامة تنخَدِع لأنَّه ليس عندها علم وليس عندها عقْل ولُبّ فتنخَدِع

هذه الآية يستفادُ منها عدَّة فوائد أولًّا قُوَّةُ القرآن في أسلُوبه في المنَاظَرة وذلك بالترديد والتقسِيم، وجهُه: أنَّ الله تحدَّاهم بثلاثة أمور: هل خلَقُوا شيئًا مِن الأرض، هل شاركوا الله في السماء، هل عندهم كتابٌ مِن الله أنَّ هذه الأصنام تنفَعُهم وإن لم تكن شريكةً لله في السماوات ولم تخلُق شيئًا مِن الأرض؟ الجواب: لا لو خلَقَتْ شيئًا من الأرض لكان لها الحقّ؛ لأنها تخْلُق، لو شاركتِ الله في ملكِه في السماء لكان لها الحَق؛ لأنها شرِيكٌ لله عز وجل في ملكِه، لو أنَّ الله أنزل كتابًا يقول بأنَّ هذه الأصنام لها الحَقّ أن تُعْبَد وتُدْعَى مِن دون الله لكان لهم شُبهَة أو حُجَّة، فلما انتفتِ الأمور الثلاثة تبيَّن أنَّه لا حجة لهم، ثانيًا أنَّه ينبغي في المناظرة أن تُذْكَرَ جميعُ الأقسام التي يمكن أن ترِدَ في الذهن ثم تُبْطَل، احترز مما ايش؟ مِن أي شيء؟ مما لو ذكرْتَ شيئًا واحدا ثم بيَّنت بطلانه فقد يورَدُ عليك شيءٌ آخر لأنّه كما أنَّ القول الحق لا ينحَصِر إثباتُه في دليل واحد فكذلك الباطل لا ينحَصِرُ إيرادُ الشُّبَه فيه في شبهَة واحدة، فإذا أردتَّ أن تفحِم خصمَك لا تأت بشبهَة واحدة ايتِ بجَمِيع ما يمكِن ويحتمِل أن يكون شبهة لتبطلَها حتى يكونَ عندك القُوَّةُ الكاملة التي يمكن أن يُورِد عليك أحدٌ منها خللًا.

ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّه لا أحدَ يخلُق مع الله ((**أرونِي ماذا خلقوا من الأرض**)) فإن قلت: يرِد عليك أنَّ الله أثبت أنَّ هناك خالِقِين في قولِه تعالى: ((**فتبارك الله أحسن الخالقين**))، وفي قولِ الرسول صلى الله عليه وسلم: يقال لهم -أي المصوِّرِين- (**أحيُوا ما خلقْتُم**) فالجواب: أنَّهم لم يخلُقُوا هذا ولكِن حوَّلُوه مِن صورَة إلى صُورَة فهنا ليس منهم إيجَاد بل تحويلٌ مِن صورة إلى صورَة فالمصَّوِّرُ مثلًا الذي أخَذَ الطين وجعل منه صُورَةً على صورةِ إنسان أو صورة طَيْرٍ أو صورة دابَّة ماذا نقول هل خلقَ هذا الشيء؟ لا، لكن حوَّله من كونِه كُتْلَة مِن الطين إلى كونِه صُورَة وليس خلقًا جديدًا، النجارُ مثلا إذا أتَى على الخشب

ونجَرَه على صورة معينة ما نقول: إنه خلقَه؛ لأنه لـم يُوجِـدْه لكـن حـوَّلَه مِن صُورَة إلى أخرى طيب.
ومِن فوائد الآية الكريمـة إبطَـال أُلُوهِيَّـة هـذه الأصـنام ومِـن بـاب أولـى ربوبِيَّتِها وجْه هذا: أنَّ الله تحدَّى أن تكون هذه الأصنامُ صالِحَةً للمشـاركَة في كل وجه مِن الوجوه ايـش؟ الخلْـق والمشـاركة والوثيقـة، كـلُّ هـذه منتفية إذًا فيبْطُل جعلُها إلهًا مع الله.
ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ الظالمين -ويشمَل الكافرين ومَن دونهم- أنَّ الظالمين لا يعدُ بعضهم بعضا إلا غرورًا وخـداعًا فيشـمَل ذلـك الكـافرين الذين يُزَيِّنُون الكفر، ويشمل ذلك أهلَ الخلاعـة الـذين يزيِّنُـون الخلاعـة، ويشمَل أهل اللهو الذين يزينُون اللهو، فكلُّ باطـل يزيِّنُـه أصـحابه نقـول فيه: لا يعدُ الظالمون بعضُهم بعضًا إلا غرورًا.
ومن فوائد الآية الحذر مِن أن يتمنى الإنسانُ على الله الأماني بـل الـذي ينبغي أو يجِب أن يكون الإنسان كَيِّسًا فطنًا حازمًا كمـا يُـروى عـن النـبي صلى الله عليه وسـلم: (**الكيِّس مـن دانَ نفسَـه وعَمِـل لمـا بعـد المـوت، والعـاجز مـن أتبـعَ نفسَـه هواهـا وتمنَّـى علـى اللـه الأماني**)) فالوُعُود التي يُوعَدُ بها الإنسـان مِـن قبـل الظـالمين أو مِـن قبل نفسه إذا كانت مُخالفَـة للشـرع فمـا هـي إلا غـرور وباطـل فليحـذَرِ الإنسانُ منها.
تبارك وتعـالى مُبَيِّنًـا تمـامَ قـدرَتِه ومنَّتِـه علـى عبـادِه قـال: ((**إنَّ الله يمسك السماوات والأرض أن تـزُولا**)) أي يمنَعُهُمـا مِـن الـزوال " قـولُه: ((**إن الله يمسـك السـماوات والأرض**)) الإمسَـاك بمعنَـى القبْض علـى الشـيء والتمكُّـن منـه، وفسَّـره المؤلـف بـالمنْع وهـو لازِمٌ للإمساك، وقولُه: (أن تزولا) (أن) هذه مصدرية حُذِفَ منها حـرف الجـر؛ لأنَّه يَفتَرِض حذفُ حرف الجر معَ (أنَّ) و(أنْ) نعـم إذا أُمِـن اللَّبْـس وهنـا اللَّبْس مَأمُون، وإذا كان الكلام على تقدير (مِن) فحَـوِّل (أن) ومـا كـانت عليها إلى مصْدَر يكُن سـبكُ الكلام: إنَّ اللـه يمسِـكُ السـماوات والأرض مِن الزوال، وقوله: السماوات والأرض تردُ هذه العبارة كثيرًا في القرآن وهـي جمـعُ السـماوات وإفـرادُ الأرض، ولـم تـأت الأرض مجموعَـة فـي القرآن بلفظِها لكـن جـاءت بلفـظٍ يـدُلُّ علـى التعـدُّد وهـو قـوله تعـالى: ((**الله الذي خلـق سـبع سـماوات ومـن الأرض مثلَهـن**)) فـإنَّ المثْلِيَّة هنا تتعيَّن أن تكونَ في العدد لأنَّـه لا يمكـن أن تكُـون الأرض مثـل السماوات في الحَجْم ولا مثلَها في الصـفَة، وإذا امتَنَـعَ أن تكـون مماثلـةً

للسماء في الحَجْم وفي الصِّفَة تعيَّن أن تكون مماثلةً للسماء في ايـش؟ في العدَد، والسُّنَّةُ جاءَت في اللفظِ الصريح في أنَّ الأرضِين سبعُ أرضِين كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (**مَن اقتطَع شـبرًا مِـن الأرض ظلمًا طُوِّقَه يوم القيامة من سبع أرضين**).

((**يمسِكُ السماوات والأرض أن تـزولَا ولئـن زالتَـا**)) قـال: لام قسم اللام لام قسَم، و(إن) شرطية و(زالتـا) الفعـل هنـا فعـلُ الشـرط، و((**إن أمسكهما**)) الجملة جوابُ الشرط، و(إن) هنـا يقـول المؤلـف: ما " أي تكونُ نافية (أمسكهما) قـال المؤلـف يُمْسِـكُهُما إشـارة إلـى أنَّ (أمسكهما) فعل ماضي لكنَّه بمعنى المضارع؛ لأنه وقَـعَ جوابًـا للشـرط، ومعلومٌ أنَّ جـواب الشـرط يكـون للمسـتقبل لا يكُـون للماضـي؛ لأنَّـه لا يكون إلا بعد تحَقُّق الشـرط، وتحقـق الشـرط أمـرٌ مسـتقبل، وقـولُه: ((**مِن أحد مِن بعدِه**)) (مِـن أحَـد) (مِـن) هـذه زائـدةٌ زائـدةٌ، كـذا؟ كلام صحيح ولا فيه تناقض، زائدةٌ زائدةٌ ما فيه تنَاقَض، كيف ذلك يا محمد؟

الطالب: زائدة في الإعراب.

الشيخ: أحسنت، زائدةٌ في الإعراب ولكنَّها تزيـدُ فـي المعنـى، و(زائـدة) اسم فاعل مِن زادَ يزيد، ونحن نعرف أن (زاد) يأتي متعدِّيًا ويـأتي لازمًـا، فإذا قلت: زادَ الشيء يعني ارتفَـع وكثُـر ومـا أشـبه ذلـك ... لازمـة، وإذا قلت: زدتُّه خيرًا نعم صارَ متعديًا لهذا نقول: هي زائدةٌ زائـدة، قـد يقـول بعض الناس إذا رأى مثل هذا الكلام قال: هذا تناقض كيف يكونُ الشـيء زائدًا زائدًا، نقول: (من) زائدة إعرابًا زائدةٌ معنًى؛ لأنها تزِيد في المعنـى وهو تأكيد النفي، وقولُه: (أحـد) فاعـلُ (أمسَـك) مرفـوع بضـمَّة مقَـدَّرة على آخره منَع مِن ظهورها اشتغالُ المحـل بحركـة حـرف الجـرّ الزائـد، المعنى: لئن قُدِّر أن تـزولَ السـماوات والأرض فـإنه لا أحـدَ يسـتطِيعُ أن يمسكَهُما سوى اللهِ عز وجل، وهو كذلك هذا هو الواقـع، بـل لـو زال مـا دون السـماوات والأرض مِـن النجـوم والكـوكب والشـمس والقمـر مـا اسـتطاعَ أحَـدٌ أن يمسِـكَه سـوى اللـه عـز وجـل بـل لا يسـتطِيعُ أحـد أن يصرِف شيئًا مِن هذه الكـواكب أو النجـوم أو الشـمس والقمـر فيصـرِفَه عن جهةِ سيره إلا الله عز وجل، ولا أن يمنعَه مِن سيرِه إلا اللهُ عز وجل، في الإعراب هنا قلنا: إنَّ اللام في (لَئِـن) لامُ قسـم و(إنْ) شـرطية، وأنَّ (أمسكَهما) جوابُ الشَّرْط ولا جَوَابُ القسم؟

الطالب: القسم.

الشيخ: أي جـواب القسَـمِ لِمـاذَا؟ لأنَّ لـدينا قاعـدة: إذا اجتمَـع الشَّـرْط والقَسَم حُذِفَ جَوابُ المتَأَخِّر منهما قال ابن مالك مقرِّرًا هذه القاعدة:

واحذِفْ لدى اجتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَم جوابَ ما أَخَّرْتَ فهو مُلْتَزَم

إذًا المـؤخَّر هنـا الشَّـرط فيكـونُ جـوابه هـو المحـذوف دلَّ عليـه جـوابُ القسم طيب

يقول: ((**إنَّه كان حليمًا غفورًا**)) أي في تأخِير عقاب الكفار " قــوله تعالى: ((**إنه كان حلِيمًا**)) هذه الجملة مناسَبَتُها لما قبلَهـا أنَّهـا تعليـلٌ لما قبلَها فارتباطُهـا بـه ارتبـاط العِلَّـة بـالمعْلُول يعنـي إنَّـه فـي إمسـاكِه للسـماوات والأرض كـان حليمًـا غفـورًا، ولـولا حلمُـه ومغفرتُـه لزالـت السماوات والأرض وهلَـك مَـن فيهمـا، (الحليـم) اسـمٌ مـن أسـماء اللـه ومعناها ذو الحلم، والحلْمُ هو تأخيرُ العقوبة عن مستَحِقِّها تـأخيرُ العقوبـة وليس تركَ العقوبـة؛ لأنَّ تـرك العقوبـة عَفْـو ولكـن تـأخِير العقوبـة عَـن المسِيء يُسَمَّى هذا حِلْمًا، قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الحَلِيمُ فلا يُعاجِلُ عبدَه بعقوبَةٍ ليَتُوبَ مِن عِصْيَان

فبحلْمِه عزَّ وجل تتَأَخَّرُ العقوبات لعَـلَّ النـاس يتُوبُـون إلـى اللـه سـبحانه وتعالى، (غفورًا) هـذا يغفِـر الـذنب ويمحُـو أثـره بالكليـة، وسـبق لنـا أنَّ المغفرَة هي ستْرُ الذنب والتجاوز عنه وذلك لأنَّهـا مـأخوذة مـن المِــغْفَر الذي يُغَطِّي الرأس ويقِيه السهام، وليست كمـا قيـل مجـرَّدَ السـتر؛ لأنَّ مجرَّد الستر لا تحصُل به الوقاية بل لابد مع الستر مِن الوقاية، ويدلُّ لهذا المعنـى قـولُه سـبحانه وتعـالى فـي الحـديث القدسـي لعبـدِه إذا خَلا بـه وقرَّرَه بذنوبه يقول: (**كنت سترْتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرُهــا لك اليوم**) فإنَّ هذا يدل على أن الستْر غير المغفرة وأنَّ المغفرة لابُـدّ فيها مِن عدم المؤاخَذَة وعدَم العُقُوبة

في هذه الآية الكريمة فوائِد الفائدة الأولى: بيانُ قدرةِ الله عز وجل على إمسَاك السماوات والأرض فهذه الأجرامُ العظيمـة أمسَـكَها اللـهُ تعـالى بقدرتِه بـدون مُعَانَـاة وبـدون تَعَـب وإنَّمـا يقـول للشـيء: (كـن) فيكُـون ((**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**))[ق:38] قال الله تعالى: ((**اِئْتِيَا طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**))[فصلت:11].

ومِن فوائدها أيضًـا بيـانُ رحمـة اللـه عـز وجـل بعبـادِه حيـث سـخَّر لهـم السماوات والأرض بل سخَّر لهم ما في السماوات وما في الأرض أيضًـا،

وهـذا مِـن كمـال رحمتـه، فلـولا رحمـةُ اللـه عـز وجـل بعبـاده لـوقعتِ السماوات على الأرض وهلك الناس وما تَركَ عليها من دابة.
ومِـن فوائـد هـذه الآيـة أنَّ السـماوات والأرض مخلوقَتـان مِـن جملـة المخلوقات مُسَخَّرَتان بأمرِ الله ففيه ردٌّ علـى الفلاسِـفَة الـذين يقولـون بقِدَمِ العالم وقدَمِ الأفلاك وأنَّ الفَلكَ التاسع كما يزعُمون هو المدَبِّر لمـا تحته، بل نقول: هذه الأفلاك كلُّها مخلوقةٌ للـه مسـخَّرَةٌ بـأمرِه، لـو شـاء اللهُ عز وجل أن تزولَ لزالت ولم يستطِع أحدٌ أن يُمْسِكَهَا
الطالب: وجه الفائدة؟
الشيخ: وجهُ الفائدة أنها مخلوقَة من مخلوقات الله فليست قديمَة.
الطالب: وين هذي الفائدة؟
الشيخ: في (يُمسِك السماوات) فإن إمساكَها دليل على أنَّها قائمةٌ بأمره ومِن فوائد الآية الكريمة أيضًا أنَّه لا أحد يستطِيع أن يُدَبِّرَ هذه المخلوقات العظيمة الكبيرة لقولِه: ((**ولئن زالتا إن أمسـكَهما مِـن أحـدٍ مـن بعده**)).
ومِن فوائد الآية الكريمة أيضًا توجِيهُ الخلق أنَّهم إذا رأوا في هـذه الآيـات في السماوات والأرض إذا رَأوا ما يُزعِجُهم ويقلقُهم ألا يرجعوا إلـى أحـدٍ إلا إلى الله عز وجل، فالزلازل والبراكين والكُسوف والصَّـوَاعق وغيرُهـا ممـا يخـوِّفُ العـالم لا نرجِـعُ فيـه إلا إلـى اللـه؛ لأنـه هـو الـذي يمسـك السماوات والأرض أن تـزولَا ولا أحـدَ يمسـكُهُما إذا زالتَـا إلا اللـه، ولكـن كيف نلجأُ إلى الله في هذه الأمور؟ هل نلجأُ إليـه بالصـفَة الـتي أرشـدَنا إليها النبي صلى الله عليه وسلم في صـلاة الكسـوف، أو نلجَـأُ إلـى اللـه تعـالى بالصـفَة الـتي أرشـدَنا النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي صـلاة الكسوف في الكسوف فقط وما عدَاه فإنَّنا نلجأُ إلى الله تعـالى بالـدعاء المطلق هذا محلُّ خلاف بين العلماء فمنهم مَن قال: إنه إذا وُجِدَت آيات أُفُقِيَّة تُخِيفُ العبـاد فـإنَّه يُشْـرَع للعبـاد أن يُصَـلُّوا صـلَاة الكُسُـوف حتَّـى يَذهَب ما بِهم

الذين قالوا بالأوَّل أنَّه يُصَلَّى لكل آية تُخَوِّفُ العباد استدَلُّوا بقولِ النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوِّفُ الله بهما عبادَه فإذا رأيتُمُوهَما** " يعني كاسِفَتَيْن " **فصلُّوا وادعُوا**) إلى آخرِه قالوا: وتخويفُ العباد بالصَّواعق والزلازِل أشدُّ وقعًا في نفوسِهم مِن الكسُوف، فإذا شُرِعَتِ الصلاة للكسوف فمشروعيتها لهذا الآيات مِن باب أولى، وهذا اختِيار شيخ الإسْلَام ابن تيمية رحِمه الله، واستدلَّ بفعل ابن عباس رضي الله عنهما حينما صلَّى صلاة الكسوف في زلزَلة، ولكن المذهب يقولون: إنَّه لَا تُصَلَّى صلاة الكسوف إلا للكسوف أو للزلزلَة احتجاجًا بفعلِ ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن الصواب ما اختارَه شيخ الإسلام ابن تيمية فإنَّ هذا الذي ذهب إليه يدلُّ عليه التعليل في الحديث (**آيتان من آيات الله يخوفُ اللهُ بهما عبادَه**) @

ومِن فوائدِ الآية الكريمة إثباتُ العِلَّة والسَّبَب في أفعالِ الله عز وجل لقولِه: ((**إنه كان حليمًا غفورًا**))، وإثبات العلل في أفعال الله أو في أحكامِه تدُلّ على كمالِه لا على نقصِه خلافًا للناقصين الذين زعموا أنَّ إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامِه تدلُّ على النقص ولهذا نَفوا الحكمة عن أفعال الله وأحكامِه يقولون: لأنَّ ذلك يقتضِى النقص وأنَّه فعلَ لغرض أو حكَم لِغرض والفاعلُ لغرض ناقِصٌ بدونِه، وعلى هذا فيكون نفي الحكمة عن أفعال الله وأحكامه مِن تنزيهِ الله تعالى عَن النقص، وفي الحقيقة أنَّ أيَّ إنسان يعتقِد أنَّ إثبات الحكمة في أفعال الله وأحكامه نقص فهو الناقِص حتى إنَّ الإنسان بمجرد ما يتَأَمَّل في المسألة يعرِف أنَّ من فعل لغيرِ حكمة فقد أتى سفهًا وإن فعلَ لحكمة فقد أتى رُشْدًا؛ لأن الرشيد هو الذي يفعل الشيء لِحكمة وحُسْن تصرف، والسفيه بالعكس ولهذا قال الله تعالى: ((**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا**)) وعلى هذا ففي الآية هذه وغيرِها مِن نصوصٍ كثيرة في الكتاب والسنة والعقل الصريح ما يدُلّ على إثباتِ الحكمة لله عز وجل وأنَّ الحكمة مِن أَجَلِّ صفات الله سبحانه وتعالى، وبيانُها في أحكامِ الله وأفعالِه مِن أعظم الأمور وأظهرِها، طيب نقول في الآية إثبات الحكمة لأنَّه عَلَّل إمساكَ السموات والأرض بماذا بكونِ ذلك مقتضى حِلْمِه ومغفرَتِه.

وفي الآية أيضا من الفوائد إثباتُ هذين الاسمين لله وهما (الحليم) و(الغفور) وإثباتُ ما تضمَّنَاه مِن الصفة لأنَّ كل اسم مِن أسماءِ الله فهو متضمِّن لِصفة، ليس في أسماءِ الله اسمٌ جامدٌ أبدًا حتى اسْمُ الجلالة

(الله) ليس بجامِد بل هو مُشْتَقّ مِن الألوهية وكذلك بقيَّـةُ الأسـماء كلُّهـا ليست جامِدَة بل هي مُشتقةٌ مِن معانٍ تدل عليهـا، والمعـاني الـتي تـدُلّ عليها أسماءُ الله قد تكـون متعـدِّدَة فـي اسـم واحـد كمـا مـرَّ عليهـا فـي الدلالة أنها تكون دلالةَ مطابقة ودلالة تضَمُّن ودلالة الْتِزَام طيب @

ثم قال الله سبحانه وتعالى: ((**وأقسموا بالله جهـد أيمـانهم لئـن جاءَهم نذيرٌ ليكونُنَّ أهـدى مِـن إحـدى الأمـم**)) (أقسـموا) قـال المؤلف: أي كفارُ مكة " وهذا يحتمِل ما قالَه رحمه الله مِـن أنَّ الضـمير يعود على كفار مكة ويحتمل على أنه أعمّ وأنَّ مِـن النـاس مَـن أقسَـمُوا وهم من غيرِ كفارِ مكة، وقـوله: (أقسـموا بـالله) أي حلفـوا بـه، وقـوله: (جهدَ أيمانِهم) أي غايةَ الأيمان يعني الأيمان التي بذلوا فيها الجُهْـد وهـي أيمانٌ مغَلَّظَة في صيغَتِها كَمِّيَّـة وكَيْفِيَّـة فالأيمـان المغلظـة فـي صـيغَتِها كمية وكيفيـة هـي الأيمـان الـتي بلغَـت الجُهْـد أي غايَـة الطاقَـة بالنسـبة للمُقْسِم، والأيمان كما قال العلماء تُغَلَّظ في الكميـة والكيفيـة والزَّمـان والمكان والهيْئَة خمسة أشياء: الكمِّيَّة مثل أن أقول: والله الذي لا إله إلا هو العظِيم العَزيز الغالب وما أشـبهَ ذلـك مِـن الأسـماء الـتي تـدُلُّ علـى الانتقَام فيما لو كان الإنسانُ كاذبًـا، هـذا تغليـظ بمـاذا بالكميـة، التغليـظ بالكيفية بأن يأتي بها يعني بانفعَال شديد يدُلُّ علـى تـأثُّرِه بالقسَـم، وأمَّـا في الزمان فأن تكُون بعـد صـلاة العصـر كمـا قـال اللـه تبـارك وتعـالى: ((**تحبسونهما مِن بعد الصلاة فيقسمان بالله**)) فمِن بعـد صـلاةِ العصر، وفي المكـان بحيـث يكـون الإِقْسَـام فـي مكَـانٍ فاضـل وأفضَـل الأماكن في البلدان المساجد، قالوا: وتكون عند المحراب أو المنـبر فـي الجوامع وعند الكعبة بعضـهم قـال: تحْـت الميـزاب، وفـي الروضـة فـي المدينة هذا في المكان، في الهيئة بأن يكون قائمًا لأنَّه يُحَلَّـف وهـو قـائم قال العلماء: لأن العقوبة أقرَب إلى القائم مِنها إلى القاعِد فهذه خمسَـة أشياء في تغلِيظ اليمين، لكن هل هؤلاء الكفَّار أقسَمُوا جَهْدَ أيمانِهم بهذه ال... الخمسة؟ الله أعلم على كل حال هم بذلوا أقصـى مـا يسـتطيعون مِن اليمين.

((**لَئن جاءهم نذيرٌ ليكونُنّ أهدَى مِن إحدَى الأمم**)) هذه الجملة نقول في إعرابها كما قلنا في الجملة الأولـى (ولئـن زالتـا إن أمسـكهما) فلقد اجتمع فيها شرطٌ وقسم وحُذِفَ جواب الشـرط ولهـذا جـاءَت اللامُ في الجواب (ليكونن)، ولو كان المحذوف جوابُ القسم لم تأتِ اللام في الجواب لأنَّ جوابَ الشرط لا يحتَاجُ إلى اللام وإنمـا يُرْبَـط بالفاعـل فـي

محلِّه وبِحذفِها ولا يحتَـاج إلـى رابـط إذا لـم يكـن مِـن المواضـع السـبَعة المعروفة، طيب يقول الله عز وجـل: ((**لئن جـاءهم نـذِير**)) بمعنـى مُنْـذِر وهـو الرسـول ((**ليكونن أهـدى مِـن إحـدى الأمـم**)) قـوله: (ليكونن) بضم النون وهو مُشْكِل كيف ضُمَّت النون والمعروف أنَّ الفعل المضـارع مـع نـون التوكيـد يُبْنَـى علـى الفتـح كمـا فـي قـوله تعـالى: ((**لينبذن في الحطمة**)) وهنا قـال: (ليكـونن) والجـوابُ علـى ذلـك أنَّ نونَ التوكيد لا يُبْنَى معها الفعل إلا إذا كـانت مباشـرةً لـه لفظًـا وتقـديرًا، والنونُ هنا مباشِرَة للفعل لفظًا لكنها غير مباشرةٍ له تقديرًا كيـف ذلـك؟ لأنَّ الفعل هنا للجماعة وليس للمُفرد وأصله (يَكُونُـونَنَّ) فحُـذِفت النـون لتوالِي الأمثَال لأنَّهم يقولون: إنَّ العرب يكرهُون أن تجْتَمِـع ثلاث كلمـات مِن نَوعٍ واحد بعضُها إلى بعْض فيحذِفُون أَوْلَاها بالحذْف وأولاهـا بالحـذف على حسب قياسهم نونُ الرفع؛ لأنَّ حذفَها مُعتَاد ولأنَّ نونَ التوكِيد جاءَت لمعنًى لو حُذِفَت لاختَلَّ ذلك المعنى، إذا جاءت للتوكيـد فلا نحـذفُها لكـن نحذف نون الرفع لأنَّ حذفَها معتَاد، طيب حذفْنَا نـون الرفـع وهـي النـون الأولى مِن الثلاثة لو قلنا: ليكونُـونَّ حـذفْنا نـون الرفـع بقِيَـت الـواو تَلِـي النون، والنون حرفٌ مُشَـدَّد فـي هـذا الـتركيب، والحـرف المشـدد أولُـه ساكنٌ ...؟ أوله ساكِن فحذَفْنا الـواو لالتقَـاء السـاكنَيْن فصـارَت لَيَكُـونُنّ أهدَى مِن احدى الأمم حذَفْنا الواو التي بَيـن نُـونِ الفعـل؛ لأنَّ النـون فـي (ليكُونُنَّ) النون اللي معنا الآن نون الفعل ولهذا ما حذَفْنَاها لأنَّهـا أَصِـيلَة، حذفْنا الواو لالْتِقَاء الساكنين فلو قالَ قائل: طيب عندَنا الآن ثلاث نُونَـات ولَمَّا تحذِفُوا واحدَة منها نقول: أولًا أنَّ هذه النونات ليسَت مُتَّصِلَة تقديرًا يعني ليس بعضُها متصلًا بالبعض الآخر مِن حيث التقدير لأنَّه .. قـد فصَـلَ بينهما ايش؟ الواو الذي حذفْناها لالتقَاء الساكنين، ثانيًا أنَّ النون التي بعد الواو في (ليكونن) النون الموجودة الآن نون الفعل فهي مِن بنيةِ الكلمـة ولا يمْكِن أن تُحْذَف، على كل حال يجِب أن نعرف الفـرق بيـن (لَيَكُـونَنَّ) وبيـن (لَيَكُـونُنَّ)، فـي القـرآن لَيَكُـونَنَّ ((**ليسـجَنَنَّ ولَيَكُونًـا مِـن الصاغِرين**)) ففَرْق بين لـ(يكونَنَّ) وبين (ليكونُنَّ) لَيكـونَنَّ هـذا للواحـد ولهذا بُنِي الفعلُ معَهـا علـى الفتـح لاتصـاله بنـو التوكيـد لفظًـا وتقـديرًا، وليكونُنَّ للجماعة ولهذا لم يُبْنَ الفعل معها لأنَّ نـون التوكيـد لـم تباشِـره تقديرًا واضح؟ ولَّا في إِشْكَال بعد؟ .. بعَـد كـل الكلام هـذا الطويـل مـا .. فاهمين؟

الطالب: واضح.

الشيخ: إذًا نونُ التوكيد لا يُبْنَى معها الفعل إلا إذا كانَت مباشِرَةً لـه لفظًـا وتقديرًا في هذه الجملة (ليكونُنَّ) لم تباشِره تقديرًا ولا لفظا؟
الطالب: تقديرا.
الشيخ: تقديرًا، أمَّا لفظا فقد باشَرَتْه، وإنما قلنا لـم تباشِـرْه تقـديرًا لأنَّـه حُذِف منها واوُ الجماعة فلم تباشِرْه تقديرًا.
وقوله: ((**أهدى مِن إحدى الأمـم**)) أهـدَى هـذه خبَـر (يكُـون) فهِـي مَنصُوبة بالفتحَة المقدَّرَة على الألف منَعَ مِن ظهورِهـا التعـذر وهـو اسـمُ تفضيل، وقوله: (مِـن إحـدَى الأُمَـم) قـال المؤلِّـف: " اليَهـود والنصـارى وغيرِهم أي: أيُّ واحِدَةٍ منْها لما رَأَوْا مِـن تكـذيب بعضِـهم بعضًـا إذ قـالت اليَهْود: ليست النصارى على شيء وقالت النصارى: ليست اليهـود علـى شيء " يقول: ليكونُنَّ أهدَى مِن إحدَى الأمم فأَتَوا ب(إحدى) الدالة على الإبهام لم يقولوا أهدى مِن النصارى ولا أهدى من اليهود قال: من إحـدى الأمم لِماذا؟ لأنَّ الأمـر الْتَبَـس عليهـم حيـث إنَّ اليهـود يقولـون: ليسـت النصارى علـى شـيء، والنصـارى يقولـون: ليسـت اليهـود علـى شـيء، وهؤلاء المشركون -كفار مكة- أمَّةٌ جاهلية لا يدرُون مَن الحـق معـه فلـم يقولوا: أهدى من النصارى ولا أهـدى مِـن اليهـود، بـل قـالوا: أهـدى مـن إحداهما أهدى من أي واحدة لأنَّ الأمر عندهم التبَس، ولكن يبقى النظَـر ما هو الدليل على تخصـيص كلمـة الأمَـم بـالأمَّتَين اليهوديـة والنصـرانية، ولماذا لا يقال: إنها أعم من اليهود والنصـارى لأن هنـاك مجـوس يـدينُون بعبادة النيران، ويمكن أن يوجَد أناس آخرون يدِينُون بديانَاتٍ أخـرى لهـذا نقول: الجواب إمَّا أن نلْتَزِم بالعموم ونقـول: إنهـم يقولـون: أهـدى مـن إحدى الأمـم أي مـن أي أمـة كـانت كـاليهود أو النصـارى أو المجـوس أو الوثَنِيِّين الذين يعتقدون أنهم على دين أو ما أشبه ذلـك فكـأنهم يقولـون: أهدى من كل الأمم لكن لم يعيِّنوا لأنهم لم يدروا من هو الذي على حـق، وإمَّا أن يقال خُصّ هذا الجمْع بأمَّتَين فقط لأنَّ المعروف أنَّهـم علـى ديـن هم من؟ اليهود والنصارى ... هذا هو الصحِيح لكن آخر كلامـه يـدُل علـى أنَّه أراد اليهـود والنصـارى فقـط .. اشـتبه عليهـم الحـق فقـالت اليهـود: ليست النصارى على شيء وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء.
أعوذ بالله مِن الشيطان الرجيـم قـال اللـهُ تعـالى: ((**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِـكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ @ جاءَهم نذِير**)) هذا مبتدا درس اليوم قال الله تعالى: ((**فلما جاءَهم نذيرٌ ما زادَهم إلا نفورًا**)) هنا قال الله عز وجل: (فلما جاءهم نـذير)

ولم يقل فلما جاءهم الرسـول ليطـابِق مـا قـالوه حـتى يكـونَ أبلَـغ فـي إلزامِهم بما قالوا لأنهم قالُوا: (لِئن جاءهم نذير ليكونن) فلما جاءهم نذير على حسَب ما فرَضُوه وما قدَّرُوه جاء الأمر كذلك فلما جاءَهم نـذير كمـا يقولون هُم والمرادُ به محمدٌ صلى اللـه عليـه وسـلم بلا شَـك لكـن كمـا أشرْت نُكِّرَ ولم يُعَرَّف متابعةً لايـش؟ لكلامهـم حيـث قـالوا: جاءنـا نـذير يعني فلما جاءَهم نذير كما طلبُوا تماما وباللفظ ما زادَهم إلا نفورا (لَمَّــا) هنا شرطية وفعل الشرط (جاءهم) وجـوابه (مـا زادهـم إلا نفـورا) ولَمَّـا تأتي في اللغة العربية على أوجه أحدها كما هنا شرطية، والثاني أن تأتي جازمة كَـ(لم) إلَّا أن بينهما فروقًا ليس هذا موضِع ذكرها لأنَّنـا لـن نتكلـم على النحو كقوله تعالى: ((**بل لَمَّا يـذوقوا عـذاب**)) أي لَـم يـذوقُوا عذابي ولكنهم حَرِيُّون بأن يذُوقوه، والثالث أن تكون بمعنـى (إلَّا) كقـوله تعالى: ((**إن كُلُّ نفـس لمـا عليهـا حـافِظ**)) أي إلا عليهـا حـافِظ، والرابع أن تكون بمعنى (حين) مجرَّدَة عن الشرط مثل أن تقول: زرتـك لَمَّا طلع الصبح أي حِيـنَ طلـع الصـبح، فهـذه أربعـة معـاني لـ(لمـا) هنـا شرطية (فلَمَّا جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا) (ما زادهم) قال المؤلــف: مجيئُه " يعني أنَّهم جاءهم نذير كمـا طلبُـوا ولكنهـم مـا كـانوا أهـدى مِـن إحدى الأمم بل لم يزِدْهم إلا نفـورًا عـن الحـق وبُعْـدًا عـن اتِّبَـاعِه، قـال: تباعُدًا عن الهدى " والعياذ بالله وهذا أمرٌ مشاهد فـإن قريشًـا لمـا بُعِـثَ فيهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم نفَـرُوا منـه وآذَوْه بـالقول وبالفعـل ووَصَمُوه بكلِّ عيـب وكـانوا قبـل أن يُبعـث يجِلُّـونَه يحـترمونه ويسَـمُّونَه الأمين فلَمَّا بعث لم يكن أمينًا وكأنَّه رجلٌ غيرُ الرجل الذي كانوا يعرفونه، كل هذا يُكَذِّبُ قولَهم: (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى مـن إحـدى الأمـم) @

قال: ((**استكبارًا في الأرض**)) عن الإيمـان، مفعـولٌ لـه " يعنـي أن كلمة (استكبارا) مفعولٌ له أي منصُوبة على أنها مفعول له أي: ما زادهم إلا نفـورًا لأجـلِ الاسـتكبار فـي الأرض، وهـذا أحـدُ الاحتمـالين فـي الآيـة الكريمة والاحتمال الثاني أنَّ (استكبارا) بـدل مِـن كلمـة (نفـورًا) أي مـا زادهم إلا نفورًا هذا النفور هو الاستكبار فـي الأرض، وهـو احتمـال قـويٌّ جدا أن تكون (استكبارًا) بـدَلًا أو عطـفَ بَيَـان مِـن كلمـة (نفـورا) إذًا مـا زادهم هذا المجيء إلا البعد عن الحق والاستكبار في الأرض.

قـال: ((**ومَكـرَ السَّـيِّئ**)) معطـوف علـى (اسـتكبارا) و(مكـر) قـال المؤلف: العملُ ((**السيئ**)) مـن الشـرك وغيـرِه " فقـدَّر العمـل قبـل

(السيئ)؛ ليكون السُّوء موصوفًا به العمَل، والعملُ السيئ يكونُ مكرًا هذا ما ذهبَ إليه المؤلف رحمه الله فجعل (مكر) مضافًا إلى شيء محذوف وهو (العمل) وجعل السيئ صفةً لذلك الشيء المحذوف أي: مكرَ العمل السَّيِّئ أي أنهم ما زادَهم إلا نفورًا واستكبارًا في الأرض، وأن يمكُرُوا مكرَ العمَل السيئ، والمكر هو الخدِيعة وهو التَّوَصُّل بالأسباب الخَفِيَّة إلى الإيقاعِ بالخصم، هذا المكر أن تتَوَصَّل بالأسباب الخَفِيَّة إلى الإيقاعِ بخصمك وعدُوِّك، فأمَّا التوصُّل بالأسباب الظاهرة فليس بمكْر، فإن قلت: هذا المعنى لا ينطبق على عملِ هؤلاء لأن هؤلاء يُظْهِرُون عملَهم السيئ فالجواب: أنَّ هؤلاء تارَةً يظهرونَه وتارة يخفُونَه كما في اجتماعِهم في دار النَّدْوَة ماذا يصنعون بالرسول صلى الله عليه وسلم ((**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**))[الأنفال:30] وإنَّما ذَكَر المكْر دُون الشَّيْء المعلن الظاهر؛ لأنه أعظم قُبْحًا من الشيء المعلَن الظاهر فصارَ هؤلاء جمعُوا إلى الكذب المكر والخِداَع والعياذُ بالله، قال الله تعالى: ((**ولا يحيق**)) يُحِيط ((**المكر السيئ إلا بأهله**)) " وهو الماكِر " إلى آخره يعني أنَّ هؤلاء مكَرُوا السوء وعمِلوا السوء بصفَة علنيَّة وبصفة خفية وهل الماكِر بغيره ينجو؟ الجواب إذا كان مكرًا سيِّئًا فإنه لا ينجو بل سيحِيق به مكرُه ويُهْلِكُه ويدمِّرُه كما قال تعالى: ((**وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزئون**))، أمَّا إذا كان المكْرُ بحَق فإنه لا يحيقُ بأهله بل يحيقُ بعدوه ولا يحيق به، ذلك لأنَّ المَكْر بِحَق ممدُوح وليس بمذْمُوم، وقال: ((**ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله**)) وهُنا لم يقُل: إلَّا بالماكِر بل قال: إلَّا بأهْلِه إشارَة إلى بَيَان الاستحقاق لهذه الجريمة التي وقعَتْ منه وأنَّه أهلًا لأن يحيقَ به مكرُه فكُلُّ ماكر بغير حق فإنَّه أهلٌ لأن يحيقَ به مكرُه، قال: " ووصفُ المكر بالسَّيِّئِ أصْل وإضافتُه إليه قبلُ استعمالٍ آخر قُدِّرَ فيه مُضَاف حَذَرًا مِن الإضافَةِ إلى الصِّفَة " هذا كَلَام قليلُ الفائدة مُعَقَّدُ المعنى في الواقع

الطالب: .. قيل.

الشيخ: لا، (قبْل) قبل، طيِّب قال: ووصفُ المَكْر بالسَّيِّئِ أصلٌ " فين المكر ((**ولا يحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ**)) يقول المؤلف: أصْلٌ " يعني جارٍ على الأصل؛ لأنَّ الأصلَ أنَّ الوصف ينفصِل عن الموصوف ولا يُضَاف إليه الموصوف هذا الأصل، انتبهوا! متى تقول: مررت بزيدٍ الفاضل فتجعل الصفة منفصِلة عن الموصوف تابعةً له وليس مضافًا إليها، فقول

المؤلف: أصل " يعني أنه على الأصل، وَصْفُ المكر بالسيئ أصْلٌ " وش معنى أصل؟ أي جارٍ على الأصل لأنَّ الأصل أنَّ الصفة تتْبَعُ الموصوف لا أنَّ الموصوف يُضَافُ إليها أفهمتم الآن زين؟ هذا يحتاج إلى إنه يُعَلَّق عليه لأنه ستنسَون وبعدين يشكِل عليكم كلام المؤلِّف، جاء مع الأصل طيب وإضافَتُه إليه قَبْلُ استعْمَالٌ آخَر " لأنه في الجملة التي قبلَ هذه قال: ومكرَ السيئ فهنا لم يُوصَف المكرُ بالسيئ ولكن أضيفَ المكرُ إلى السيئ فقول المؤلف رحمه الله: إضافته إليه قبلُ " وش معنى (قبلُ) يعني قبل هذه الجملة ويعني بذلك قولَه: (ومكر السيئ) استعمالٌ آخر ... على الأصل ولَّا على خلاف الأصل؟ على خلاف الأصل؛ لأنَّ الأصل أنَّ الصفة تقعُ تبعًا للموصُوف لا أنَّ الموصوف يُضَاف إلى الصفة لكن يجوز أن يُضَاف الموصوف إلى الصفة، ولهذا دائمًا يمر بكم قول العلماء: هذا مِن باب إضافة الموصوف إلى صفتِه مثلُ قولهم: هذا مسجدُ الجامع أصلُه: هذا المسجد الجامع، لكن أُضيف إلى صفتِه وهو كثير كما أنَّ أيضًا الصفة تضَاف إلى الموصُوف أحيانًا مثل طاهِر القلْب هذه صفة مضافة إلى موصُوفِها طاهر القلب كما قال ابن مالك في الألفية:

كطاهرِ القلب جميل الظاهر

هذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف إذًا نأخذ مِن هنا أنه يجوز إضافة الصفة إلى الموصوف وإضافة الموصوف إلى صفتِه وما هو الأصل من ذلك؟ الأصل مِن ذلك أن تقع الصفةُ تبعًا للموصوف على أنها نعتٌ له وتُعرب بإعرابِه، في الآية الكريمة إضافةُ الموصوف إلى الصفة ووصفُ الموصوف بالصفة أو لَا؟ في الآية الكريمة إضافة الموصوف إلى الصفة ووصف الموصوف بالصفة، صح في الآية مو بكلمة واحدة منها، طيب في أولِّها وآخرها، ءأين إضافةُ الموصوف إلى الصفة؟

الطالب: ...

الشيخ: ما هي بالثانية يا ولد!

الطالب: الأولى (مكر السيئ).

الشيخ: الأولى: ((**ومكرَ السيئ**)) هذا مِن باب إضافة الموصوف إلى الصفة، لو كان في غيرِ القرآن وأردْنا أن نحوِّله إلى أن تَبَع إلى أن تكون الصفة تبعًا للموصوف لقلنَا: استكبارًا في الأرض والمكرَ السيئ كذا ولَّا لا؟ لكن هنا صارَ من بابِ الإضافَة ومكر السيئ، وفيها أيضًا وصف الموصوف بالصِّفَة قولُه: ((**ولا يحيقُ المكر السيئ**)) أيُّهما الأصل؟ هنا بيَّن المؤلف قال: ووصف المكرِ بالسيئ أصْل لو قال بدل (أصل) لو

قال: جارٍ على الأصل لكان أوضَح وهذا هـو مـراده، قـال: وإضـافته إليـه قبل " إضافة الموصوف إلى الصفة ... مِن الآية؟ قوله (ومكـر السـيئ)، يقول: " استعمالٌ آخر " يعني جارٍ على استعمالٍ آخَر في اللغـة العربيـة لأنَّ اللغة العربية أحيانًا تُضيف الموصـوف إلـى صـفتِه واضـحة..؟ طيـب قال: " قُـدِّر فيـه مُضـاف " حسَـب شـرحه هـو وتفسـيرِه حيـث قـال: " (ومكر) العمل (السيئ) " يقول: " حذرًا مِن الإضافة إلى الصفة " وهـذا الذي قاله الأخير يُنازعُ فيه وذلك لأنَّه لا داعيَ إلى ذلـك، لا حاجـةَ إلـى أن نُقَدِّر محذوفًا لأجْل أن نمنَـع إضـافَة الموصـوف إلـى الصـفة؛ لأنَّ إضـافة الموصوف إلى الصفة في اللغة العربية كثيرٌ شائع ليس هذا أمرًا محذورًا في اللغة العربية حتى نقول: نحتاج إلى تقدير مـا يصـححه ولهـذا نقـول: (مكرَ السيئ) جارٍ على أصله بمعنى أنَّه لا حاجةَ إلى أن يُقَدَّرَ فيـه شـيء محذوف @

ثم قال تعالى: ((**فهل ينظُرُون**)) ينتظِرُون " هذا تفسير لـ(ينظرون) بمعنى ينتظِرُون، وهناك ضابط وليس قاعدة أنَّ (ينظُر) إن تعدَّت بـ(إلى) فهي بمعنى النظَر بالعين ((**أفلا ينظرون إلى الإبـل كيـف خُلِقَـت**))، وإن تعدَّت ب(في) فهي بمعنَى النَّظَر الفكري كمـا فـي قـوله: ((**أو لَم ينظُروا في ملكوتِ السماوات والأرض**))، وإن تعـدَّت بنفسِـها فهي بمعنى الانتِظَار مثل هنا ((**فهل ينظُرُون إلا سُـنَّتَ الأوليـن**)) معناها: هل ينتظرون من الانتظار وهـو الـترقُّب، ((**فهل ينظـرُون**)) أي ينتظـرُون يعنـي يَتَرَّقَبُـون ((**إلا سـنةَ الأوليـن**)) (سـنة) بمعنـى الطريقة والإضافَة هنا إلى (الأولين) مِن باب الاختصاص يعنـي إلَّا السـنة التي جرَت للأولين، وليس المراد السنة التي فعلها الأولـون؛ لأنَّ الأوليـن مفعولٌ بهم وليسوا فاعلِين، وإنما الفاعل من؟ اللـه عـز وجـل، (إلا سـنة الأولين) قال المؤلف: " سنةَ الله فيهم مِن تعـذيبِهم بتكـذيبِهم رسـلَهم " يعني ما ينتظر هؤلاء الذين كذَّبوا الرسول صلى الله عليه وسـلم إلَّا سـنة الأولين وهي –أي سنة الأولين- التعذيب تعذيبُهم لتكـذيبِ الرسـل، قـال: ((**فلن تجدَ لسنةِ الله تبديلًا ولن تجدَ لسـنةِ اللـه تحـويلًا**)) لـن تجدَ لسنة الله تبديلًا برفعِها أو تحويلًا بتغييرِها إلى قومٍ آخريـن، يعنـي أنَّ سنة الله ستقَع في أعيانِ الذين يستحِقُّونها فلن تُبَدَّل فترفَع ولـن تُحَـوَّلَ إلى قوم آخرين فيسْـلَم مِّنهـا مَـن اسـتحقوها بـل هـي واقعـةٌ علـى مـن يستحقُّها عينًا، مثالُ ذلك المشركون كذَّبوا الرسول عليه الصلاة والسلام مِن قريش، التحويل معناه أن تُحَوَّل عقوبتهم إلـى بنـي تمِيـم مثلا يُمكـن

هذا أو لا؟ لا يمكن؛ لأنَّ هذا ظلم أن يُؤاخَذَ قومٌ بجرِيرةِ آخرين هذا معنى قوله: (ولن تجد لسنة الله تحويلا)، طيب كذَّبَتْ قريش الرسول عليه الصلاة والسلام فبدلًا من أن يعاقبَهم الله نعَّمَهم يمكن هذا ولَّا لا؟ هذا معنى قولِه: (فلن تجد لسنة الله تبديلًا) فالعذاب لن يُبَدَّل بنعِيم ولن يُحَوَّل عن مستحِقِّه إلى قومٍ آخرين، وسُنَّةُ الله عز وجل لابُدَّ أن تقَع فيمن يستَحِقُّها بدون تبديلٍ لَها بنعمة وبدون تحويلٍ لها إلى غيرِهم لماذا؟ لأنَّ الله عز وجل كامِلُ الحكْمة كامِلُ العدْل: كامِلُ الحكْمَة فلن يبدِّل النقْمَةَ بنعْمة على من استحَقَّها، ثانيًا: كامل العدْل لا يمكِن أن يُحَوِّل الانتقام إلى قومٍ آخَرِين لا يستحقونَه، فهذه الصفة -(لن تجِد لسنة الله تبديلًا) إلى آخره- هي مِن باب الصِّفَات السلبية لكنَّها تتضَمَّن كمالَ عدلِ الله وكمال حكمتِه ويمكن أن نقول: وتمامَ سلطانِه أيضًا بحيث لا يكرهُه أحدٌ على أن يُحَولَ النقمَة إلى آخرين أو أن يُبَدِّلَها بنعمة، طيب قال المؤلف: " أي لا يبدِّلُ بالعذاب غيرَه ولا يُحَوَّلُ –أي العذاب- إلى غيرِ مُسْتَحِقِّه @

نأخذ فوائد الآيات بعدَ قوله: ((**وأقسموا بالله جهدَ أيمانهم**)) إلى آخرِه يُستَفَاد مِن الآيتَيْن الكريمتَين عِدَّة فوائِد فَمِن ذلك أنَّ الإنسان إذا كانَ في عافِيَة أو إذَا كانَ قبْلَ أن يَنْزِلَ به الأمر قَد يجِدُ بِه القوَّة على تنفيذِه فإذا نزلَ به الأمرُ تغيَّرَت حالُه، وجهُ الدلالة أنَّ هؤلاء أقسموا بالله لئن جاءهم نذِير لَيكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم النذير، نعم تغيَّرت حالهم وهذا يقعُ كثيرًا للبشر ما دام الإنسان لم يَنْزِل به الأمْر يظُنُّ أنَّه قادرٌ عليه فإذا نزل به الأمر عجِزَ عنه، ولهذا ينبغي للإنسان ألا يتعَجَّل فيحكُم على نفسه بالحال التي كان فيها سالمًا من نزولِ الأمر به بل ينتظِر حتى ينزلَ به الأمر، كثير مِن الناس مثلًا يقول أنا استطيعُ الصبر على الحجّ مثلًا وسأَحُجّ، لكن عندما يحينُ الأمْر يجِدُ مِن نفسِه العكس، يقول: أنا أستطيع أن أقوم ثلث الليل الآخر كلَّه ولكن إذا جَدَّ الجِدّ وجدَ نفسَه عاجزًا، فالمهم أنَّه ينبغي للإنسان ألَّا يكون متسرعًا فيقيس حاله في حالِ الرخاء على حالِه في حال نُزُولِ الأمر به لأنَّ الإنسان بشر تختلف حالُه بين سلامتِه مِن الأمر وبين وقُوع الأمر فيه والله أعلم.

((**وأقسموا بالله جهدَ أيمانهم**)) إلى آخرِه فيها الفائِدَتان اللتان سمعْتُمُوها أنَّ الإنسان إذا كانَ في عافِية من الأَمر فإنه لا ينبَغِي له أن

يتعَجَّل وأن يقيسَ نفسه في نُزُولِ البلاء على حَال العافيـة والإنسَـان قـد يختَلِف.
وهو فيه أيضًا دليلٌ على عُتُوِّ هؤلاء المكذِّبِين لرسولِ الله صلى الله عليـه وسلم حيـث كـانوا قبـل أن يُبْعَـثَ إليهـم يُقْسِـمُون أغلـظَ الأيمـان بـأنهم سيكونون أهـدى مـن غيرهـم ولكـن لَمَّـا جـاءهم الرسـول عليـه الصـلاة والسلام ما زادَهم مجيئُه إلا نفورًا.
وفيه الإشارة إلى أنَّه لا ينبغي للإنسان النَّذْر أي أن ينذُر الطاعة لأنَّه قد لا يُوَفَّق لِلقيام بها، هؤلاء أقسـموا ولَمَّـا وُجِـد مـوجِبُ الطاعـة لـم يقُومـوا بطاعةِ الله، وهذا نظيرُ قوله تعالى: ((**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُـلْ لا تُقْسِـمُوا طَاعَـةٌ مَعْرُوفَـةٌ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُـونَ**))[النـور:53] فهـم أقسـموا بـالله أن لـو أمرَهـم الرسول عليه الصلاة والسلام لخرجُوا فنهاهم الله بل أمرَ نبيَّهم أن يقول لهم: لا تقسموا، ونظير ذلك ((**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَـا مِـنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فلَمَّا آتاهم مِـن فضـلِه بَخِلُوا به**))[التوبة:75] ولهـذا جـاء النهـيُ مِـن النـبيِّ صـلى اللـه عليـه وسلم عن النَّذْر وبيانُ أنه لا يأتِي بخَيْر @
ومِن فوائد الآيـة الكريم ة أنَّ هـؤلاء رَدُّوا الحـق اسـتكبارًا فـي الأرض أي يُرِيدُون الاستكبار، وهذا على وجْهِ إعرابها بأنَّها مفعولٌ لأجله أي أنَّهـم مـا رَدُّوا الحقّ إلا مِن أجْل أن يكون لهم الكبرياء والعُلُوُّ في الأرض.
ومِن فوائد الآية الكريمة تسْمِيَةُ أعمالِ الكافرين مكرًا لقـوله: ((**ومكـر السيئ**))، وقـد ذكرنـا فـي التفسـير أنَّ أعمـال الكـافرين تنقَسِـم إلـى قسمين: قِسْم يُجَاهِرُون بـه بكفرِهـم ولا يـأتُون بـه علـى سـبيل المكـر، وقسمٍ آخر يأتُون به على سبيلِ المكْر وأيُّهما أشَدّ؟ والثاني أشَدّ ولهذا ما مَكَرَ قَومٌ بأنبيائِهم إلا مَكرَ الله بهم وآخِرُهم محمدٌ صلى الله عليه وسـلم حيث اجتمعَ القوم بدار الندوة يتشاوَرُون ماذا يفعْلُون به فمكرَ اللـه بهـم سبحانه وتعالى.
ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ مَن أراد السوء حاقَ به السوء لقـولِه: ((**ولا يحيقُ المكر السيئ إلا بأهله**))، ومن القواعـد العامـة يقولـون: مَـن حفرَ لأخيهِ حُفْرَة وقَعَ فيها، فالإنسان إذا أرادَ المكر -والعيـاذ بـالله- فـإنَّ مكرَه يحيقُ به.
ومِن فوائد الآية الكريمة الإشارة إلى أنَّ المكرَ يكونُ سيِّئًا ويكـونُ حسـنًا لقوله: ((**ولا يحيقُ المكرُ السيئ إلا بأهله**)) وقولِه قَبْلُ: ((**ومكـر**

السيئ)) وهو كذلك فإنَّ مكرَ الله تعالى بأعدائِه الذين يمكُرُون به مكرٌ حسَن يُثْنَى عليه به، ومكرُ أولئك @

فالفاعلُ للسَّبَب مُنتَظِرٌ لِلمُسَبَّب شاءَ أم أَبَى، انتبه! فالإنسان العاصي نقول له: أنت منتظِر للعقوبة الآن متَرَقِّبٌ لها حتى وإن كان لا يطرأ على بالِه أنه سيُعاقَب؛ لأنَّ فاعِل السَّبَب منتظرٌ للمُسَبَّب ولابُد.

ومِن فوائـدِ الآيـة الكريمـة ثُبُـوتُ القيـاس أو إن شـئت فقـل: اسـتعمالُ القياس لقولِه: ((**فهل يَنْظُرُون إلا سـنة الأوليـن**)) فيقِيـس حـال هؤلاء بحال الأولين الذين كذَّبوا فعُوقِبُوا.

ومن فوائد الآية الكريمة أنَّ سنَّةَ الله عز وجل في عبادِه واحدة فكلُّ مَن أطاع الله أثابَه وكلُّ مَن عصى الله عـاقبَه لقـولِه: ((**فلن تجـدَ لِسـنةِ اللهِ تبديلًا ولن تجدَ لسنةِ الله تحويلًا**)) لا يقال مثلًا: إننا أمةٌ شرَّفَنا الله عز وجل وعظمنا وكرمَنا فلا يؤاخذُنا كما آخذَ من قبلنا بل نقـول: إنَّ مقتضَى التشريف أن نكون نحنُ أشدَّ عبادةً له ممَّن سبقنا؛ لأنَّ الإنسـان إذا كُرِّم ينبغِـي أن يَقُـومَ بمقْتَضـى هـذا التكريـم؛ وليـسَ إسـاءةُ مَـن لـم تُكْرِمْه إليك كإساءةِ مَن أكرمتَـه، بلا شَـك، ولهـذا كـل مَـن كـان مغتَبِطًـا بنعمةِ الله عز وجل وجبَ عليه من شُكر نعمةِ اللـه مـالا يجـب علـى مَـن سواه.

ومِن فوائدِ الآية الكريمة كمالُ قدرةِ الله عز وجل وحِكْمتُه حيثُ إنَّ سنتَه لا تُبَدَّل ولا تُغَيَّر ((**فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لِسـنةِ اللـه تحويلا**)) وجهُ كونِها مِن تمـامِ القـدرة أنَّ العـاجز لا يسـتطِيع أن يجعـلَ أفعالَه على وتيرةٍ واحدة بل قد تتخَلَّف وتتغيَّر لعجزِه عـن الاطِّـرَاد، وأمـا كونُه مِن تمامِ الحكمة فلأن مُعاقَبَة السَّابِقين كانت لِسبَب، وهذا السَّـبب إذا وُجِد في الآخِرِين فإنه يعمَلُ عملَه؛ لأنَّ مُقتَضى الحكمة أنَّ الأسباب لا تتَخَلَّفُ عنها مُسَبَّبَاتُها، ففي قولِه: ((**فلن تجدَ لسنةِ الله تبديلًا ولـن تجدَ لسنةِ الله تحويلًا**)) فيها إثبات تمامِ القُدْرة وتمَامِ الحِكْمَة.

ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ الشيء الذي يستَمِرّ ويُؤْخَذُ بـه يُسَـمَّى سُـنَّة يقال: سـنة فلان أي طريقتُـه، ولهـذا يُفَـرَّق بيـن السُّـنَّة وبيـن العـارض، الشـيء العـارض شـيء ولا يمكـن أن يُجعَـل طريقـة مُتَّبَعَـة، والشـيء المطَّرِد يسمى سنَّة، ويدل على هذا التفريق قولُه صلى الله عليه وسلم: **(صلُّوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب ثم قال في الثالثة: لمن شاء**) كراهِيَةَ أن يتَّخِذَها الناس سُنَّة) مُطَّـرِدَة يفعلونَها دائمًا @

ثم قال الله سـبحانه وتعـالى {مبتـدا الـدرس الجديـد أظـن }: ((**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً))[فاطر:44] الهمزة هنا للاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع، وهذه الهمزة الاستفهامية هل هي داخلة على الجملة الموجودة المذكورة أو على جملةٍ محذوفة يعيِّنُها السياق؟ في هذا قولان لأهل العلم في النحو: فمِنهم مَن يقول يا مصطفى!: إنَّها داخلة على هذه الجملةِ المذكورة وعلى هذا القول يقولون: إنَّ التقدير: وألَم يسيرُوا فيجعلون الواو مُقَدَّمَة على الهمزة لأنَّه لا يمكن أن تُجْعَل الهمزة مقَدَّمَة على الواو والواو حرف عطف تقتضى معطوفٌ عليه، فيقولون: إنَّ الهمزة متأخرة والواو حرف عطف وهذه الجملة معطُوفة على ما سبق وهذا الوجه لاشَكَّ أنَّه أسهَل وأيسَر إذ لا يتَكَلَّفُ الإنسان فيه العناء في ذلك الشيء المحذُوف المقَدَّر وهو القول الثاني أنَّ الهمزة داخلةٌ على محذوف يعينه السياق ففي مثل هذه الآية نقول: تقديرُ الكلام: أغَفَلُوا ولم يسِيروا في الأرض أو كلمةً نحوها، وهذا التقدير قد يكون سهلًا في بعض المواضع بمعنى أنَّ بعض المواضع يكون المانع فيها ظاهرًا ويمكنُك بكل سهولة أن تُقَدَّر ذلك المحذوف، لكن أحيانًا يَصعُبُ عليك أن تقدِّر ذلك المحذوف؛ لاحتمال السياق لأوجهٍ متعدِّدَة، في هذا نقول إنَّ القول الثاني أو الثاني ولَّا الأول؟ .. أنَّ القول الثاني أو الآخَر أقرَب وأسهل أن نجعَل الواو حرف عطف، والجملةُ هذه معطوفة على ما سبق والأصل تقدِيم ذلك الحرف العاطف على الجملة، فالتقدير وألَم يسيروا، وقولُه: ((**لَم يسيرُوا في الأرض**)) السَّيْرُ هنا هل هو سيرُ القُلوب أو سيرُ الأقدام أو كلاهما؟ نقول: الأولى أن نقول أنَّه شامِل فيكون سير القلوب وسير الأقدام، أمَّا سيرُ القلوب فهو بالنظر في تاريخِ الأُمَم السابقة وما جرَى عليهم وما جرَى لأهلِ الخير الآمِرِين بالقِسْط فيسِيرُ الإنسان بقلبِه في أرجَاء العالَم وهو جالِسٌ على كُرْسِيِّه لا يتحَرَّك، وأما السير البَدَنِي أو السير بالأقدام فهو أن يتقَدَّمَ الإنسان إلى هذه المواضع لِيعتَبِر، ومِن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**زُورُوا القبور فإنَّها تُذَكِّرُ الآخِرَة**) فإنَّ زيارةَ القبور سيرٌ بالأقدام يذهَبُ الرجل إلى المقبرة ويقِف ويشَاهد هذه القبور ويعتَبِر: هؤلاء القوم الذين كانوا أشَدّ منه قوة وكانوا أكثر منه مالًا ومع ذلك آلُوا إلى ما آلُوا إليه حتى يعرف أنَّه سوف يؤُول إلى ما آلَ إليه هؤلاء طالَتِ المدة أم قصُرَت، إذًا السيرُ في الأرض يكونُ بالقلب ويكون بالقدَم أيُّهما أنفَع للمرء السيرُ بالقلب أو السير بالقدم؟ السير بالقلب أشمَل وأهون؛ لأنَّه بإمكان الإنسان أن يطُوف الدنيا كلَّها في ساعة واحدة وأسْهَل، السيرُ

بالقدم أشدُّ تأثيرًا؛ لأنه يشاهِد ومَا راءٍ كمَن سَمِع، ولهذا أمَـرَ النـبيُّ عليـه الصلاة والسلام إذا دخَلْنا علـى ديـارِ المعَـذَّبِين أمرَنـا ألَّا نـدخُل إلَّا ونحـن بـاكُون أن يصِـيبَنَا مـا أصـابَهم حـتى نعْتَبِـر ونُصَـحِّح المسِـير، ((**أو لـم يسيروا في الأرض**)) (في) هنا قـال العلمـاء أنَّهـا بمعنـى (علـى) ولا تصَح أن تكون للظرفية لِمَاذا؟ لأنَّ الظرفية تقتضي أن يكُون السائر فـي جوْفِ الظَّرْف ومعلومٌ أنَّ السائر فـي الأرْض لا يسـير فـي جَـوْفِ الأرض هل هو يَفْتَحَ نفَق لِيسِيرَ فيه؟ ولَّا لا؟ يسيرُ على ظهرِهـا، قـالوا: فــ(فـي) بمعنى (على)، ونظيرُها قولُه تعالى: ((**ولأصلِّبَنَّكُم في جذوع النخل**)) أي على جذوع النخل: وقوله: ((**في الأرض**)) يحتَمِـل أن يُـرَاد بهـا الجنس ويحتمل أن يراد بها العَهْد (أل) هنا، أن تكـون جنسـية أو عهدِيَّـة، فعلى الأول يكون المرَاد السير فـي جنـس الأرض الـتي أصِـيبَت بغضـب والتي لم تُصَب، وعلى الثاني يكون المرادُ بالأرض الـتي أصِـيبت بغضَـب فتكـون (أل) هنـا للعهـد الـذهني أو الـذِّكْري؟ العهـد الـذِهْني؛ لأنَّ العهـدَ الذِّكْري لابد أن يكون هناك مَذْكُور تعودُ عليه (أل)، أمَّا إذا لم يكن مذكور فهو عهْدٌ ذهني، طيب.

وقــولُه: ((**فينظُــروا كيــف كــانَ عاقبــةُ الــذين مِــن قبلهــم**)) (فينظروا) الفاء هنا قيل: أنَّها عاطفة وقيل إنَّها سببية فعلى أنهـا عاطفـة تكون في محَلّ جزْم أي يكون الفعلُ بعـدها مجزومًـا، وعلـى أنَّهـا سـببية يكونُ الفعـل بعـدها منصـوبًا، فعلـى كونهـا سـببية يكـون التقـدير: أو لـم يسيروا في الأرض فبِسـبَبِ سـيرِهم ينظـروا، وعلـى أنّهـا عاطفـة يكـونُ المعنى: أو لم يسيروا في الأرض ولم ينْظُروا كيف كان عاقبة الذين مِــن قبلهم، والنَّظَر هنا هل هو نظَرُ القلب أم نظـر العيـن؟ إذا قلنـا إنَّ السَّـير سير القدم فالنَّظَرُ نظر العين، وإذا قلنـا إنَّ السـير سـيرُ القلـب فـالنظر نظرُ القلب، إذًا تكُون شاملةً للأمرين حسَب ما نُفَسِّر السير فيما ســبق، ((**فينظروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلهـم**)) هـذا الاسـتفهام الجملة الاستفهامية عَلَّقَت (ينظروا) عن العمل يعني: فينظروا كيف كان عاقبتُهم يعني: أيّ عاقبة كانت لهم هل نُعِّمُوا وأُكْرِمُوا أو عُـذِّبُوا وأُهْلِكُـوا انظُروا فإذا نظر الإنسانُ العاقـل فسـوف يعتَبِـر ويقِيـس الحاضـر علـى الغائب، ((**كيف كـان عاقِبَـةُ**)) عاقبـة الشـيء مـآلُه ((**الـذين مِـن قبلهم**)) ما هي العاقبة للذين مِن قبلهم؟ الهلاك عاقبَتُهم الهلاك ولهـذا قال الله تعالى: ((**وإنكم لتمرُّون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون**)) فانظروا إلى آثارهم ماذا كـانت؟ كـانت الـدمار، فـإذا كـانت

الدمار وسببُه التكذيب والاستكبار فإنَّ السبب الذي كان فيما سبَق مؤدِّيًا إلى هذا الهلاك فإنه سيكون مؤديًا إليه فيما لَحِق؛ إذ لا فرْق @
قال اللهُ تعالى: ((**وكانوا أشد منهم قُوَّة**)) (كانوا) الضمير يعود على من؟ على السابقين (أشدَّ منهم قوة) يعني أقوى منهم قوة ومع ذلك لم تنفَعْهُم قوتُهم ولم تمنَعْهم أَهْلِكُوا وانظُر إلى قومٍ عاد (مَن أشدُّ منَّا قوة) ايش قال الله تعالى؟ ((**أو لم يرَوا أن الله الذي خلقَهم هو أشدُّ منهم قُوَّة**)) وكانت عادٌ مِن أقْوَى الأمم أجسامًا وصلابةً وعزمًا حتى أنهم تحَدَّوا قالوا: مَن أشدُّ مِنَّا قُوة فقال اللهُ تعالى: ((**أو لم يرَوْا أنَّ الله الذِي خلقَهم هو أشَدَّ مِنْهم قُوة**)) وأهلكَهم بألطفِ الأشياء أهلَكَهم بالريح، قال فرعُون: ((**وهذه الأنهَار تجْرِي مِن تحتِي**)) فافتخَرَ بجَرَيَان الأنْهَار وهي الـمَيَاه من تحتِه فأُهْلِك بالغَرَق بالماءِ الذي كان يَفْتَخِرُ بِه، فالإنسَان العاقِل إذا رأَى حالَ هذه الأمم وقوَّتَها وأنَّ هذا لم ينفعْهم ولم يمنعْهم مِن عقاب الله فلابد أن يَعتَبِر، قال: ((**وكانوا أشدَّ منهم قوة**)) الواو هنا في قوله: (وكانوا) يحتمِل أن تكون عاطفة ويحتمِل أن تكون للحَال والتقدير: وقد كانوا أشدَّ منهم قوة فأهلكَهم الله بتكذيبِهم رسلَهم " ((**وما كان الله ليعجزَه مِن شيءٍ في السماوات ولا في الأرض**)) هنا إذا تأمل الإنسان الآية يقول: إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر عاقبةَ هؤلاء المكذِّبِين في الآية ((**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة**)) فلماذا لم يذكُرْها؟ اعتمادًا على ايش؟ على هذا السائِر الذي يسير فينظُر يعني فالمعنى احكُم أنت بنفسِك على هؤلاء فلا حاجَة إلى أن أُذَكِّرك بأنَّ الله أهلكهم لأنَّك سوف تحكُم على هذا بما ترَاهُ مِن آثارهم ((**وما كان الله ليعجزَه من شيء**)) قال: يسبقُه ويفوتُه " ((**في السماوات ولا في الأرض إنَّه كان عليمًا قديرًا**)) قال: (وما كان الله لِيعجزَه) اللام هنا يسميها النحويون لامَ الجحود وهو النفي لأنَّها وقعَتْ بعدَه أي بعد النفي، وضابطُها أي ضابطُ لام الجحود أن تقعَ بعد كونٍ منفِيّ واضِح؟ زين، وإذا أردنا أن نُقربَها إلى المبتدئ نقول: أن تقع بعد (ما كان) أو (لم يكن) ((**لم يكن الله لِيغفرَ لهم**)) اللام نقول: هي لام الجحود ((**وما كان الله لِيعذبَهم وأنت فيهم**)) نقول: اللام لام الجحود، فإذا وقعت اللام بعد (ما كان) أو (لم يكن) داخلَةً على الفعل المضارع فإنَّها تنصب الفعل المضارع أو ينصبُه (أن) مقدَّرَةً بعد اللام على الخلاف، إنَّما

نسمي هذه اللام لام الجحود، لكن الضابط الذي قلتُ أولًا -وهي الواقعة بعد كونٍ منفِيّ- أعمّ مِن قولنَا هي المسبوقة بـ(ما كان) أو (لم يكن) لماذا كان أعَمّ؟ لأنَّه يمكن أن تأتِي بعد (كائِن) تقول: لستُ بكائِنٍ لأعذبَك مثلًا أو غير كائِنٍ ليقوم وما أشبَه ذلك، فإذا قلنا: بعد كونٍ منفي كان أعمّ لكن إذا كُنَّا نخاطب شخصًا مبتدِئًا في النحو فقد يصعُب عليه تصوُّر كلمة (كونٍ منفي) فنقول له: إذا وقعت بعد (ما كان) أو (لم يكن) فهي لام الجحود، وتنصِبُ الفعل المضارع إمَّا بنفسِها كما هو مذهبُ الكوفِيِّين وإمَّا بـ(أن) مضمَرَةً بعد اللام ((**ما كان الله ليعجزَه مِن شيء**)) (من) حرفُ جرّ زائد زائد، زائد في الإعراب وزائد في المعنى، أي أنه يزيدُ في المعنى، ما هي زيادة المعنى؟ توكيد النفي يعني أنَ هذا النفي مُؤَكَّد، وقوله: ((**ليعجزَه مِن شيء**)) إذا قلنا: (مِن) حرف جر زائد فنعرب (شيء) على أنَّها فاعِل مرفُوع بضمَّة مقدرة على ايش يا مصطفى!؟

الطالب: الياء

الشيخ: لا، الظاهر مصطفى اليوم ما أفطَر! مُفطِر؟ (شيء) فاعِل مرفُوع بضمة مقدرة؟

الطالب: على الهمزة.

الشيخ: على الهمزَة على الألف؟

الطالب: .. على الهمزة.

الشيخ: على الهمزة؟ ما علمنا أحد مِن الناس قال: مقدرة على الهمزة، من يعرف الإعراب؟

الطالب: مقدَّرَة على الياء.

الشيخ: خطأ.

الطالب: على آخرِه.

الشيخ: على آخرِه.

الطالب: منعَ مِن ظهورها اشتغالُ المحل بحركة حَرفِ الجرّ الزائد.

الشيخ: اي صح! طيب، (مِن شيءٍ في السَّماء)[كذا] قال المؤلف: " يسبقُه ويفوتُه " وهذا تفسيرٌ لا بأس ببعض اللوازِم كما قال تعالى: ((**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**)) [العنكبوت:4] ولكن العجْز هو عدَمُ القدرة على الشيْء وهذا أولى مِن تفسير المؤلف تقول: ما كان الله تعالى ليحُولَ بينَه وبين ما يُريدُ عجزٌ في قدْرتِه بل هو قادِرٌ على كلِّ شيء مِن إيجادِ معدُوم أو إعدَام موجُود

أو تغيِير حال أو غيرِ ذلك، فالله تعالى لا يعجـزُه شـيء لا فـي السـماوات ولا في الأرض؛ لأنَّ أمره عز وجل إذا أراد شـيئًا أن يقـول: (كـن) فيكُـون بدُون أيّ عمَل كلمَـة واحـدة تجعَـلُ الشـيء علـى حسـبِ مُـرادِه تبـارَك وتعالى فلا يُعجزُه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض، وإذا كان لا يعجزُه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض فإنَّه لـن يعجَـزَ عـن إهلاك المكـذِّبين الذين كذَّبوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يقول: @

((**إنَّه كان عليمًا**)) أي بالأشـياء كلِّهـا ((**قـديرًا**)) عليهـا " الجملـة موقعُها مما قبلَها أنَّها تعليل لَمَّا قال: ((**ما كان اللـه ليعجـزَه**)) علَّـلَ هذا الحكم المنفِيّ بقولِه: ((**إنه كان عليمًا قـديرًا**)) والعِلـم انطِبَـاقُ الشَيْء على ما هُو علَيْه والقدْرَة التمكن مِن الفِعْل بلا عَجْز هَذِه القُـدْرَة، والقُوَّة التَّمْكُّنُ مِن الفعل بلا ضَعْف فهي أخصّ مِن القدرة مِن وجْه وأعمُّ منها مِن وجهٍ آخَر كما سنذكرُه، ما وجهُ كونِه عـز وجـل بعلمِـه وقـدرتِه لا يُعجزُه شيء؟ لأنَّ العاجز عن الشيء إما أن يكون لعدمِ علمه بالأسـباب التي تغيرها به، وإما أن يكون لعـدَم قـدرتِه، فلـو تـأملتَ عجْـزَ أي عـاجِز لوجدتَّ السبب في عجزِه إمَّا أنه لا يعلم وإمَّا أنَّه لا يقدِر، فلو قيل لرجُـل نريد أن تصلِّح هذه الساعة التي كانت خربانة قـال: طيـب أعطنـي إياهـا وهو ما يعرِف أبدًا ما درَس يقدَر يزيِّنَها ولَّا لا؟ كيفَ ما يقـدر؟ عنـده آلات للصناعة وعنده قوَّة بدنِيَّة يقدَر يصلحها ولَّا ...؟

الطالب: ما يقدر.

الشيخ: لَماذا؟

الطالب: لأنه بدون علم.

الشيخ: لأن ما عنده علْم، ما يِقْدَر يصلحها يمكن يفسِّدْها أكثَر، فيه رجـلٌ آخر عندَه علْم وقد درَس علْم تصلِيح الساعات مثلًا لكن مـا عنـده قُـدرَة بدنِيَّة مشلُول هل يمكـن أن يصـلِّحْها؟ لا يمكـن؛ لعـدَم القـدرَة إذًا انتفَـاء عجزِ الله عز وجل لكمال علمِه وكمال قدرته، وبهـذا نعـرف أنَّـه لا يُوجَـدُ نفْيٌ محض في صفات الله بل كُـلُّ نفـي فـي صـفاتِ اللـه فهـو مُتَضَـمِّن لثُبُوتِ كمَال لا يمكن أن يوجَـد نفـيٌ محـض ولهـذا لَمَّـا نفـى العجـز بَيَّـن السبب قال: ((**إنه كان عليمًا قديرًا**)) والله أعلم.

قـال اللـه تبـارك وتعـالى: ((**وَأَقْسَـمُوا بِـاللَّهِ جَهْـدَ أَيْمَـانِهِمْ لَئِـنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا**))[فاطر:42]@

((**فينظرُوا كيفَ كَانَ عاقِبَةُ الذين مِن قبلِهم**)) ما المرادُ بالسير هنا؟ فهد! السيرِ في الأرضِ؟ قلبًا وقَدَمًا وجْهُ الدلالة أنَّ اللـه وبَّـخَ الـذين لم يسِيروا في الأرض فينظُروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلهم.
ومن فوائدها أنَّه ينبغـي لنـا أن ننْظُـر إلـى عاقبـةِ السـابِقين نظـرَ اعتبـار بمآلِهم حين كذَّبوا رسلَهم وليس اعتبارًا بقوتِهم وصناعتِهم وطرازِهم وما أشبهَ ذلك، وإذا طبَّقْنَا هذا على واقعِ الناس اليوم الذين يذهبون إلى ديـارِ ثمود وجدنا أنَّهم يذهبون إليها لا لِيعتبِرُوا بما صـنعَ اللـه بهـم مِـن العقوبـة لتكذيبِهم الرسل ولكن لِينظروا كيف كانت قوتُهم وصـناعتُهم وزخـارِفُهم وما أشبهَ ذلك، وهذا حـرام لا يجـوز أن يـذهبَ الإنسـانُ إلـى ديـارِ هـؤلاء المكـذِّبين لهـذا الغـرض؛ لقـول الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام: ((**لا تـدخلُوا علـى هـؤلاء المعـذَّبِين إلَّا أن تكونـوا بـاكِين فـإن لـم تكونوا باكين فلا تدخلُوا عليهم**)).
ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ في التاريخ عبرٌ يعتَبِـرُ بهـا العاقِـل لقـولِه: ((**فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم**)).
ومِن فوائد الآية استعْمَالُ قياسِ الأَوْلى لقـولِه: ((**وكانوا أشـد منهـم قوة**)) فإذا كان الله تعالى أهلكَهم مع كونِهم أشدَّ منهم قوة فـإنَّ إهلاك هؤلاء مِن باب أولى.
ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ قوَّة البشر مهما عظُمَت لا تمنعُهم مِـن اللـه شـيئًا لقـوله: ((**فينظروا كيـف كـان عاقبـة الـذين مـن قبلهـم وكانوا أشد منهم قوة**)) ولهذا لما قالت عاد: مَن أشدُّ منا قوة؟ قيل لهم: ((**أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هـو أشـدُّ منهـم قـوة**)) طيب.
ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ في السير فـي الأرض قلبًـا أو قـدمًا عـبرَة لا للمُرْسَلِ إليهم بل ولِلرُّسُلِ أيضًـا، فـإنَّ إهلاك المكـذِبين للرسُـل انتصَـارٌ للرسُل، معلوم أنَّ الله إذا أهلكَ عدُوَّك يا ناصر! فإنَّه انتصارٌ لك بلا شك.
ومِن فوائد الآية الكريمة نفيُ العجْزِ عـن اللـه عـز وجـل لقـوله: ((**وما كان الله ليعجزه من شـيء فـي السـماوات ولا فـي الأرض**)) لأنَّ فيها نفْيَ العجز عنه لكمالِ علمِه وقدرتِه.
ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ مِن صـفاتِ اللـه تعـالى مـا يكـون سـلبيًّا أي منفِيًّا عنِ الله، وضابطُه أنَّ كلَّ صفَةِ نقْص فهي منفِيَّةٌ عن الله عـز وجـل هذه قاعِدة عامة، كما أنَّ كل صفة كمال فهي ثابتـةٌ لـه، ولكـن التفصـيل لابـدَّ فيـه مـن دليـل؛ لأنَّ هـذه القاعـدة عامـة لقـوله: ((**ولله المثـل**

الأعلى)) ((**ولله الأسماء الحسنى**)) لكـن التفصـيل فـي أنَّ هـذه الصفة المعيَّنَة الثابتة لله أو منتفِيَة عنه لابد فيها مِن دليل.
طيب ومِن فوائد الآية الكريمة أنَّ الله سبحانه وتعالى لا ينفِـي شـيئًا عـن نفسه إلا لِثبوتِ كمال ضدِّه لأنَّه لما قال ما كان الله ليعجزه قال: ((**إنـه كان عليما قديرًا**)) فيستفاد مِن ذلك أنَّ كل صـفَةٍ منفيـة عـن اللـه لا يُرَادُ بها مجرَّدُ النفْي؛ لأنَّ مجرد النفي ما فيه فائدة إذ أنَّ النفيَ المحـض عدَمٌ محْض والعدمُ ليس بشيْء فضلًا عن أن يكون كمالًا، ولأنَّ النفي قـد يكون سببُه العجْز كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ولا يَظْلِمُونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

هذا مدْح ولَّا ذم؟ ذمّ؛ لأنهم لعجزِهم مـا يسـتطيعون يظلمـون النـاس ولا يغدِرُون بالذمم، وقد يكون سببُه عدمَ القابلِيَّة لا للكمـال ولكـن لأنَّه غيـرُ قابلٍ لهذه الصفة كما لو قلت: إنَّ جدارَ بيتِنَا لا يظلِم واحد يمدح بيته مثلاً يقول أن جداره ما بيظْلِم أحد صحيح؟ .. لا يظلِم أحد لكن لا، لا لأنَّه عدْل كامل العدل لكن لأنَّه لا يقبَل كلمة ظُلْم، فنفيُها عنه كثبوتِها لـه، حـتى لـو قلت: جدارٌ يظلِم مـا أحَـد يُصَـدِّق، طيـب إذًا صِـفَات اللـه المنفيـة الـتي يسمِّيها العلَمَاء السلْبِيَّة تتضَمَّن كمَال الضِّدّ يعنِي لكمالِ علمِه وقُـدْرَتِه لا يُعْجِزُه شيْء في السَّمَاوات ولا في الأرض.
ومِن فوائد الآية الكريمـة إثبـاتُ أنَّ السَّـمَاوَات أكثَـر مِـن واحِـدَة لوُجُـودِ الجمْع يعنِي جاءَت بصِيغَة الجَمْع (السَّـمَاوات) وهـي سَـبْع بنـصِّ القـرآنِ والسُّـنَّة ((**ألم تـروا كيـف خلـق اللـه سـبع سَـمَاوات طِبَاقًـا**)) والسُّنَّة كذلك ظَاهِرَة فِي أَنَّ السماوات السـبع كقـولِ النـبي صـلى اللـه عليه وسلم: (**اللهم ربَّ السماوات السَّبْع ومَا أَظْلَلْنَ**).
ومِن فوائدِ الآيـة الكريمـة إثبـاتُ اسـمَين مِـن أسـماءِ اللـه وهُمَـا العلِيـم والقدير وما تضمَّنَاه من صفة أو حكم من صـفة وهـي العلـم والقـدرة أو حُكْم وهو أنَّه يَعْلَم ويقْدِر على كُلِّ شيء إنَّه كان عليمًا قـديرًا، ... السَّـيْرُ في الأرض للنُّزْهَة يعني؟
الطالب: لا، للاعتبار ....
الشيخ: السير في الأرض لِلاعْتِبَار لا بأسَ به، وإذا كانَت مصلَحَتُه أكثَرَ مِن نقْصِه كان محْمُودًا، وإن كان نقصُه أكثرَ مِن مصلَحَتِه فإنَّه لا ينْبَغِي، فمثلًا لو ذهَبَ ينظُر في آيات الله تعالى في الجبال الشاهقة وفي الأنهار وفـي البحار وما أشبَه ذلك فهذا حَسَنٌ محمود، لكن إذا كان يُكَلِّـف مِـن النَّفَقَـة

أكثَر مما ينْتَفِعُ به الإنسان فإنه يُنْهَى عنه؛ لأنَّ في ذلك إضَاعَة الـمَال أمَّـا إذا كان النَّفَقَة قَلِيلَة أو كان هذا الرجل ذا مَـالٍ كـثير لا يَتَضَـرَّرُ بـه ولكنَّـه ينتفِعُ به مِن الناحية الإيمَانِيَّة فلا بَأسَ به @

ثم قال الله تعالى: ((**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَـا كَسَـبُوا مَـا تَـرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا**))[فاطر:45] (لَو) هَذِه شَـرْطِيَّة و(لو) تَأتِي شَرْطيةً كما هنا وتأتي للتمنِّي مثلَ قولِه: ((**وَدُّوا لَـو تُـدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**)) وتقول مَثَلًا: لـو كـان لِـي مِثْـلُ مَـالِ فلان يعنـي أتَمَنَّـى أن يكـون لـي مثـل مـال فلان، فتـأتي شـرطية وتـأتي للتمنـي وتـأتِي أيضًـا مصدَرِيَّة بمعنى (أن)، هنا هي شرطية وإذا كانت شرطية فإمـا أن يكُـون جوابُها مُثْبَتًا وإمَّا أن يكون مَنْفِيًّا: فإن كان مثبتًـا فـالأكثر فيـه إثبـاتُ اللام وإن كان منفيًّا فالأكثَر فيه حذفُ اللام، مثال ذلك في الإثبات قوله تعالى: ((**لو نشاء لَجعلناه حطامًـا**)) أيـن الجـواب؟ (لجعلنـاه) ففيـه اللام وقال تعالى في نفس السورَة: ((**لو نشَاءُ جعلْنَاهُ أُجَاجًـا**)) الجـواب (جعلناه) وحُذِفَتْ منها اللام، أمَّا إذا كان جوابُها منفِيًّا بـ(مـا) فـإنَّ الأكـثر عدَمُ اقترانِها باللام عدم اقتران (ما) بـاللام، فتقـول مثلًا: لـو جـاءني مَـا أهَنْتُه، وهنا قال الله تعالى: ((**لو يؤاخِذُ الله الناسَ بمـا كسـبوا مـا ترَكَ على ظهرِها مِن دَابَّة**)) وقـد تقـترِنُ اللام بـ(مـا) لكنهـا قليلـة كقول الشاعر:

ولو نُعْطَى الخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا

والأكثر ما افترقنا، يقول الله تعالى: ((**لو يؤاخِذُ اللـه بمـا كسـبوا**)) مِن المعاصي ((**ما تركَ على ظهرِها مِن دابَّة**)) قولُه: (يؤاخـذ) أي يُعَاقِب والمؤاخَذَة بالذَّنْب العُقُوبَـة عليـه، وقـولُه: (النـاس) عَـامّ يشـمَل الكفار ويشمَل العُصَاة مِن المؤمنين، فلو يؤاخذُ الناس كلَّهم بمـا كسـبوا ما تركَ على ظهرها مِن دابة، وقولُه: (بما كسـبوا) (مـا) يجـوز أن تكـون مصدرية أي: بكسبِهم، ويجوز أن تكون موصُولةً فإذا كانت موصولة فلابد مِن تقـدِيرِ العائـد وتقـديرُه: بِمَـا كَسَـبُوه، وقـولُه: (بمـا كسـبوا) أي بمـا اكتَسَبُوا مِن المعاصي وسَمَّى اللـه تعـالى المعاصـي كسـبًا؛ لأنَّ العامِـل ينَال جزائها فكأنَّه كسَب هذا الجزَاء مع أنَّه كَسْبٌ رابِح ولَّا كسبٌ خاسـر؟ خاسِر ولهذا إذَا اقترَن مع العمل الصالح أتَى بغيـر هـذا اللفـظ قـال اللـه تعالى: ((**لا يكلف الله نفسًا إلا وُسْعَها لها ما كسَبَت وعليها ما اكْتَسَبَت**)) ففرَّق بينهما، أمـا إذا أُفْـرِد أحـدُهما عـن الآخـر ... الكسْـب

بالخيرات وفي السيئات، وقولُهُ: ((**ما تركَ على ظهرِها**)) أي الأرض " كيف قال المؤلف: أي الأرض وأعادَ الضمير على غير مذكور؟ قال بعضُهم: إنَّه أعاده على مذكُور وهو قولُه: ((**وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنَّه كان عليمًا قديرًا**)) والكلام كلُّه في سياقٍ واحد في سياقِ العاصين ومآلِهم وعقوبَتِهم فالكلام نسقٌ واحد فالأرض إذًا مذكورة، وقال بعضُهم: هي غيرُ مذكورة لكنَّها معلومة مِن السياق لأنَّ الدواب إنَّما هم على ظهْر الأرض فهي معلُومة مِن السياق، وما عُلِمَ مِن السياق فإنَّه لا يحتاجُ إلى مَرْجِعٍ مذكور، ألم ترَ إلى قوله تعالى: ((**حتى توارَتْ بالحجاب**)) توارَتْ ما هي؟ الشَّمْس مع أنَّه لم يَسْبِقْ لها ذِكْر، لكنَّها معلومة لأنَّها هي التي تتوارى بالحجاب، يقول: ((**ما ترك على ظهرِها من دابة**)) نسمَة تدِبُّ عليها " (مِن) حرف جر زائد ولَّا لا؟ لأنَّها جاءَت بعد النفي (ما ترك عليها من دابة) أي ما ترك عليها دابةً لكنَّها دخلَت عليها (مِن) لتؤكِّد العموم، قال المؤلف: نسمة تدب عليها " النسَمَة هي كلُّ ذاتٍ تتنَفَّس لأنَّها مأخوذة مِن النَّسَم وهو التَّنَفُّس وكل شيء فيه رُوح فإنه يتنفَّس، المعنى لَهَلَك كُلُّ شيء على الأرْض، أمَّا البَّشَر العَاصُون فهَلَاكُهُم واضِح وأمَّا غيرُهم فبِشُؤْمِهِم بِشُؤْمِ العُصَاة تَمُوتُ هذه الدواب إمَّا بأن يمنعَ الله عز وجل المطَر والنبات فتَمُوتُ هذه الدواب لأنَّها لا تجِدُ عيشًا، أو أنها تموت بأوبِئَة تجْتَاحُهَا بسبب أعمالِ الناس، ثم قال: ((**ولكن يُؤَخِّرُهُم إلى أجَلٍ مُسَمًّى**)) أي يوم القيامة " ولكن يؤخرُهم أي الناس والفاعل هو الله، (إلى أجل) أي مُدَّة (مسمَّى) مُعَيَّن وما هو؟ يومُ القيامة كما قال الله تبارك وتعالى في سورة هود ((**إنَّ في ذلك لآيةً لِمَن خافَ عذابَ الآخرة ذلك يومٌ مجموعٌ له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخرُه إلَّا لِأجَلٍ معدود**)) أجلٍ مسمَى معيَّن عند من ؟ عند الله سبحانه وتعالى ولا يعلَمُ هذا الأجل إلا الله، فإنَّ علم الساعة لا يكونُ إلا للهِ سبحانه وتعالى عَجَزَ عنه أعلَمُ البَشَر وأعلَمُ الملائِكَة حين سألَ جبريلُ النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة قال: (**ما المسئُولُ عنها بأعلَم مِن السَّائِل**) طيب، والأجَل المسمى لابد أن يَجِيء، كلُّ شيء مسمّى فهو قريب لكن الأجل المبْهَم هو الذي ينتظِرُه الإنسان إلى أن يحصُل، أمَّا المسمى فلابد أن يُوصَل إليه، ((فإذا جاءَ أجلُهم)) يعني انتَهَت المدة وصارَ يومُ القيامة سواءٌ كانت القيامةُ الكبرى أو القيامة الصُّغْرى، القيامة الكبرى العامَّة لجميعِ الناس

والصـغرى مـوتُ كُـلِّ إنسـان ((**فـإنَّ اللـهَ كـانَ بعبـادِه بصـيرًا**)) فيجازيهم على أعمالِهم بإثابةِ المؤمنين وعقـابِ الكـافرين، جملـة (فـإنَّ الله) جوابُ الشَّرْط (فإذا جاءَ أجلهم)، فـإن قـال قائـل: مـا وجـهُ اعتبـارِ الجوابِ بالشرط (فإذا جاءَ أجلُهم فإنَّ الله كان بعباده بصـيرا) يعنـي قـد تتوقَّع: فإذا جاء أجلُهـم عـاقَبَهُم اللـه فيقـال: إنَّ قـولَه: (فـإنَّ اللـه كـان بعبادهِ بصيرًا) أبلَغ مِن: فإذا جاء أجلُهم عاقبَهُم الله لأنَّ مِن هؤلاء مَن قد يعفو الله عنه فلا يعاقِبُه، ولكنَّه ذَكَر أنَّـه بصِـيرٌ بأعمـالهم يجـازِيهم عليهـا وإن شاءَ ألَّا يعاقبهم فعَل في مَن يستَحِقّ العفْو @

في هذه الآية الكريمة فوائِد منها سَعَةُ حلْمِ اللهِ سبحانه وتعالى وجهُه أنَّه لو يؤاخِذُهم بما كسَبُوا ما ترك عليها مِن دابة ولكن يحلُم عز وجل ويُمْهِل لعل الناس يتوبون.

ومن فوائدِها تمامُ قدرةِ الله تعالى حيث يقْدِرُ على إهلَاك العـالَم بِلحظـة (ما ترك على ظهرها من دابة).

ومنها بيانُ شؤْمِ المعاصي وأنها قد تَعُمّ العاصِي وغيـرَه ولِلمُكَلَّـف وغيـر المكَلَّف ولا لا؟ وإلَّا فإنَّ هذه الدواب التي هي أكثَر بكثير مِن البشر ومِـن الجن ما ذنبُها وهي غيرُ مكلَّفة لكن هذا مِن شؤْم المعاصي وأنَّهـا تشـمل حتى من ليس بمكلف.

ومِن فوائِد الآية الكريمة الردّ على الجبرية لقولِه: (**بما كسَبُوا**) فـأثْبَتَ للعبْدِ كسبًا، والجبرية يقولون: إنَّ الإنسان مُجْبَرٌ على العمَل ما يسـتَطِيع يكتَسِب، مُجْبَرٌ على أن يعمَل خيرًا أو شرًّا.

ومِن فوائدِ الآية الكريمة إثباتُ حِكْمَةِ الله عزَّ وجل في مُجَـازَاةِ العَـامِلِين بعملِهم لقولِه: لو يؤاخذهم بما كسـبوا مـا تـرك علـى ظهرهـا مـن دابَّـة) ولكِن لِحِلْمِه يُؤَخِّرُهم إلى أجلٍ مسمى.

ومِن فوائد الآية الكريمَة أنَّـه مهمـا حَلَّـتْ بالبَشَـر مِـن عُقُوبَـة مُـدَمِّرَة أو منقِّصَة فإنَّما ذلك بماذا؟ بما كسبَتْ أيديهِم @